مسابقة (الإصلاح) الثانية

﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾

# الإصلاح

لا يُصلحُ آخِرَ هَذِهِ الأُمَّة إلاّ مَا أَصْلَحَ أَوَّلَـهَا

مجلة جامعة تصدر عن دار الفضيلة للنشر والتوزيع

السنة التاسعة . العدد الخامس والأربعون: جمادى الأولى/ جمادى الآخرة 1436هـ الموافق لـ مارس/ أفريل 2015م




## والحقوق المزعومة



## ثلاث خصال بهن صلاح الحال والمآل

حسن أيت علجت

## الكلام على الكلام الذي ذمه السلف لابن تيمية

عمار تمالت

## مصطلح السلفية

نجيب جلواح

## في حكم رياضة (تاي شي شوان)

أ.د. محمد علي فركوس

السعر: 200دج رقم الإيداع القانوني: 2006.3623 ISSN: 1112.6825

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إنَّ الحمدَ للهِ، نحمدُه ونَستَعينُه ونَسْتَغْفِرُه، ونعوذُ باللهِ منْ شرورِ أنْفُسِنا ومِنْ سَيِّئاتِ أعْمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لَهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَادِيَ له.

وأشْهَدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عبدُه ورسولُه.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾ [سُورَةُ آل عِمۡرَان].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾ [سُورَةُ النِّسَاء].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ [سُورَةُ الأَحۡزَاب].

أمَّا بَعْدُ:

فإنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وأحسنَ الهَدْيِ هَدْيُ محمَّدٍ ﷺ، وشَرَّ الأمورِ مُحْدَثَاتُها، وكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ، وكُلَّ ضَلاَلَةٍ في النَّارِ.

■■■




**يرجى إرسال طلب يتضمن الأمور التالية:**

- الاسم واللقب.
- العنوان.
- الهاتف.
- الوظيفة.
- وصل الحوالة البريدية.

**ترسل الحوالة البريدية باسم توفيق عمروني على الحساب البريدي الجاري:**

ccp 4142776 clé 96

**قيمة الاشتراك:**

الأفراد: 1200 دج. المؤسسات 1500 دج

**عنوان المراسلة:** دار الفضيلة للنشر والتوزيع

التعاونية العقارية (الإصلاحات) ـ قطعة (44)

عين النعجة. الجزائر




مجلة جامعة تصدر عن دار الفضيلة للنشر والتوزيع






التصميم والإخراج الفني:
دار الفضيلة للنشر والتوزيع
الطباعة:
مطبعة الديوان
عنوان المجلة:
دار الفضيلة للنشر والتوزيع
التعاونية العقارية (الإصلاحات) ـ قطعة (44) عين النعجة ـ الجزائر

الهاتف والفاكس: 38 56 57 (023)
(النقال): 92 99 06 (0559)
التوزيع (جوال): 08 53 62 (0661)
البريد الإلكتروني:
darelfadhila@hotmail.com
الموقع على الشبكة العنكبوتية:
www.rayatalislah.com




مدير المجلة

# صيَانَةُ الأُسرة

إنَّ من الحقِّ المبين أنَّه لم يطرُق العالَم شريعَةٌ كشَريعة الإسلام، الَّتي بهَر العقُولَ السَّويَّةَ حُسنُها وكمالُها، وشهدَت الفطَر المستقيمَةُ بحِكمتها وصفائها، وإنَّه لمن الشَّقاوة أن تُعزَل هذه الشَّريعة الغَرَّاء من تشريعاتنا في جلِّ مناحي الحياة، وتُستَبدل بقَوانين وضعيَّة، إلاَّ في جانب يسير يتعلَّق بالأحوال الشَّخصيَّة مِن زواج وطلاق وخلع وقسمَة المواريث ونحوها؛ وهذا كلُّه منَ الآثار القَبيحة للعلمانيَّة الوافدة؛ ثمَّ لمَّا كان الغربُ لا يهنأ إلاَّ أن يَرى أمَّتنا منسلَخةً من دينها، روَّج لفكرة خبيثة وهُو أنَّ اللَّحاقَ بركب المدنيَّة والدِّيمقراطيَّة يتنافَى مع الإبقَاء على هذَا الجانب مِن أحكام الشَّريعة، فلابدَّ مِن تنحيته هو الآخَر من حياةِ النَّاس.

ومن باب (إصلاح قانون الأسرة) ولجَ ذوو النُّفوس المهزوزة والعُقول المستَلبة مِن بني جِلدتنا، للإجهاز على أحكام جليَّة نصَّ عليها الوحيُ، لا تقبل الاجتهاد؛ كاشتراط الولي في عقد الزواج، ومسائل في الطَّلاق والخلع ونحوها منَ الأحكام الرَّبَّانية المحقِّقة لمصلحة الدُّنيا والدِّين، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٥٠﴾؛ وراحوا يحوِّرون ويزوِّرون غافلين أو متغافلين عن حقيقَة هامَّة وهي أنَّ نظامَ الأُسرَة عندنَا مؤسَّسٌ على المودَّة والرَّحمة والسُّكون والوقاية من النَّار، لا على نُظم اقتصاديَّة ماديَّة بحتة كما يعيشها الغَربُ اليومَ، وهو ما أفرَزَ عندَهُم حالةً من التَّفكُّك الأُسري والإباحيَّة المطلقَة والتَّمرُّد على كلِّ شيء، فصاروا أحطَّ منَ البهائم والأنعام.

فلو صُبَّت الجهود في التَّوعية وغرس الوازع الدِّيني في النُّفوس، ودُعي الأزواج لتوخِّي مبدَإ حُسن المعاشرة، لقلَّ العُنفُ الأُسَري، وانحسَر العَددُ المُرعبُ لحالات الطَّلاق والخُلع الَّذي صَار يُنذر بالخَطر ويرتفع من سنَة لأخرى، وحُفظت أُسَرُنا من التَّفكُّك والانفلات؛ بدلاً من سنِّ قوانين جديدة نسحَبُ فيها حقوقًا من الزَّوج خوَّلَه الله إيَّاها، ونمنَحُ الزَّوجةَ حقوقًا ليسَت لها، ونحسَبُ أنَّنا نُحسنُ صُنعًا.

فمَن توهَّم أنَّ صونَ الأسرة وإكرامَ المرأة وحمايَتَها يكون بصَرفها عن شريعَة ربِّها، فهو كاذبٌ في زعمه، وإنَّه لا يزيدُ الوضعَ إلاَّ فسادًا واختلالاً وتعقيدًا، قال ابنُ تيميَّة رحمه الله: «مَن فرَّ مِن حُكْم الله ورسُوله أمرًا وخبَرًا، أو ارتَدَّ عَن الإسلام، أو بَعض شرائعه خوفًا مِن محذُور في عقله، أو عمَله، أو دينه، أو دُنياه، كانَ ما يُصيبُه من الشَّرِّ أضعافَ ما ظنَّه شرًّا في اتِّباع الرَّسُول ﷺ» [«النبوات» (439/1)].

فنحنُ مسلمُون، ولا يصلُحُ شأنُنا كلُّه إلاَّ إذا كانَت تصوُّراتنا وتصرُّفاتنا تحت قانُون الشَّريعَة وحُكمِها.

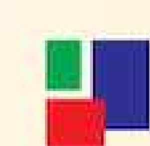



العدد الخامس والأربعون ـ السنة التاسعة:
جمادى الأولى ـ جمادى الآخرة 1436 / مارس ـ أفريل 2015



**المرأة
والحقوق المزعومة**

4






**ثلاث خصال بهن
صلاح الحال والمآل**

21








الكلام على الكلام
الذي ذمه السلف
لابن تيمية





مصطلح السلفية






- أن تكون الموضوعات مطابقة لخطة المجلة، وموافقة لمنهجها.
- أن يكون المقال متسمًا بالأصالة والاعتدال.
- أن يحرَّر المقال بأسلوب يحقق الغرض، ولغة بعيدة عن التكلف والتعقيد.
- الدقة في التوثيق والتخريج مع الاختصار.
- أن تكون الكتابة على الكمبيوتر، أو بخطٍّ واضح مقروء؛ وعلى وجه واحد من الورقة.
- ألا يزيد المقال على خمس صفحات.
- أن يذكر صاحب المقال اسمه الكامل وعنوانه ورقم هاتفه، ودرجته العلمية إن وجدت.
- المقالات أو البحوث التي لا تنشر لا تردُّ لأصحابها.

**المراسلات على عنوان المجلة باسم رئيس التحرير:**
دار الفضيلة للنشر والتوزيع
التعاونية العقارية (الإصلاحات) ـ قطعة (44)
عين النعجة ـ الجزائر
**الفاكس:** 38 56 57 (023)
**البريد الإلكتروني:**
darelfadhila@hotmail.com

**سعر النسخة:** (200 دج)
**الاشتراك السنوي للأفراد:** (1200 دج)
**الاشتراك السنوي للمؤسسات:** (1500 دج)




# المرأة والحقوق المزعومة



التحرير

إنَّ دينَ الإسلام الَّذي جاء به محمَّد ﷺ هو أكمل الأديان وأفضلها وأعلاها وأجلُّها؛ فإنَّه الدِّين الَّذي أصلح الله به العقائد والأخلاق، وأصلح به الحياةَ الدُّنيا والآخرة، وزيَّن به ظاهر المرء وباطنه، وخلَّص به كلَّ من اعتنقه وتمسَّك به من براثن الباطل، ومهاوي الرَّذيلة، ومنزلق الانحراف والضَّلال، ولهذا؛ فإنَّ أعظمَ كرامةٍ ينالُها العبد هي الهداية لهذا الدِّين العظيم والتَّوفيق للاعتصام به.

ومن كمال هذا الدِّين العظيم ومحاسنه تكريمه للمرأة، وصيانته لها، وعنايته بحقوقها، ومنعه من ظلمها والاعتداء عليها، أو استغلال ضعفها، أو التَّلاعب بعاطفتها، وجعل لها في نفسها ولمن تعيش معهم من الضَّوابط العظيمة والتَّوجيهات الحكيمة والإرشادات القويمة ما يُحقِّقُ لها حياة هنيَّةً، ومعيشةً سويَّةً، وسعادةً في الدُّنيا والآخرة.

وإنَّ أحكامَ الشَّرع المُتعلِّقةَ بالمرأة مُحكَمةٌ غايةَ الإحكام، متقنةٌ غايةَ الإتقان، لا نقص فيها ولا خلل، ولا ظُلمَ فيها ولا زلل، وكيف لا تكون كذلك وهي أحكام خير الحاكمين وتنزيل ربِّ العالمين؟! وعليه؛ فإنَّ من أعظم العدوان وأشدِّ الإثم والهوان أن يُقَالَ في شيءٍ من أحكام الله المُتعلِّقة بالمرأة أو غيرها، أنَّ فيها ظُلمًا أو هضمًا أو إجحافًا أو قصورًا، ومن قال ذلك أو اعتقده فما قدَرَ اللهَ حقَّ قَدرِه، ولا وَقَّرَه حقَّ توقيره، والله تعالى يقول: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ١٣﴾ [سُورَةُ نُوحٍ].

إنَّ المرأةَ ليست ذلك الشَّيطان أو تلك اللَّعنة المُسلَّطة على الرَّجل في هذه الدُّنيا كما كانت تَعتَقدُ أوربا من عهد قريب، وإنَّما هي ذلك المخلوق الَّذي أوجدَه الله ﷻ ليكون شريكًا للرَّجُل في حياته، وقد خُلقَتْ في الأصل من الرَّجل نفسه، ليكون ذلك أعمقَ في التَّجانُس وأوثقَ في الصِّلة والتَّقارُب، ولتتحقَّقَ بينهما المودَّةُ والرَّحمةُ الَّتي هي أسمى غايات الزَّواج والتقاء الرَّجل بالمرأة كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ٢١﴾ [سُورَةُ الرُّومِ].

ومَنْ تأمَّلَ كتابَ الله ﷻ يجد فيه عنايةً عظيمةً بشأن المرأة، وحثًّا بالغًا على رعاية حقوقها، وتحذيرًا شديدًا من ظُلمها والتَّعدِّي عليها، ففي آحاد النِّساء تَنزِلُ الآياتُ والسُّوَرُ من السَّماء؛ كالبقرة والنِّساء والأحزاب والنُّور والمجادلة والطَّلاق، وكلٌّ منها فيها هدايات وتوجيهات في الإحسان إليها والتَّرفُّق في معاملتها؛ كالأمر بمعاشرتها في حدود المعروف والإحسان، والأمر بالإنفاق عليها حال الإمساك أو التَّسريح مع الحثِّ على مراعاة جانب الإحسان إليها والعطف عليها وتغليب ذلك في كلِّ الأحوال، وأمر بإعطائها المَهرَ اللاَّزم مُقابلَ الاستمتاع بها، وحدَّد لها نصيبَها من الميراث ممَّا تركَه الوالدان أو غيرُهُما من أقاربها، وحذَّر من عضلها أو التَّضييق عليها أو الرُّجوع في شيءٍ من صداقها، وجعلها قرينةً للرَّجل في

الطَّاعة والتَّقرُّب إلى الله، مأمورةً بما أمره به من العبادة، ونعى على المشركين كراهيتهم للأنثى، وذمَّهم على ما سَنُّوه من وَأدِها وبُغضِها غايةَ الذَّمِّ، وحذَّرَ غايةَ التَّحذير وأَوْجَبَ لذلك العقوبة والتَّعزيز؛ من رَمْي المؤمنات المُحصَنَات بما هنَّ بريئاتٌ منه، وصان لها حقَّها المشروعَ المُتعلِّقَ بالزَّواج والطَّلاق والعِدَّة والخُلع والشُّهود والنَّفقة حال الفراق، وما إلى ذلك من هدايات القرآن المُتعلِّقة بالمرأة والإحسان إليها.

ولمَّا كان ضعفاءُ الحصانة العقديَّة والسُّلوكيَّة من بني جلدَتنا يفرحون بكلِّ وافد، ويتهيَّؤون لكلِّ وارد، صارت الأمَّةُ في معاناة مُستمرَّةٍ معهم، فالكثير من حواراتهم لا تساعد على تقويم خلق أو تهذيب سلوك أو تثبيت فضيلة، ودعواتهم لتحرير المرأة وإعادة حقوقها إليها بلاء تختنق الفضائل في ضجَّته، وتذوب الأخلاق في أزمته، يهُشُّون للمنكر، ويدعون إلى الانفلات، ويَوَدُّون لو نبت الجيلُ في حمأة الشُّرور والرَّذائل.

ومن يستمع إلى حديث القوم وهم يتكلَّمون عن حقوق المرأة لا سيَّما في مناسبات الأعياد البدعيَّة كعيد الأُمِّ، وعيد المرأة وعيد الحبِّ، يَظنُّها الميِّتَ الَّذي نُشِرَ من قبره، أو الأسيرَ الَّذي افْتُكَّ من أَسرِه، وكأنَّها لم تَحظَ بأيِّ تكريم أو تشريف، ولم تتحصَّلْ على أيِّ حقٍّ من الحقوق يَضمَنُ لها العيشَ الكريمَ كإنسان خلقَه الله، مع أنَّه وبلَفْتَة تاريخيَّة وإلماحة واقعيَّة يتَّضحُ ما كان مَخبُوءًا وراءَ الأكمة؛ فقد نقل التَّاريخُ أنَّ المرأةَ عاشت صراعًا في أوربا؛ أوَّله تصنيفُ الكنيسة لها شيطانًا أو عبدًا تحت سُلطَة الرَّجل، وآخره استغلالٌ قبيحٌ وصريحٌ في مرحلة الثَّورة الصِّناعيَّة، فقامت بين هذا وذاك تطالب بالمساواة ورفع القهر والمعاناة عنها، فأُعطِيَتْ بعد صراخ وضجيج بعضَ حظوظها مع احتفاظ الرَّجل بحظِّه الأوفَر الَّذي هو الوصول إلى المرأة تحتَ شعار تحريرها، وهكذا أراد دُعاةُ تحريرِ المرأة أن يَجعلُوا منها سلعةً تُباعُ وتُشتَرَى في سوق النَّخَّاسين؛ في دُورِ الأزياء وعروضها، وغانيةً في سوق الملذَّات والشَّهوات يَستعبِدُها الرَّجُلُ الَّذي يزعم تحريرَها، وتنخدع هي حين تستجيب لهذه الدَّعوات الماكرة والمذاهبِ المُفلسَة الَّتي لا يُنادي بها ولا يُدافِعُ عنها ولا يَتحمَّسُ لها في كثيرٍ من بلاد المسلمين إلاَّ النُّخَب العلمانيَّة ذات الهيمنة والنُّفوذ والسَّطو على المُنظَّمات والهَيْئَات المُدافِعَة - فيما زعموا - عن حقوق الإنسان، الَّذين يُريدُون أن تكون المرأةُ نِدًّا للرَّجُلِ ومُمَاثلاً له ومُنَاوِئًا له ومُتصارِعًا معه، بينما هي في شريعة الإسلام شقيقةُ الرَّجل وشقُّه، ومُتمِّمَتُه ومُتَمِّمُها، مُحتَفظٌ هو برجولته ومُتَمَيِّزَةٌ هي عنه بأُنوثَتِها، وقد قال النَّبيُّ ﷺ فيها كلمةً جامعةً: «إنَّمَا النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرِّجَالِ»، فحقَّقت المرأةُ بهذه الكلمة - بل بالإسلام كلِّه - نَقلَةً عظيمةً حتَّى قال عمر رضي الله عنه: «والله؛ إن كُنَّا في الجاهلية ما نَعُدُّ للنِّساء أمرًا، حتَّى أنزلَ الله فيهنَّ ما أنزل، وقسم لهنَّ ما قسم»، فهيهات أن تجد المرأةُ مثلَ هذه العناية العظيمة والتَّكريم الرَّائع والإحسان البالغ، بل ولا قريبًا منه في غير هذا الدِّين العظيم الَّذي رَضِيَهُ الله لعباده أجمعين.

فالواجب على المسلمين أن يَتصَدَّوْا بعَزْمٍ وحزم لتلك المحاولات والدِّعايات الَّتي يُرِيدُ مُرَوِّجُوها أن يُقنِعُوا المرأةَ في بلد الإسلام بضرورة الانعتاق من الأَسْرِ الَّذي تَقبَعُ فيه - زعموا - والكبت الَّذي تعاني منه، وأن تُطَالِبَ بمزيدٍ من الحقوق والحُرِّيَّات، اقتداءً بنساء أمم الكفر، لتصيرَ مثلَ الرَّجُلِ تمامًا في شكلِه وزيِّه ونَمَطِ عَيْشِه ورُبَّمَا في جنسه!

وعليهم أن يحافظوا على كرامة نسائهم، وألاَّ يَلتفِتُوا إلى تلك الدِّعايات المُضَلِّلة والأصوات المُغرِضَة، وأن يَعتَبِرُوا بما وَصَلَتْ إليه المرأةُ في المجتمعات الَّتي قَبِلَتْ مثلَ تلك الدِّعايات وانْخَدَعَتْ بها من عواقبَ وخيمةٍ، فالسَّعيد مَنْ وُعِظَ بغَيرِه، فليس من حقوقِ المرأة في ديننا حقُّ الزِّنا، وحقُّ الحمل من سِفَاحٍ وحقُّ الشُّذوذ والسِّحاق، وليس من حقِّها أن تتركَ البيتَ الَّذي يَحفَظُ كرامتَها وعِفَّتَها لتأوِي إلى مَنْ يُدَنِّسُ عرضَها ويَسلَخُ منها عِفَّتَها، وليس من حقِّها أن تَرفُضَ الدِّينَ وأحكامَه أو تدعو إلى إزالةِ القيود والأغلال عن حُرِّيَّتِها الموهومة، بل حقوقُها مقرونةٌ بمسؤوليَّتِها في الأمومة وتربيةِ الأولاد ورعايةِ الأسرة، تُؤخَذُ وتمارس من خلال الحشمة والأدب، والعفاف والسِّتر، محوطةً بسياج الإيمان والعمل الصَّالح، فالمرأة الَّتي نريدها هي المرأة الَّتي تَعمُرُ البيتَ بوجودها وحركَتِها وعَمَلِها، وليستِ المرأةُ الَّتي تَملأُ المعاملَ والمصانعَ والمكاتب والشَّوارع وتُخَلِّفُ وراءَها بيتًا يفترسه الفراغُ والخرابُ.



في رحاب القرآن

# تنبيه الفضلاء على خطأ عقديّ في أسانيد بعض القرّاء

محمد طالبي
طالب في مرحلة الدكتوراه. الوادي

الحمد لله الّذي جعلَنا من أمّة القرآن، وامتنّ علينا بحفظه وتعليمه لأهل الإيمان، وأشهد أن لا إله إلاّ اللهُ الواحد الأحد المنّان، والصّلاةُ والسّلامُ على معلّم السُّنّة والقرآن، وسيّد ولد عدنانَ، صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن تَبعهم بإحسان على مرّ الأزمان، أمّا بعد:

فلقد أكرم اللهُ جلّ في علاه أمّة محمّد ﷺ بشرف الإسناد فتميّزَتْ به بين جميع الأمم، وصان اللهُ به الدّينَ من جميع شوائب البدع وما يُذمّ، والإسنادُ كما قال عنه ابنُ الصّلاح رحمه الله: «خصيصةٌ فاضلةٌ من خصائص هذه الأمّة وسنّة بالغة من السُّنَن المؤكّدة»[1] اهـ، وقال غيرُه: «وَلِهَذَا لَمْ يَكُنْ لأُمَّةٍ مِنَ الأُمَمِ أَنْ تُسْنِدَ عن نبيِّها إسناداً متّصلاً غيرَ هذه الأُمَّة»[2] اهـ؛ لأنّه لا تَثبُتُ سنّةٌ إلاّ بسند، لذا قال ابنُ المبارك رحمه الله: «الإسناد من الدّين ولولا الإسنادُ لقال من شاء ما شاء»[3].

(1) «معرفة أنواع علوم الحديث» لابن الصّلاح (ص215).
(2) «النّشر» لابن الجزري (1/198).
(3) «شرح مقدّمة الإمام مسلم» للنّووي (1/81).

ومـن المعلوم عند العامَّة فضـلاً عن الخاصَّـة أنَّ قـراءةَ القرآنِ سـنَّةٌ مُتَّبَعةٌ رواهـا الخلفُ عـن السَّـلف بالأسـانيد المُتَّصـلة إلى رسول الله ﷺ؛ لذا وَصف العلماءُ القراءات العشـر بأنَّها مشهورةٌ متواترةٌ.

ومـن أراد معرفـةَ دقَّـة العلمـاء في التَّلقِّي بالمشـافهة والسَّماع فعليه بالكُتُب المُسـنَدَة في القراءات ومـا أكثرَها، ممَّا يدُلُّـكَ علـى أنَّ ما ذهـب إليه بعضُـهم مـن أنَّ في القـراءات ما ليـس من قبيل الأداء كالمدِّ والإمالـة وتخفيـف الهمز؛ أو أنَّ القـراءات متواترةٌ فيما اتَّفقت فيه الطُّرُقُ وأمَّا ما اختلفت فيه الطُّرقُ فليس بمتواتـر؛ كلامٌ مـردودٌ لا دليـل عليـه، وعلى كلِّ حال ليس هذا محلَّ بسـط هذه المسـألة، وردِّ هـذه الشُّـبهة، ويكفينا في هذا المقام أن ننصـح القـارئَ بمراجعة كلام الإمـام ابـنِ الجـَزَري في «منجـد المقرئـين»[4]، لنشـرع في بيـان مـا رُمْنا بيانه للفضلاء من تصحيح خطأ عقديٍّ شـاع وانتشـر في أسـانيد بعضِ القُرَّاء، بل صـار يُدرَّسُ في بعض الجامعات كما أفادني به بعضُ الطَّلبة الأعزَّاء، فأقول وبالله أستعين:

## صورة الخطأ العقديّ كما وقفتُ عليه

لمَّا شـرعْتُ في تحقيق كتاب «النُّجوم الطَّوالـع في مَقْرَا الإمـام نافع» لاحظتُ علـى المُؤلِّف ـ عفـا الله عنه ـ نفيَ صـفة الـكلام عـن الله جـلَّ في عـلاه لمَّـا قال عـن القـرآن: «ويُطلَـقُ[5] علـى كلامـه تعـالى، أي الصِّـفَة القديمـة القائمـة بذاتـه»[6] اهـ، ثـمَّ لمَّـا أراد ذكرَ إسـنادَ ورش وقالون قال مُقـرِّرًا لهذه العقيدة: «واعلم: أنَّ ورشًـا وقالونًـا قرآ على نافع وأخـذا عنـه مشـافهةً، وقرأ نافـعٌ على سـبعين من التَّابعين كما تقـدَّم، والَّذين سُـمِّيَ منهـم خمسـة: أبـو جعفـر يزيد ابـن القعقاع القـارئ[7]، وأبـو داود عبد الرَّحمن بن هرمز الأعرج[8]، وشيبة ابن نِصـاح القاضـي[9]، وأبو عبد الله مسلم ابن جنـدب الهُـذَلي القاضـي[10]، وأبو روْح يزيـد بـن رُومَـان[11]، وأخـذ هؤلاء القراءة علـى ثلاثة من الصَّـحابة: أبي هريـرة[12] وعبد الله بـن عبَّاس بن عبدِ المُطَّلب وعبـد الله بـن عيَّاش ابـن أبي ربيعـة المخزومي[13] رضي الله عنهم، وقرأ هؤلاء الثَّلاثة على أُبيٍّ بـنِ كعب رضي الله عنه، وقرأ

(4) «منجد المقرئين» لابن الجزري (ص72).

(5) يعنـي القـرآن؛ فقـد قـرَّر أنَّ له إطلاقَـيْن؛ فذكر الإطـلاقَ الأوَّلَ وهو في قوله: «والقرآن يُطلقُ على اللَّفـظ المقـروء المُتعبَّد بتلاوته وهـو الأكثر» اهـ، وهنا يَذكر الإطلاق الثَّاني.

(6) «النُّجـوم الطَّوالـع» للمارغنـي، (صـ8)، وقـال ـ عفـا الله عنـه ـ مُقـرِّرًا هـذه العقيـدةَ في «بغيـة المريد شـرح جوهرة التَّوحيد» (ص45): «وكلامُ الله صـفةٌ قديمةٌ قائمةٌ بذاتـه تعالى، مُنزَّهةٌ عن الحروف والأصوات والتَّقـدُّم والتَّأخُّر» اهـ، وقال أيضًـا في «بغيـة المريد» (صـ32): «فَلْيَكُنْ كلامُ الله ككلامنـا النَّفسـي في كونـه ليس بحرف ولا صوت، وإن كانا متباينَيْن تباينًا كُلِّيًّا» اهـ.
قلـتُ: يـا ليته نزَّل هذا على الصَّـوت والحروف أيضًـا، فقـال: فليكـن كلامُه سـبحانه بصـوت وحرف ككلامنـا وإن كانا مُتباينَـيْن تباينًا كُلِّيًّا، أي للفرق بين الخالق والمخلوق.

(7) هو أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدني (ت130هـ) أحد القُرَّاء العشرة، تصدَّى لإقراء كتابِ الله دهرًا، وكان يُقدَّمُ في زمانه على عبد الرَّحمن بن هرمز الأعرج، وكان ثقةً قليلَ الحديث، قال ابنُ الجزري عن قراءة أبي جعفر: «والعجب ممَّنْ يَطعَنُ في هذه القراءة أو يجعلها من الشَّـواذِّ» اهـ، قرأ القرآنَ على مولاه عبد الله بن عيَّاش بن أبي ربيعة المخزومي رضي الله عنه وقيل إنَّه قرأ على أبي هريرة وابنِ عبَّاس رضي الله عنهم روى عنه ابن وردان وابن جمَّاز.
ينظـر في ترجمتـه: «معرفـة القُـرَّاء الكبـار» للذَّهبي (1/172 ـ 178)، و«غاية النِّهاية» لابن الجزري (2/333 ـ 334).

(8) هـو أبـو داود عبد الرَّحمن بن هرمـز المدني، (ت 117 هــ) أخذ القراءة عرْضًـا عـن أبي هريرة وابـن عبَّاس رضي الله عنهم، وأخـذ عنـه نافـع ابـن أبـي نعيم، وهـو بالحديث أشـهر منـه بالقرآن، أخـذ العربيَّةَ عن أبي الأسـود الـدُّؤلي، نزل إلى الإسكندريَّة ومات بها.
ينظـر في ترجمتـه: «معرفـة القـرَّاء الكبـار» للذَّهبـي، (1/180 ـ 182)، و«غايـة النِّهايـة» لابن الجزري (1/343 ـ 344).

(9) هو أبو ميمونة شيبة بن نِصاح بن سَرجس المدني (ت 130 هــ) قرأ علـى عبد الله بن عيَّاش المخزومي رضي الله عنه، وقـرأ عليـه نافـع وإسـماعيل بـن جعفر وسـليمان بـن جمَّـاز، وكان زوجا لبنـت أبي جعفر القارئ، وقد وَهِم مـن زعم أنَّه قرأ على أبي هريرة وابن عباس رضي الله عنهم؛ لأنَّه لم يُدرِكْ ذلك. =
= وهو أوَّلُ من أَلَّف كتابًا في الوُقُوف.
ينظـر في ترجمتـه: «معرفـة القـرَّاء الكبـار» للذَّهبـيّ، (1/182 ـ 184)، و«غايـة النِّهايـة» لابن الجزري (1/298).

(10) هو أبو عبد الله مسلم بن جُندب المدني (ت130 هـ)، قـرأ على عبد الله بن عيَّاش المخزومي رضي الله عنه وهو الَّـذي أدَّبَ عُمَرَ بن عبد العزيز، الَّذي قال عنه: «مَنْ سَرَّه أن يقرَأ القرآنَ غضًّا فلْيَقْرَأه على قراءة مسلم ابن جُندب» اهـ، أقام بالمدينة إلى أنْ مات بها.
يُنظَر في ترجمته: «معرفة القُرَّاء الكبار» للذَّهبي (1/184 ـ 186)، و«غايـة النِّهايـة» لابـن الجزري (2/259 ـ 260).

(11) هـو أبو روح يزيد بن رومان المدني (ت 130 هـ) مولى آل الزُّبَير ابنِ العوَّام رضي الله عنه قرأ على عبد الله بـن عيَّاش المخزومـي رضي الله عنه وكان فقيهًـا مقرئًا مُحدِّثًا، خرَّجَ له أصحابُ الكتبِ السِّـتَّة، وروى عنه القراءةَ عرْضًـا نافـع وأبو عمرو، ولم تَصحَّ قراءتُه عن أحدٍ من الصَّحابة رضي الله عنهم.
يُنظَـر في ترجمتـه: «معرفـة القُرَّاء الكبـار» للذَّهبي (1/178 ـ 179)، و«غايـة النِّهايـة» لابـن الجـزري (2/332).

(12) هو أبو هريرة عبد الرَّحمن بن صـخرٍ الدَّوسـي رضي الله عنه (ت 58 هـ) قرأ القرآنَ على أُبيِّ بن كعب رضي الله عنه، وقـرأ عليه في أيَّـام معاوية رضي الله عنه غيرُ واحد، وحدَّثَ ما لا يُوصَـفُ كثرةً عن النَّبيِّ ﷺ وقد ذاقَ في أوَّلِ إسلامه جوعًا وفاقةً شديدةً، ثمَّ اسـتعملَه عُمر رضي الله عنه، ووَلِيَ كذلك إِمْرَةَ المدينة في زمـن معاويـة رضي الله عنه وكان من الَّذيـن يُفتُون بالمدينة من لَدُن تُوفِّيَ عثمان رضي الله عنه إلى أن مات رضي الله عنه، وإليه تَنتَهي قراءةُ أبي جعفر ونافع.
يُنظَـر في ترجمته: «معرفة القرَّاء الكبار» للذَّهبي (1/127 ـ 129)، و«غاية النِّهاية» لابن الجزري (1/334 ـ 335).

(13) هـو أبـو الحارث عبـد الله بن عيَّاش المخزومي المكِّـي ثـمَّ المـدني رضي الله عنه (ت 78 هــ)، قيـل وُلِدَ بالحبشـة، قـرأ القـرآنَ على أُبَـيِّ ابنِ كعب رضي الله عنه، وقـرأ عليه أبو جعفر القـارئ ويزيد بن رومان وشـيبة بن نِصاح ومسلم بن جندب وعبد الرَّحمن بن هرمز، وهؤلاء الخمسـة شيوخُ نافع، وكان أقرأ أهلِ المدينة في زمانه رضي الله عنه.
ينظر في ترجمتـه: «معرفة القـرَّاء الكبار» للذَّهبي (1/152)، و«غايـة النِّهايـة» لابـن الجـزري (1/393).

أُبيُّ بنُ كعب[14] رضي الله عنه على رسـول الله ﷺ وأخـذَ رسـولُ الله ﷺ عن جبريل عليه السلام (عـن اللَّوح عن القلـم) عن ربِّ العزَّةِ جلَّ جلالُه»[15] اهـ.

ومـن عجيب ما وقفتُ عليه في هذا الباب، قولُ محمَّد مخلوف ـ عفا الله عنه ـ في آخر إسناده: «...رسولُ الله ﷺ تلقَّاه عـن جبريل عليه السلام ثمَّ اختُلِـفَ بعد ذلك عمَّن تلقَّاه، فقيـل: تلقَّاه عن الجليل جلَّ جلاله... وقيل: تلقَّاه عن اللَّوحِ... وقيل: عن ميكائيل عليه السلام»[16] اهـ.

## بيان موضع الإشكال وتحديد الخطأ

والمشـكل فيمـا سـبق مـن كلامهم تَصريحُهم بعدم سماع جبريل عليه السلام القـرآنَ مـن الله سـبحانه وتعـالى مباشـرةً، وإنَّمـا تلقَّاه بواسـطة، ولا شـكَّ أنَّ هـذا الصَّـنيعَ سـواءٌ كان عن قصـد أو عـن غير قصـد من المسائلِ الَّتـي فيهـا النَّار تحت الرَّمـاد كما قال العلاَّمـة الشَّـنقيطي رحمه الله في «مذكِّرته» في الأُصـول: «لأنَّ أصـلَ هـذا الـكلام مبنـيٌّ علـى زعـم باطـل وهـو أنَّ كلامَ الله مجـرَّدُ المعنـى القائم بالـذَّات المجـرَّد عـن الحـروف والألفـاظ؛ لأنَّ هـذا القولَ الباطـلَ يقتضـي أنَّ ألفاظَ كلمـات القـرآن بحروفهـا لم يتكلَّمْ بها ربُّ السَّـمَاوات والأرضِ وبطلان ذلك واضح»[17] اهـ.

## واجبنا نحو ما نقف عليه من الأخطاء العقديَّة وغيرها

الواجب علينا نحوها هو التَّنبيه عليها نصحًا للأمَّة وتبرئةً للذِّمَّة، وهذا عينُ ما قمتُ به اتِّجاه هذا الخطأ العقدي، ليَعلمَ جميعُ المسـلمين أنَّ الحقَّ الَّذي عليه أئمَّةُ الأمصـار وأهلُ السُّـنَّة والآثار أنَّ جبريل عليه السلام سمع كلامَ الله تعالى منه مباشرةً دون واسـطة، وأدَّاه إلى الرَّسـول ﷺ كما سـمِعَه، وهو قـولُ ربِّ العالمين حقيقةً لفظُـه ومعناه، فجبريل عليه السلام إذا سـمع فأدَّى[18]، كما قال أبو حامد الإسفرائيني رحمه الله: «مذهبي ومذهبُ الشَّـافعي وفقهاءُ الأمصـار، أنَّ القـرآنَ كلامُ الله غـيرُ مَخلُـوق، ومـن قـال مخلـوق فهـو كافر، والقرآن حمله جبريل عليه السلام مسموعًا من الله تعالى، والنَّبيُّ ﷺ سمعه من جبريل عليه السلام، والصَّحابةُ سمعوه من النَّبيِّ ﷺ وهو الَّـذي نتلوه نحن بألسـنتنا، فما بين الدَّفَّتَيْن، وما في صدورنا مسموعًا ومكتوبًا ومحفوظًا ومنقوشًـا كلُّ حرف منه كالباء والتَّـاء، كلُّه كلامُ الله غـيرُ مخلوق، ومن قـال مخلـوق فهو كافـر عليـه لعائن الله والملائكة والنَّـاس أجمعين»[19] اهـ.



## صورة الإسناد الصَّحيحة الَّتي ينبغي أن تُختَم بها أسـانيد القُـرَّاء

الواجب على القُرَّاء جميعًا أن يتنبَّهوا لهـذا الخطـأ وأن يُبـادروا بإصـلاحه؛ نصحًـا لأنفسهم وللمسلمين، وبُعدًا عن شبهات المُؤَوِّلَة والمُبتَدِعين، وأن يكون آخرُ إسنادهم هكذا:

«عـن رسـول الله ﷺ عـن جبريـل عليه السلام عن ربِّ العِزَّة جلَّ جلاله».

وأصـرح مـن هـذه العبـارة، درءًا للشُّبهة ودفعًا للرِّيبة أن يقال:

«عـن رسـول الله ﷺ سـمعه عـن جبريل عليه السلام سـمعه عن ربِّ العزَّةِ جلَّ جلالُه».

وبهذا الصَّنيع نُصَرِّحُ بسماع جبريل عليه السلام من الله عز وجل ونوافـق مذهبَ أهل السُّـنَّة والجماعة في إثبات الكلام صفةً لله عز وجل، وأنَّ جبريل عليه السلام سمع القرآنَ

---

(14) هـو أبو المنـذر أُبيُّ بن كعـب بن قيـس الخَزْرَجي الأنصـاري رضي الله عنه (ت 21 هــ) سـيِّد القُـرَّاء بالاسـتحقاق وأقرأ هذه الأمَّة علـى الإطلاق، قرأ القرآن علـى النَّبيِّ ﷺ وقرأ عليه ابن عبَّاس وأبو هريرة وعبد الله بن عيَّاش ابن أبي ربيعة رضي الله عنهم، وقرأ عليه كذلك أبو عبد الرَّحمن السُّـلمي، شـهد بـدرًا والمشـاهد كلَّها مـع النَّبـيِّ ﷺ إلى أن تُوُفِّيَ بالمدينـة رضي الله عنه.

ينظر في ترجمته: «معرفة القُرَّاء الكبار» للذَّهبي (1/109 ـ 113)، و«غاية النِّهاية» لابن الجزري (1/34 ـ 35).

(15) «النُّجوم الطَّوالع» للمارغني (ص14).

(16) «شجرة النُّور الزَّكيَّة» لمحمَّد مخلوف (1/648).

(17) (ص33)، قلتُ: كلام العلاَّمة الشَّنقيطي لم يكن خاصًّـا بموضـوع بحثنا ولكـن لمَّا كانـت النَّتيجة واحـدة، وهـي نفيُ أن يكـونَ الله سـبحانه تكلَّمَ بالقرآن أو يتكلَّم عمومًا بصوت وحرف أثبتُّه.

(18) «توضيح المقاصد» لأحمد بن إبراهيم (2/126)، و«مذكِّرة أصول الفقه» للشَّنقيطي (ص65).

(19) «شـرح العقيـدة الأصـفهانيَّة» لابـن تيميـة (ص35)، ويرى شـيخ الإسـلام رحمه الله أنَّ القولَ بأخـذ جبريل للقرآن من اللَّـوح المحفوظ ونحوه مـن الأقوال تفريعًـا للقول بخلـق القرآن، وقال: «لـو كان جبريلُ أَخَذَ القرآنَ مـن اللَّوح المحفوظ لكان اليهودُ أكرَمَ على الله من أمَّةِ مُحمَّدٍ ﷺ؛ =

= لأنَّه قد ثبت بالنَّقلِ الصَّـحيح أنَّ الله كَتَبَ لموسـى التَّـوراةَ وأنزَلَهـا مكتوبةً؛ فيكونُ بنو إسـرائيل قد قـرأوا الألـواحَ الَّتي كتَبَهـا الله، وأمَّا المسـلمون فـأخذوه عـن محمَّد ﷺ، ومحمَّد ﷺ أخذَه عن جبريـل عليه السلام، وجبريل عليه السلام عـن اللَّوح، فيكون بنـو إسـرائيل بمنزلـة جبريل، وتكـونُ منزلةُ بني إسـرائيل أرْفَـعَ مـن منزلة مُحمَّـد ﷺ على قولِ هـؤلاء الجهميَّة» اهـ. ينظر «مجموعُ الفتاوى» لابن تيمية (12/269 ـ 278).

من الله مباشرةً دون واسطة، وأن يقولوا في القرآن ما قاله سَلَفُهم الصَّالح: القرآن هو كلام الله مُنَزَّلٌ غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، وأنَّ جبريل عليه السلام سمع كلامَ الله تعالى منه مباشرةً دون واسطة، وأدَّاه إلى الرَّسول ﷺ كما سمعَه، وهذا الَّذي يقرَأُه النَّاسُ هو كلامُ الله سبحانه وتعالى، يقرأُه النَّاس بأصواتهم، فالكلام كلامُ الباري، والصَّوتُ صوتُ القاري، والقرآن جميعه كلامُ الله حروفُه ومعانيه[20].

## عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة في إثبات صِفة الكلام لله عَزَّ وَجَلَّ

يعتقد أهلُ السُّنَّة والجماعة إثباتَ الكلام صفةً لله عَزَّ وَجَلَّ، وأنَّه سبحانه مُتَّصفٌ بها أزلاً وأبدًا، وهي صفةٌ ذاتيَّةٌ فعليَّةٌ، فهي ذاتيَّةٌ باعتبار أنَّه لا بدايةَ للاتِّصاف بها، وفعليَّةٌ بكونها تتعلَّقُ بالمشيئة والإرادة، فهو قديمُ النَّوع حادثُ الآحاد[21].

ولم يَزلْ سبحانه مُتكلِّمًا، إذا شاء بما شاء، وأنَّه سبحانه يتكلَّمُ بصوت، وهو صفةٌ قائمةٌ بذاته، وأمَّا ما تكلَّمَ اللهُ به فهو قائمٌ به ليس مخلوقًا مُنفَصلاً عنه كما تقولُ المعتزلةُ، ولا لازمًا لذاته لزُومَ الحياة لها كما تقولُ الأشاعرةُ، بل هو تابعٌ لمشيئته وقدرته[22].

والأدلَّةُ على ذلك في الكتاب والسُّنَّة كثيرةٌ، منها:

- قولُه تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: 6].
- وقولُه تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ١٦٤﴾ [سورة النساء].
- وفي «الصَّحيحين»[23] عن عديِّ ابن حَاتم، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَا منكُمْ مِنْ أَحَد إلاَّ سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ، لَيسَ بَينَهُ وَبَينَهُ تُرجُمَانٌ، وَلاَ حِجَابٌ يَحجُبُهُ».

## عقيدة أهل السّنّة والجماعة في إثبات الصِّفات لله عَزَّ وَجَلَّ

يعتقد أهلُ السُّنَّة والجماعةِ إثباتَ الصِّفات لله عَزَّ وَجَلَّ على ما يليق به سبحانه، وإثباتَ ما دلَّت عليه من المعاني، وأمَّا الكيفيَّةُ فإنَّهم يُفوِّضُون علمَ حقيقَتها إلى الله تعالى، على حدِّ قولِ إمام دارِ الهجرة مالكِ بنِ أنس رَحِمَهُ اللَّهُ في الاستواء: «الاستواء معلومٌ والكيفُ مجهولٌ والإيمانُ به واجبٌ» اهـ، هذا هو اعتقادُهم في باب الصِّفات، وأمَّا تفويضُ المعاني فهُم بَريئون منه براءةَ الذِّئب من دم يوسفَ عليه السلام، بل إنَّ القولَ بالتَّفويضِ من شرِّ أقوالِ أهل البدع والإلحاد[24].

❁❁❁

وفي الختام أذكِّرُ إخواني السَّاعينَ وراء جمع الأسانيد في هذا الزَّمانِ بما قاله الحافظُ ابنُ الصَّلاح رَحِمَهُ اللَّهُ وهو يُبيِّنُ المقصودَ من الرِّواية بالإسناد في هذه العصور المُتأخِّرَة: «ثمَّ إنَّ الرِّوايَةَ بالأسانيد المتَّصلَة ليس المقصودُ بها في عصرنا، وكثير من الأعصارِ قبله إثبات ما يُروَى بها إذ لا يخلو إسنادٌ منها عن شيخ لا يدري ما يرويه ولا يضبط ما في كتابه ضبطًا يصلح لأَن يُعْتَمدَ عليه في ثُبُوته، وإنَّما المقصودُ منها إبقاء سلسلة الإسناد والَّتي خُصَّت بها هذه الأمَّة زادها اللَّه كَرَامَةً»[25] اهـ.

قلتُ: هذا في عصر ابنِ الصَّلاحِ، وفي عصرنَا هذا من باب أولى.

فتنبَّهْ لنَفسكَ إذًا يا من تَفخَرُ بكثرة أسانيدك وأنتَ لا تدري ما تروي أو لا تضبطُ ما في كتابِكَ، فعليك بالإخلاص إن أردتَّ الخلاصَ.

هذا ما وقرَ في القلب وخطَّه اليراع، فما كان فيه من صواب فمن الله وحده المنَّان، وما كان فيه من زلل فمن نفسي والشَّيطان، وأستغفر اللهَ وأتوب إليه، إنَّه هو التَّوَّابُ الرَّحيم.

❁❁❁

(20) «أصول السُّنَّة» لابن أبي زمنين (ص82)، و«الفتاوى الكبرى» لابن تيمية (312/2)، و«مُذكِّرة أصول الفقه» للشَّنقيطي (ص64).

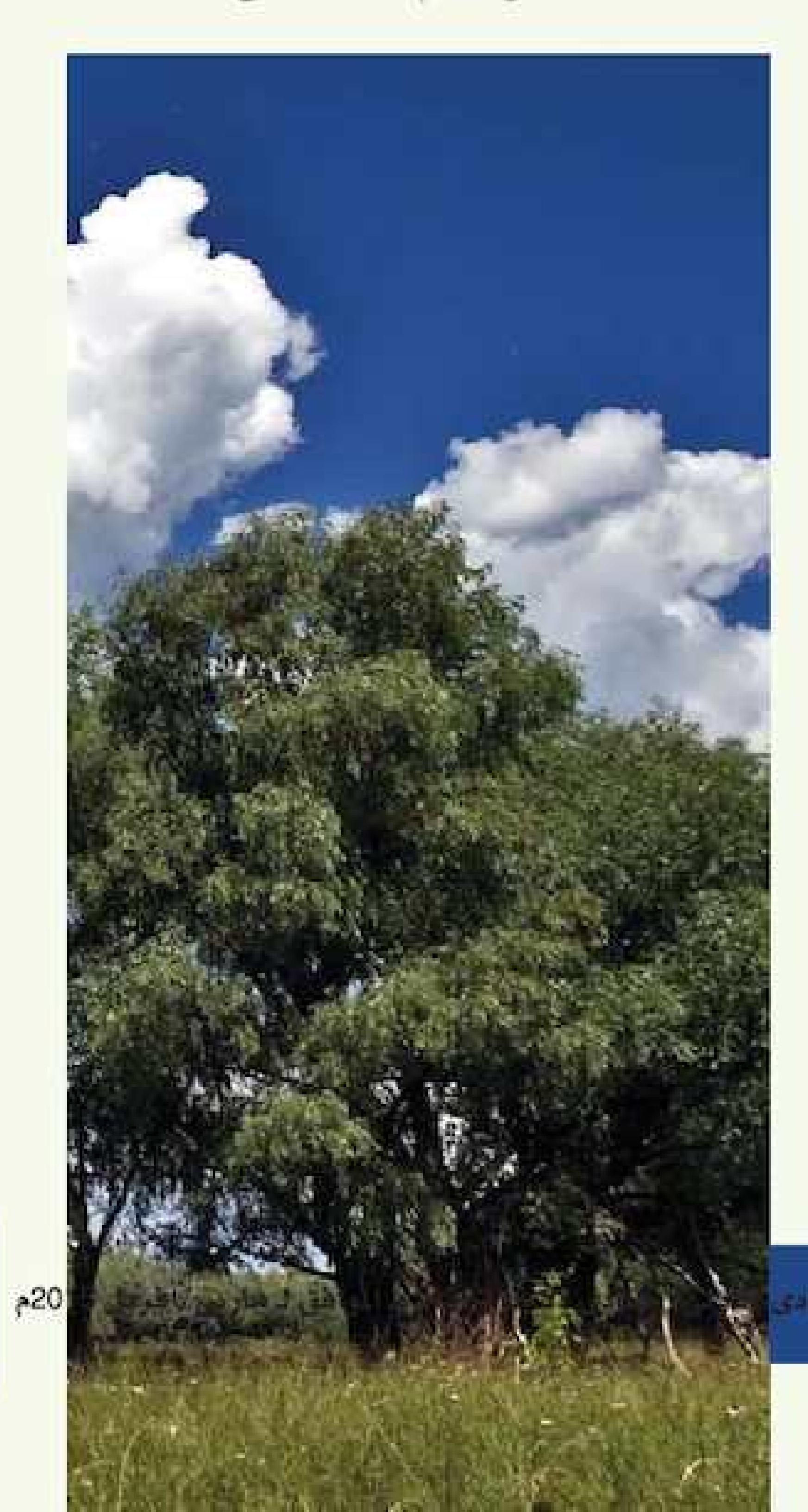
(21) «قطف الجنى الدَّاني» لعبد المحسن العبَّاد (ص94).

(22) «شرح العقيدة الطَّحاويَّة» لابن أبي العزِّ الحنفي (256/1) وما بعدها، «قطف الجنى الدَّاني شرح مقدِّمة ابن أبي زيد القيرواني» لشيخنا العلاَّمة عبد المحسن العبَّاد (ص94).

(23) أخرجه البخاري (7443)، ومسلم (1016).

(24) «تقريب التَّدمريَّة» لابن عثيمين (ص77-78)، و«الأثر المشهور عن الإمام مالك: في صفة الاستواء دراسة تحليليَّة» لشيخنا عبد الرَّزَّاق بن عبد المحسن العبَّاد.

(25) «صيانة صحيح مسلم» لابن الصَّلاح (ص115).







# حُجبتِ الجنَّةُ بالمكاره والنَّار بالشَّهوات

فريد نمار
إمام خطيب ـ الإمارات العربية

إذا لم يكن يومَ القيامة غيرُ الجنَّة والنَّار، ولم يكن بُدٌّ من المصير إلى إحداهما، فالواجب على من رجا رحمةَ ربِّه وخاف عذابه السَّعيُ فيما يُدخل إلى الجنَّة ويُنقذُ من النَّار، والبحثُ عن ذلك والسُّؤال عنه، وهذه علامة التَّوفيق والهدى، ومئنَّة العلم النَّافع، وعلى هذا مضى الرَّعيل الأوَّل من هذه الأمَّة، ففي «المعجم الكبير» للطَّبراني (7284/27/8) بسند حسن[1] عن صخر بن القعقاع الباهلي قال: لقيت النَّبيَّ ﷺ بين عرفة والمزدلفة، فأخذت بخطام ناقته، فقلت: يا رسول الله، ما يقرِّبني من الجنَّة، ويباعدني من النَّار؟ فقال: «أَمَا والله، لَئِنْ كُنْتَ أَوْجَزْتَ المَسْأَلَةَ، لَقَدْ عَظَّمْتَ وَأَطْوَلْتَ، أَقِمِ الصَّلَاةَ المَكْتُوبَةَ، وَأَدِّ الزَّكَاةَ المَفْرُوضَةَ، وَحُجَّ البَيْتَ، وَمَا أَحْبَبْتَ أَنْ يَفْعَلَهُ النَّاسُ بِكَ فَافْعَلْهُ بِهِمْ، وَمَا كَرِهْتَ أَنْ يَفْعَلَهُ النَّاسُ بِكَ فَدَعِ النَّاسَ مِنْهُ، خَلِّ خِطَامَ النَّاقَةِ».

(1) كما قال الحافظ في «فتح الباري» (264/3).

وهذا معاذ بن جبل رضي الله عنه ـ الَّذي روي فيه أنَّه «أعلم الأمَّة بالحلال والحرام»، وأنَّه «يحشر أمام العلماء بِرَتْوَة»[2] ـ يقول: «كنت مع النَّبيِّ ﷺ في سفر، فأصبحت يومًا قريبًا منه ونحن نسير، فقلت: يا نبيَّ الله، أخبرني بعمل يدخلني الجنَّة، ويباعدني عن النَّار»، قال: «لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْ عَظِيمٍ» الحديث، رواه أحمد (231/5) والتِّرمذي (2616) وصحَّحه الألباني.

قال ابن رجب: «وقوله ﷺ: «لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْ عَظِيمٍ» قد سبق أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال لرجل سأله عن مثل هذا: «لَئِنْ كُنْتَ أَوْجَزْتَ المَسْأَلَةَ، لَقَدْ أَعْظَمْتَ وَأَطْوَلْتَ»[3].

قال: «وذلك لأنَّ دخولَ الجنَّة والنَّجاةَ من النَّار أمرٌ عظيم جدًّا، ولأجله أنزل الله الكتب، وأرسلَ الرُّسلَ، وقال النَّبيُّ ﷺ لرجل: «كَيْفَ تَقُولُ إِذَا صَلَّيْتَ؟»، قال: أسألُ الله الجنَّة، وأعوذُ به من النَّار، ولا أُحسنُ دندنتَك، ولا دندنَة مُعاذ ـ يشير إلى كثرة دعائهما واجتهادهما في المسألة ـ، فقال النَّبيُّ ﷺ: «حَوْلَهَا نُدَنْدِن»[4] اهـ.

(2) أي: رمية بحجر، والحديثان، وصحَّحهما الألباني في «صحيح الجامع».

(3) رواه أبو داود (792) وغيره وحسَّنه الألباني.

ﮋﮋﮋ

ولقد اقتضت حكمة الله تعالى أن حجبت الجنَّة بالمكاره ليتميَّز الصَّادق الجادّ في طلبها من المتواني، ولولا ذلك لما تخلَّف عنها أحدٌ، كما حجبت النَّار بالشَّهوات واللَّذَّات امتحانًا وابتلاءً ليظهر بذلك الصَّابر عليها من المواقع لها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ قال: «حُفَّتِ الجَنَّةُ بِالمَكَارِهِ، وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ» [متَّفق عليه واللَّفظ لمسلم (2823)].

ولفظ البخاري (6487): «حُجِبَتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ، وَحُجِبَتِ الجَنَّةُ بِالمَكَارِهِ».

ولأبي داود (4744) والنَّسائي (3763) والتِّرمذي (2560) في رواية: «لَمَّا خَلَقَ اللهُ الجَنَّةَ وَالنَّارَ أَرْسَلَ جِبْرِيلَ إِلَى الجَنَّةِ، فقال: انْظُرْ إليها، وإلى ما

(4) «جامع العلوم والحكم» (799/2).

أَعْدَدْتُ لأهلها فيهَا، قال: فجَاءَها ونَظَرَ إليها وإلى ما أَعدَّ اللّه لأهلها فيها، قال: فَرَجَعَ إليه، قال: فَوَعزَّتكَ لاَ يَسْمَعُ بهَا أَحَدٌ إلاَّ دَخلَهَا، فأَمَرَ بهَا فَحُفَّتْ بالمَكاره، فقال: ارْجِعْ إليها فانْظُرْ إلى ما أَعْدَدْتُ لأهلهـا فيها، قال: فَرَجَعَ إليها فإذا هي قـد حُفَّـتْ بالمكاره، فَرَجَعَ إليـه فقال: وعِزَّتِـكَ لَقَـدْ خِفْـتُ أَنْ لا يَدْخُلَها أَحَدٌ، قال: اذْهَبْ إلى النَّار فانظرْ إليها وإلى ما أعْدَدْت لأهلها فيهـا، فإذا هي يركَبُ بعضُها بعضًا، فرجع إليه فقالَ: وعزَّتك لا يسْمَعُ بهـا أحـدٌ فيدخُلهـا، فأمَر بها فَحُفَّـت بالشَّهوات، فقال: ارْجِـع إليها، فرَجَعَ إليها فقال: وعزَّتك لقَدْ خَشيتُ أن لا يَنْجُـو منهـا أحـدٌ إلاَّ دخلها»، قال التِّرمذي: «هذا حديث حسن صحيح».

قوله ﷺ: «حفَّت»، أي أُحيطَت.

وقوله ﷺ في اللَّفظ الآخر: «حُجبت» بمعنى سُـترت، والشَّيء لا يُوصَل إليه إلاَّ بعد كشف ستره ومجاوزة مَا حُفَّ به[5].

قال العلماء: «هـذا من بديع الكلام وفصيحه وجوامعه الَّتي أوتيها ﷺ.

ومعنـاه: لا يُوصَـل إلى الجنَّـة إلاَّ بارتـكاب المـكاره، ولا إلى النَّـار إلا بتعاطـي الشَّـهوات، وكذلـك همـا محجوبتـان بهما، فمن هتـك الحجاب وصـل إلى المحجـوب، فهَتْـكُ حجـاب الجنَّـة باقتحام المكاره، وهتك حجاب النَّار بارتكاب الشَّهوات» اهـ[6].

**والمراد بالمكاره هنا:** مـا أُمر المكلَّف بمجاهدة نفسه فيه فعلاً وتركًا؛ كالإتيان بالعبـادات علـى وجههـا، والمحافظـة عليها، والصَّـبر علـى مشـاقِّها، وكظم الغيـظ، والعفـو والحلم، والصَّـدقة، والإحسـان إلى المسـيء، والصَّـبر عـن الشَّهوات، واجتناب المنهيَّات قولاً وفعلاً.

**وأطلق عليها «المكاره»** لمشـقَّتها على العامـل وصعوبتها عليه، ومـن جملتها الصَّـبر على المصيبة والتَّسليم لأمر اللّه فيها[7].

**وأمَّـا الشَّـهوات:** فالظَّاهـر أنَّهـا الشَّـهوات المحرَّمـة كالخمـر، والزِّنـا، والنَّظر إلى الأجنبيَّة، والغيبة، واستعمال الملاهي (المعازف)، ونحو ذلك.

وأمَّا الشَّهوات المباحة: فلا تدخل في هـذه، لكن يكره الإكثـار منها مخافة أن تجرَّ إلى المحرَّمة[8].

قـال ابـن رجـب: «فـاللّهُ سـبحانه امتحـن عبـاده في هـذه الـدَّار بهـذه المحرَّمـات مـن الشَّـهوات والشُّـبهات، وجعـل في النَّفس داعيًـا إلى حبِّهـا مع تمكُّن العبد منها وقُدرته عليها».

فمن أدَّى الأمانـة وحفظ حدود اللّه ومنع نفسه ما يُحبُّه من محارم اللّه كان عاقبته الجنَّـةُ؛ كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٤١﴾ [سُورَةُ النَّازِعَاتِ].

فلذلـك يحتـاج العبدُ في هـذه الدَّار إلى مُجاهـدة عظيمة، يُجاهد نفسـه في اللّه تعالى كما في الحديث: «المُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَه في اللّهِ تعالى»[9] اهـ.

قال ابـن القيِّم: «إنَّ كمـال العبوديَّة والمحبَّـة والطَّاعـة إنَّمـا يظهـر عنـد المعارضـة والدَّواعـي إلى الشَّـهوات، والإرادات المخالفـة للعبوديَّـة، وكذلـك الإيمـان تتبيَّن حقيقتـه عند المعارضـة والامتحـان، وحينئذ يتبيَّن الصَّـادق من الـكاذب، قـال اللّه تعـالى: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَـٰذِبِينَ ۝٣﴾ [سُورَةُ العَنكَبُوتِ]، وقـال تعـالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ۝١٤٢﴾ [سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ]، وقـال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟﴾ [البَقَرَة: 214].

فالجنَّة لا ينالها المكلَّفون إلاَّ بالجهاد والصَّبر»[10].

وقـد اسـتقرَّت حكمته سـبحانه أنَّ السَّـعادة والنَّعيم والرَّاحة لا يُوصَل إليها إلاَّ على جسر المشقَّة والتَّعب، ولا يدخل إليهـا إلاَّ مـن بـاب المـكاره، والصَّـبر، وتحمُّـل المشـاقِّ، ولذلـك حـفَّ الجنَّـة بالمكاره والنَّار بالشَّهوات.

فالمكاره أسـباب اللَّـذات والخيرات كما قال تعـالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البَقَرَة: 216][11].

«فأمر بالجهاد وهو مكروه للنُّفوس، لكـن مصلحته ومنفعتـه راجحـة على مـا يحصـل للنُّفوس مـن أَلَـمه، بمنزلة

(5) انظر «كشف المشكل» لابن الجوزي (3/507).

(6) انظر «شرح مسلم» للنووي (17/165) بتصرف يسير.

(7) انظر «فتح الباري» لابن حجر (11/320)، «شرح مسلم» (17/165).

(8) انظر «شرح مسلم» (17/165).

(9) وانظر «مجموع رسائل ابن رجب» (1/203).

(10) «مختصر الصَّواعق» (2/629).

(11) «شفاء العليل» (ص225) باختصار.

من يشـرب الـدَّواء الكريه لتحصـل له العافية؛ فإنَّ مصلحة حصول العافية له راجحة على ألم شرب الدَّواء.

وكذلـك التَّاجـر الَّـذي يتغـرَّب عن وطنـه، ويسـهر، ويخـاف، ويتحمَّل هذه المكروهات؛ مصلحةُ الرِّبح الَّذي يحصل له راجحة على هذه المكاره»[12].

فـإذا كانت الدُّنيا ـ الَّتي لا تعدل عند الله جنـاح بعوضـة ـ لا تُنال إلاَّ بالصَّـبر علـى المـكاره، وتَحَمُّـل المشـاقّ، فكيـف بالجنَّة سلعة الله الغالية.

ففـي قولـه ﷺ: «حُفَّـتِ الجَنَّـةُ بالمَكارِه»: «الحضُّ على طاعـة الله وإن كرهتها النُّفوس وشقَّ عليها؛ لأنَّ الصَّبر على النَّار أشقُّ»[13].

وقـد قال النَّبـيُّ ﷺ: «حُلْـوَةُ الدُّنْيَا مُرَّةُ الآخِرَة، ومُـرَّةُ الدُّنْيَا حُلْوَةُ الآخِرَة» رواه أحمد (22899).

قال ابن القيِّم: «ولأنْ يَنْتَقِلَ (المَرْءُ) مِـنْ مـرارة منقطعة إلى حـلاوة دائمة، خير له من عكس ذلك...

وفي هـذا المقـام تَفَاوَتَـتْ عقـول الخلائـق، وظهـرت حقائـق الرِّجـال، فأكثرهـم آثـر الحـلاوة المنقطعـة على الحـلاوة الدَّائمـة الَّتـي لا تـزول، ولم يحتمل مرارة سـاعة لحـلاوة الأبد، ولا ذُلَّ سـاعة لعـزِّ الأبـد، ولا محنة سـاعة لعافية الأبد، فإنَّ الحاضر عنده شهادة، والمنتظَـر غيـب، والإيمـان ضـعيف، وسلطان الشَّـهوة حاكم، فتولَّد من ذلك إيثـار العاجلـة، ورفض الآخـرة، وهذا حـال النَّظر الواقع علـى ظواهر الأمور، وأوائلهـا ومبادئها، وأمَّـا النَّظر الثَّاقب الَّذي يخرقُ حُجُبَ العاجلة، ويجاوزه إلى العواقب والغايات، فله شأن آخر»[14].

أي: فإنَّـه يؤثر الحلاوة الدَّائمة على اللـذَّة المنقطعة الزَّائلـة، ويحتمل مرارة ساعة لحلاوة الأبد.

وقال أيضًا: «وهو سبحانه يوصل إلى الغايات الحميدة بالأسباب الَّتي تكرهها النُّفوس وتشقُّ عليها:

وربَّما كانَ مَكْرُوهُ النُّفُوسِ إلى
مَحْبُوبِهَا سَبَباً مَا مِثْلُهُ سَبَبُ

وبالجملـة، فالغايـات الحميـدة في خبايـا الأسـباب المكروهة الشَّـاقَّة، كما أنَّ الغايـات المكروهـة المؤلمـة في خبايـا الأسـباب المشـتهاة المسـتلذَّة، وهـذا مـن حـين خلـق الله سـبحانه الجنَّـة وحفَّها بالمـكاره، وخلـق النَّـار وحفَّهـا بالشَّهوات»[15].

وممَّـا ينبغـي أن يُعلـم أنَّ الطَّاعات الموصـلة إلى الجنَّـة والمعاصـي الموجبة للنَّار قد تكون في أيسـر الأشياء، ألا ترى قولـه ﷺ: «الجَنَّـةُ أَقْـرَبُ إلى أحدكُم مِنْ شِـرَاك نَعْله، والنَّـارُ مِثْل ذلكَ» رواه البخاري (6488).

وقولُـه ﷺ: «إنَّ الرَّجُـلَ لَيَتَكَلَّـمُ بالكَلِمَة مِنْ رِضْوانِ الله لا يُلْقِي لَهَا بَالاً؛ يَكْتُبُ اللهُ له بها رِضْـوَانَه إلى يوم يَلْقَاه، وإنَّ الرَّجُـلَ ليتكلَّـمُ بالكَلِمَة مِنْ سَـخَط الله لا يُلْقـي لها بـالاً؛ يَكْتُـبُ اللهُ له بها سَـخَطَهُ إلى يَـوْم يَلْقَـاهُ» رواه التِّرمـذي (2319) وقال: «حسن صحيح».

«فينبغـي للمؤمن ألاَّ يزهـد في قليل من الخـير يأتيـه، ولا يسـتقلَّ قليلاً من الشَّـرِّ يجتنبه، فيحسـبه هيِّنًـا وهو عند الله عظيم، فإنَّ المؤمن لا يعلم الحسـنة التـي يرحمه الله بهـا، ولا يعلم السَّـيِّئة التي يسخط الله عليه بها»[16].

قال ابـن القيِّم: «وقـد أجمع عقلاءُ كلِّ أمَّـة على أنَّ النَّعيم لا يُدرَك بالنَّعيم، وأنَّ من آثـر الرَّاحة فاتتـه الرَّاحة، وأنَّ بحسـب ركوب الأهوال واحتمال المشـاقِّ تكـون الفرحـة واللَّذَّة، فـلا فرحة لمن لا هـمَّ له، ولا لذَّة لمن لا صـبر له، ولا نعيم لمن لا شـقاء لـه، ولا راحة لمن لا تعب له، بل إذا تعب العبد قليلاً اسـتراح طويلاً، وإذا تحمَّل مشـقَّة الصَّـبر سـاعةً قاده لحيـاة الأبـد، وكلُّ مـا فيه أهـل النَّعيم المقيم فهو صبر سـاعة، والله المستعان، ولا قوَّة إلا بالله»[17].

يا سلعـة الرَّحمن لولا أنَّهـا
حجبت بكلِّ مكاره الإنسان
ما كان عنها قطُّ من متخلِّف
وتعطَّلت دار الجزاء الثَّاني
لكنَّها حجبت بكلِّ كريهـــة
ليُصَدَّ عنها المبطل المتواني
وتنالها الهمم الَّتي تسمو إلى
ربِّ العُلى بمشيئة الرَّحمن
فاتعب ليوم معادك الأدنى تجد
راحاته يوم المعاد الثَّاني[18]

وصـلَّى الله علـى نبيِّنا محمَّـد وآله وسلَّم.

❖❖❖

(12) «مجموع الفتاوى» (279/24).
(13) «شرح البخاري» لابن بطَّال (198/10).
(14) «زاد المعاد» (180/4).
(15) «إغاثة اللَّهفان» (109/2).
(16) «شـرح البخـاري» لابـن بطَّـال (198/10) بتصرُّف يسير.
(17) «مفتاح دار السَّعادة» (15/2).
(18) «الكافية الشَّافية» لابن القيم.



# من قوادح الإيمان بالقضاء والقدر

نور الدين أوشلي
إمام خطيب ـ الجزائر العاصمة

إنَّ تَعلُّمَ العقيدة الصَّحيحة المُستمدَّة من كتابِ الله وسنَّةَ نبيِّه ﷺ على منهج السَّلف الصَّالح وحفظَها وصيانتَها مـن الخَللِ وعمَّـا يَقدحُ فيها من أعظم الواجباتِ والمُهمَّات؛ إذ هي الحصـنُ الحصين لكلِّ فرد مسلم، فتَحفظُه من الانحـراف والغوايـة، ولهـذا كان النَّبيُّ ـ عليه الصَّلاةُ والسَّلام ـ أوَّلَ ما يسـألُ ربَّـه جلَّ وعلا هو صـلاح دينِه، فقد كان من دعائه: «اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي...»[1].

ومعرفـة الأخطـاء والقـوادح في الاعتقاد الصَّـحيح مطلوبٌ شرعًا؛ حتَّى يتميَّـزَ الحقُّ من الباطـل، والتَّوحيدُ من الشِّـرك، والسُّـنَّةُ من البدعـة، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الأنعام]، ومَنْ لم يعرفْ سـبيلَ المُجرمين ولم يَسْتَبِنْ له طريقُهم أَوْشَـكَ أن يقعَ في بعض ما هُمْ فيه من الباطل.

ومن أعظـم الأصـولِ الإيمانيَّة الَّتي وقـع فيها الخللُ والانحـرافُ هو الإيمانُ بقضـاء الله وقَدَرِه الَّـذي هو قُطبُ رحى التَّوحيـد ونظامُه، ومبـدأُ الدِّين القويم وقاعدةُ أساس الإيمان[2].

وقد ذكرتُ في هذا المقالِ أَهَمَّ الأمورِ الَّتي تَقـدَحُ في هذا الأصـلِ العظيم على سـبيلِ المثال لا الحصـر، تقعُ من بعض النَّاسِ جهلاً منهم وغفلةً، منها ما هو في الأقـوال، ومنها ما هو في الأفعال، ومنها مـا هـو في الاعتقادات، ومنهـا ما هو في ذلك كلِّه، واللهُ تعالى هو المستعانُ وعليه التكلان، ولا حولَ ولا قوَّةَ إلاَّ بالله.

❁❁❁

## الاحتجاج بالقدر على المعاصي (المعائب)

وَجَـدَ كثـيرٌ من النَّاسِ مـن الكفَّار والمشركين الضَّـالِّين والمُقصِّـرين في عبـادة الله والمُنحَرِفين عن صـراط الله تعـالى، في القَـدَرِ مجالاً للاحتجـاج به علـى كُفرِهم وفسـادهم وتقصـيرهم، وشُـبهةُ انحرافهم أنَّ كُلَّ مَنْ أذنبَ ذنبًا وارتكبَ معصـيةً يَحتَجُّ بأنَّـه مُقدَّرٌ عليه وحاصِـلٌ لا محالـةَ، ومـن ثَمَّ فمـا ذنبُ العاصـي في معصـيته ما دامـت مكتوبةً عليه؟

وهـذا الاحتجـاجُ بالقَدَرِ علـى تَركِ مـا أَمَـرَ اللهُ به أو فعلِ مـا نهى الله عنه باطلٌ شـرعًا وعقلاً، فقـد قال المولى ﷻ: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا﴾ [الأنعام: 148]، فهـؤلاء

---

(1) رواه مسلم (2720)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(2) انظر «شفاء العليل» لابن القيِّم (ص3).

المشـركون احتجُّوا بالقَدَر على شركهم، ولـو كان احتجاجُهم مقبولاً صـحيحًا ما أذاقَهُمُ اللهُ بَأسَهُ.

ولو كان حجَّةً لاحتجَّ به أهلُ النَّار إذا عايَنُوهـا وظنُّوا أنَّهـم مُواقعُوها، كذلك إذا دَخلُوهـا وبـدأَ تَوبيخُهـم وتقريعُهم، هـل يحتجُّـون بالقـدر على معاصيهم وكُفرهـم؟ الجوابُ: لا، بـل إنَّهم يقولون كمـا قـال الله تعـالى: ﴿رَبَّنَآ أَخِّرۡنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ﴾ [إبراهيم: 44]، و﴿رَبَّنَا غَلَبَتۡ عَلَيۡنَا شِقۡوَتُنَا﴾ [المؤمنون: 106]، و﴿وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ١٠﴾ [سورة الملك]، ولـو كان الاحتجـاجُ بالقـدر سائغًا لاحتجُّوا؛ فهم بأَمَسِّ الحاجةِ إلى ما يُنقذُهم من نار جهنَّم[3].

**وممَّـا يَجـدُر التَّنبيـهُ عليه هـو:** أنَّ احتجاجَ كثيرٍ من هـؤلاء ليس ناتجًا عن قناعـةٍ وإيمانٍ، وإنَّما نـاتجٌ عن نَوعِ هوى ومعاندة، ولهذا قال بعضُ العلماء - فيمن هذا شـأنُه -: «أنـت عند الطَّاعـة قَدريٌّ وعندَ المعصيـةِ جَبريٌّ، أيُّ مَذهَبٍ وافق هواك تَمَذهَبْت به»[4].

قال شـيخُ الاسـلام ابنُ تيمية رحمه الله: «فالقـدرُ يُؤمَنُ به ولا يُحتَـجُّ به، فمن لم يؤمنْ بالقَدرِ ضـارع المجوسَ، ومن احتَجَّ به ضـارَعَ المشـركين، ومـن أقـرَّ بالأمرِ والقَدَرِ وطَعَـنَ في عدل الله وحكمته كان شبيهًا بإبليس»[5].

**متى يسوغ الاحتجاج بالقدر؟**

**فقـد ذكر أهلُ العلم أنَّ الاحتجاجَ به يكون في حالَتَيْن اثْنَتَيْن:**

**الأولى: عنـد المصـائب؛** كالفقـر والمرض وفَقْـد قريـب...، ولهـذا حـجَّ آدمُ موسـى عليه السلام كمـا في قوله ﷺ في مُحاجَّتهمـا: «احْتَجَّ آدَمُ ومُوسَـى، فَقَالَ لَـهُ مُوسَـى: أَنْـتَ آدَمُ الَّـذِي أَخْرَجَتْـكَ خَطِيئَتُكَ مِنَ الجَنَّـةِ؟ فَقَالَ لَهُ آدَمُ: أَنْتَ مُوسَـى الَّـذِي اصْـطَفَاكَ اللهُ بِرِسَـالَته وبِكَلامِـه، ثُـمَّ تَلُومُنِي عَلَى أَمْـرٍ قَدْ قُدِّرَ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ؟ فَحَجَّ آدَمُ مُوسَـى»[6]، فاحتجـاجُ آدم عليه السلام بالقَـدَر كان علـى المصيبة - خروج ذُرِّيَّته من الجَنَّة - لا على الخطيئة[7].

**الثَّانيـة: التَّائـبُ مـن الذَّنـب،** فلـو لامـه أحدٌ على ذنب تابَ منه سـاغَ له أن يَحتَجَّ بالقَدَر، فالعِـبـرَةُ بكمال النِّهاية لا بنُقصَـانِ البداية، قـال ابنُ القَيِّم رحمه الله: «ونكتةُ المسـألة أنَّ اللَّومَ إذا ارتفع صـحَّ الاحتجـاجُ بالقـدر، وإن كان اللَّومُ واقعًا فالاحتجاجُ بالقدر باطل»[8].



## سـبُّ الـدَّهـر

المؤمن يُوقِن أنَّ الأُمـورَ كلَّها بتقدير الله عز وجل، ولهـذا فهـو يتعامـل معهـا بالتَّسـليم والرِّضـا والإيمـانِ والصَّـبر علـى ما يُصيبُه، قـال الله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥ﴾ [التغابن: 11] الآيـة، عـن ابن عبَّاس رضي الله عنهما قال: «يَهْدِ قَلْبَهُ لليقين فيَعْلَمُ أنَّ ما أصـابَه لم يَكُنْ ليُخطِئَه وما أخطأه لم يكنْ ليُصيبَه»[9].

لكـنَّ بعضَ النَّاس قد يَسـبُّ الزَّمنَ أو الوقـتَ الَّذي تعرَّضَ فيـه للبلاء، وفي الحقيقـة أنَّ الزَّمـانَ ليس هـو الفاعلَ، فما هو إلاَّ ظرفٌ يَصرِفُ اللهُ فيه الأمور ويُدبِّـر المقاديـرَ، ومن أمثلة هذا السَّـبِّ قولُ بعضهم: لا بارَكَ اللهُ في اليوم الَّذي حَصَلَ لي فيه هذا...، وكقول الشَّاعر:

يا دهرُ ويحك ما أبقيتَ لي أحدا
وأنت والدُ سُوءٍ تأكُلُ الولدا

ومنـه قـول الدَّهريَّـة كمـا في قولـه تعـالى: ﴿وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ﴾ [الجاثية: 24] ونحو ذلك من العبـارات، وكلُّها مُحرَّمةٌ وقادحةٌ في التَّوحيد والإيمانِ بالقدر.

ولـذا فـإنَّ سـبَّ الزَّمـانِ وذمَّـه هو في الحقيقـة سـبٌّ لمـن خلَقَـه وهـو الله جلَّ وعلا، وقـد جـاء في الحديث عن أبي هريـرة رضي الله عنه عن النَّبـيِّ ﷺ أنَّه قال: «قَـالَ اللهُ تَعَالَى: يُؤْذِينِـي ابْنُ آدَمَ يَسُـبُّ الدَّهْـرَ وَأَنَـا الدَّهْـرُ أُقَلِّـبُ اللَّيْلَ والنَّهَارَ»[10]، وفي رواية: «لاَ تَسُبُّوا الدَّهْرَ؛ فَإِنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ».

والحديث صـريح في النَّهي عن سب الدَّهـر سـواء اعتقـد أنَّه الفاعـل أو لم يعتقد ذلك[11].

**وسابُّ الدَّهر واقعٌ في ثلاث مفاسد:**

**أحدها:** سبُّه من ليس بأهلٍ أن يُسَبَّ؛ فإنَّ الدَّهرَ خلقٌ مُسَخَّر من خلق الله.

**الثَّانية:** أنَّ سـبَّه مُتضـمِّنٌ للشِّرك؛

(3) «القضاء والقدر» لمحمَّد بن إبراهيم الحمد (ص82-83) بتصرُّف.

(4) «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (107/8).

(5) نفس المصدر (114/8).

(6) أخرجه مسلم (2652) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(7) «مجموع الفتاوى» (178/8).

(8) «شفاء العليل» (ص32-33).

(9) «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (375/4).

(10) رواه البخاري (4826)، ومسلم (2246).

(11) انظر «زاد المعاد» (324/2).

فإنَّه سبَّه لظنِّه أنَّه يضُرُّ وينفعُ، وأنَّه مع ذلك ظالمٌ قد ضرَّ مَنْ لا يَستَحِقُّ الضَّرَرَ وأعطى منْ لا يَستَحقُّ العطاءَ.

**الثَّالثة:** أنَّ السَّبَّ منهم إنَّما يقع على مَنْ فعل هذه الأفعالَ الَّتي لو اتَّبَعَ الحقُّ فيها أهواءَهم لفسدت السَّماواتُ والأرضُ، وإذا وقَعَتْ أهواؤُهم حمِدُوا الدَّهرَ وأثْنَوْا عليه[12].

**وأمَّا وصفُ الدَّهرِ كقول: عامُ الحُزنِ، أو هذا يومٌ شديدُ البرد** فهذا جائز؛ لأنَّ المُتكلِّمَ يَقصدُ الخبرَ دون اللَّومِ أو السَّبِّ، وقد ورد في كتابِ الله تعالى وصفُ الدَّهر كما في قوله تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ۝٧٧﴾ [سُورَةُ هُودٍ].

وقوله عز وجل: ﴿فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ۝١٩﴾ [سُورَةُ القَمَرِ].

**وما يجري على ألسنةِ بعضِ النَّاسِ من إضافةِ السَّماحِ إلى الدَّهرِ ونحو ذلك** (لم تسمَحْ لي الظُّروفُ) فهو كإضافة المجيء والذَّهاب إلى الدَّهر ونحو ذلك لا فرقَ بينَهُما، وهو شيءٌ شائعٌ موجودٌ في الكتابِ والسُّنَّة كقوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ﴾ [الإنسان: 1]، وقول رسول الله ﷺ: «لاَ يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ إلاَّ وَالَّذي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ»، وإنَّما هذا من باب التَّجوُّز والتَّوسُّع في الكلام على أنَّ الأدب تَرْكُها وأمثالِها[13].

**سابُّ الدَّهرِ دائرٌ بين أمرَيْنِ لا بُدَّ له من أحدهما:**

إمَّا سبُّه لله أو الشِّركُ به، فإن اعتقَدَ أنَّ الدَّهرَ فَاعِلٌ مع الله فهو مُشرِكٌ، وإن اعتقَدَ أنَّ الله وحدَه هو الَّذي فعل ذلك وهو يَسُبُّ منْ فَعَلَه فقد سبَّ اللهَ[14].

(12) «زاد المعاد» (324،323/2)، بتصرُّف.
(13) «فتاوى محمد بن إبراهيم رحمه الله» (171/1).
(14) وانظر «القول المفيد على كتاب التَّوحيد» لابن العثيمين رحمه الله (423،422/2).



## سبُّ الرِّيح

الرِّيحُ مخلوقٌ من مخلوقات الله مُسَخَّرٌ يُجريها اللهُ جلَّ وعلا كما يشاء، وتنشَأُ عنها آثارٌ يُحبُّها النَّاسُ؛ كتلقيح الأشجارِ ودَفع السُّفُنِ في البحَارِ وتَلطيف الجوِّ وإثارَةِ السُّحُبِ ليَنزلَ المطَرُ، وتَنشَأُ عنها آثارٌ يَكرَهُها النَّاسُ كإتلاف مَزارعهم ومنازلهم ومَتاجرهم، بل ربَّما يَنشَأُ عنها كوارثُ عظيمةٌ، فيقع النَّاسُ في سبِّ الرِّيح نتيجةَ آثارها، وهي في الحقيقة مأمورةٌ ولا تأثيرَ لها في شيءٍ إلاَّ بتقدير الله وتدبيره.

وقد نهى النَّبيُّ ﷺ عن سبِّ الرِّيح، فعن أُبَيِّ بن كَعْب رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «لاَ تَسُبُّوا الرِّيحَ؛ فَإِذَا رَأَيْتُمْ مَا تَكْرَهُونَ فَقُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيحِ وَخَيْرِ مَا فِيهَا وَخَيْرِ مَا أُمِرَتْ بِهِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ الرِّيحِ وَشَرِّ مَا فِيهَا وَشَرِّ ما أُمِرَتْ بِهِ»[15]، وعن ابن عبَّاس رضي الله عنهما أنَّ رَجلاً لعن الرِّيحَ. وفي لفظ: أنَّ رجلاً نازعَتْه الرِّيحُ رداءَه على عهد النَّبيِّ ﷺ. فلعَنَها، فقال النَّبيُّ ﷺ: «لاَ تَلْعَنْهَا؛ فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ، وَإِنَّهُ مَنْ لَعَنَ شَيْئًا لَيْسَ لَهُ بِأَهْلٍ رَجَعَتْ اللَّعْنَةُ عَلَيْهِ»[16].

فسبُّ الرِّيح كسَبِّ الدَّهر يَرجِعُ في الحقيقة إلى أذيَّة الله جلَّ وعلا، وهي من الألفاظ المُحرَّمة المنافية لكمال التَّوحيد.

(15) رواه التِّرمذي (2252)، وأحمد في «المسند» (21138)، «صحيح الجامع» (7315).

## استعمال كلمة (لو)

وممَّا يَقدَحُ في الإيمانِ بالقدر استعمالُ كلمة (لو) تَضجُّرًا وتسخُّطًا كحال مَنْ يَقُولُ. إذا نزلت به مصيبةٌ كخسارة مَالٍ أو فَقْدِ أنفُسٍ أو غير ذلك .: لَوْ أنِّي فَعلْتُ كذا لما كان كذا، أو لكان كذا.

وهي مقولةٌ مُحرَّمةٌ من عمل الشَّيطان، تَفتَحُ على صاحبها بابَ النَّدم والسَّخطِ والحُزنِ الَّذي يَنبَغي إغلاقُه وليس فيها نفعٌ.

ولأنَّ في ذلك سوءَ أدبٍ مع الله تعالى؛ فإنَّ الأمورَ كلَّها بقضاء الله وقدَرِه، ولهذا ذمَّ اللهُ مَقولَةَ المنافقين. كما في أحداث غزوة أحد. قال الله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ [آل عمران: 154] الآية، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾ [آل عمران: 168] فردَّ الله عليهم وعلى أمثالهم بقوله: ﴿قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۝١٦٨﴾ [سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ].

وقد قال رسولُ الله ﷺ: «احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ واسْتَعِنْ باللهِ وَلاَ تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلاَ تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وكَذَا ولَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ

(16) رواه أبو داود (4908) وصحَّحه الألباني.

فَعَلَ؛ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»[17]، فأرشدنا - عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ - إذا أَخَذْنا بالأسباب المشروعة وحَرصنا على ما ينفعنا وأتت الأمورُ على خلاف ما نُريدُ، ألاَّ يتحسَّرَ أحدُنَا ويَتضَجَّرَ ويقول: لو أنِّي فعلتُ... ولكن يقول مُؤمِنًا مُستَسْلمًا: قَدر الله وما شاء فعل.

**ومن جنس كلمة (لو) قول كلمة (ليت)،** فهما لا يُجْدِيَان بعد حصول الأمر المُقَدَّر، بل حينئذٍ التَّسليمُ لله والإيمانُ به، والتَّعزِّي بقدره مع حسنِ الظَّنِّ به.

وصدق منْ قال:

ليت شعري وأين منِّي ليت

إنَّ ليتًا وإنَّ لوًّا عناء[18]

وفي هذا يقول صاحبُ رسول الله ﷺ عبدُ الله بنُ مسعود رضي الله عنه: «لأَنْ أَعَضَّ عَلَى جَمْرَةٍ وأَقْبِضَ عَلَيْهَا حَتَّى تَبْرُدَ فِي يَدِي، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقُولَ لِشَيْءٍ قَضَاهُ اللهُ: لَيْتَهُ لَمْ يَكُنْ»[19].

**تنبيه:**

لكلمة (لو) استعمالٌ محمودٌ، وذلك أن تقال تَمنِّيًا للخير؛ كقول نبيِّ الله لوط عليه السلام: ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٖ شَدِيدٖ ٨٠﴾ [سُورَةُ هُودٍ]، وكقول رسول الله ﷺ: «لَوِ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ مَا سُقْتُ الْهَدْيَ»[20].

(17) رواه مسلم (2664).
(18) «الإيمان بالقضاء والقدر» لمحمَّد بن إبراهيم الحمد (ص153).
(19) «الزُّهد» لأبي داود (128)، واللاَّلكائي «شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة» (1217)، وابن بطَّة في «الإبانة» (1457).
(20) البخاري (7229)، ومسلم (1211).

## تركُ الأخذِ بالأسباب بحجَّةِ التَّوكُّل على الله والتَّسليمِ لقضائه وقدره

يظنُّ بعضُ النَّاس أنَّ الإيمانَ بالقدر يعني إهمالَ الأخذ بالأسباب المشروعة وهذا ظنٌّ باطلٌ؛ فإنَّ المسلمَ مُطَالَبٌ بالاجتهاد في فعل الأسباب الَّتي تُحقِّقُ له الخيرَ، وتدفعُ عنه الشَّرَّ في أمور دينه ودنياه ثمَّ الاجتهاد في القيام بها مع تسليم الأمر إلى الله عز وجل، فالأخذُ بها لا يُنافي الإيمانَ بالقدر، بل إنَّه من تمامه، والأخذُ بها هو سنَّةُ الله في الكون.

فالله تعالى أرادَ بنا أشياءَ وأراد منَّا أشياءَ، فما أرادَه بنا طواه عنَّا وما أرادَه منَّا أَمرَنَا بالقيام به، فقد أراد منَّا حَمْلَ الدَّعوة إلى الكُفَّار وإنْ كان يعلمُ أنَّهم لن يُؤمِنُوا، وأراد منَّا أن نكونَ أُمَّةً واحدةً وإنْ كان يعلمُ أنَّنا سَنتفرَّقُ ونَختلف[21].

**وقد دلَّ على مشروعيَّة الأخذ بالأسبابِ مع التَّسليم لقضاء الله** وقَدره نصوصٌ كثيرةٌ من كتاب الله وسنَّة نبيِّه - عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ - وكذا سيرة الأنبياء عليهم السلام.

قال الله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ٨٢﴾ [سُورَةُ طه]، فرتَّبَ الله تعالى المغفرةَ على الأخذ بأسبابها من التَّوبَة والإيمان والعمل الصَّالح، وقال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ﴾ [الأنفال: 60].

فالله عز وجل قد أمر عبادَه بالإعداد للقتال مع أنَّه سبحانه قد وعدهم بالنَّصر في قوله: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٤٧﴾ [سُورَةُ الرُّومِ].

(21) «الإيمان بالقضاء والقدر» لمحمَّد الحمد (ص142).

وهذا نبيُّنا ﷺ في موقف هجرَته أَخَذَ بأسباب النَّجاة والسَّلامة مع تمام تَوكُّله على الله وإيمانه بقضائه وقَدَره وتَعلُّقه بربِّه، حيث جعل عليَّ بنَ أبي طالب رضي الله عنه في فراشه وسلَكَ طريقًا إلى المدينة غيرَ الطَّريق الَّتي يَعرِفُها النَّاسُ واختَبأَ في الغار ثلاثةَ أيَّام.

وجرى أنبياءُ الله عليهم السلام جميعًا على الأخذ بالأسباب، ولم يُثْنِهِمْ علمُهم أنَّ الأمرَ بيد الله وقَدَرِه عن ذلك، فهذا نوحٌ عليه السلام أمرَهُ الله أن يَصنَعَ السَّفينةَ وكان قادرًا أن يُنجِيَه بدونها، وموسى عليه السلام فرَّ من قومه لمَّا خافهم ﴿فَفَرَرۡتُ مِنكُمۡ لَمَّا خِفۡتُكُمۡ﴾ [الشعراء: 21] أخذًا بأسباب النَّجاة.

**وختامًا:** فإنَّ القدرَ سرُّ الله في خَلقه، والشَّرعُ فيه سفينة النَّجاة، مَنْ ركبَها نجا ومَنْ تَخلَّفَ عنها فهو من المُغرَقين، والواجبُ المُحتَّمُ على العبد - في هذا الباب - الاعتصامُ بربِّ العباد، واجتنابُ الشُّبهات المُهلكات.

والحمدُ لله الواحد القهَّار، وصلَّى الله وسلَّمَ على نبيِّه المُختَار وعلى آله وصحابته الأطهار، ومنْ تَبِعَهم بإحسانٍ إلى يوم الدِّين.



محمد تشلابي

ماجستير في العلوم الإسلامية ـ البليدة


# في حكم التَّوكُّؤ على العصا على المنبر

إنَّ ممَّا لا خلافَ فيه بين علمائنا ـ عليهم رحمةُ الله أجمعين ـ أنَّ الخطبةَ على المنبر ـ ما عدا في العيدين ـ هي أفضلُ من كونها على الأرض، وذلك أنَّ المقصودَ منها هو الوعظُ والتَّذكيرُ وتبليغُ السَّامعين مرادَ الله تعالى منهم، وإنَّما يتأتَّى ذلك على أكملِ وجه وأحسنِ هيئة إذا كان الخطيبُ على مكانٍ عالٍ ومُرتفع، حيثُ يكون ذلك أبلغَ في مشاهدة النَّاسِ له، والتَّلقِّي عنه، والتَّأثُّرِ به.

وبتتبُّع هدي النَّبيِّ ﷺ واقتفاء آثاره بخصوص خطبة الجمعة وكيفيَّتها، يبدو جليًّا أنَّ خُطبتَه ﷺ مرَّت بمرحلتَيْن: ما قبل اتِّخاذ المنبر، وما بعد اتِّخاذه.

## المرحلة الأولى:

أمَّا بخصوص هذه المرحلة الأولى؛ فإنَّه لم يكن فيها للنَّبيِّ ﷺ منبرٌ يرقاه، وإنَّما كان يَخطب إمَّا مُتوكِّئًا على عصا أو قوس، أو مُتوكِّئًا على رجل، أو مُستنِدًا إلى جِذْع نخلة في بعض الأحايين.

☐ أمَّا اعتمادُه على عصا أو قوس، فكما في حديث الحكم بن حزن الكُلَفي رضي الله عنه وفيه: «...فأقمنا بها أيَّامًا شهدنا فيها الجمعةَ مع رسول الله ﷺ فقامَ مُتوكِّئًا على عصا أو قوس، فحَمِدَ اللهَ وأثْنَى عليه...»[1] الحديث.

والدَّليل على أنَّ ذلك كان في المرحلة الأولى هو قول الحَكَم في الحديث: «أمر لنا بشيء من التَّمر، والشَّأنُ إذ ذاك دونٌ»؛ فإنَّه مُشعرٌ بأنَّ ذلك كان في صدر الرِّسالة حيث كان الزَّمان زمانَ فَقْرٍ وضيق، بخلاف ما آل إليه الوضعُ بعدَ فتح مكَّة.

☐ وأمَّا اعتمادُه على رجل فكما في حديث جابر عند مسلم وغيره أنَّه قال: «شهدتُ مع رسول الله ﷺ الصَّلاةَ يومَ العيد، فبدأ بالصَّلاة قبلَ الخُطبَة، بغير أذانٍ ولا إقامة ثمَّ قامَ مُتوكِّئًا على بلال، فأمرَ بتقوى الله...»[2] الحديث.

☐ وأمَّا اعتماده ﷺ على جِذْع النَّخلة، فكما في حديث جابر رضي الله عنه قال: «كان جِذْعٌ يقوم إليه النَّبيُّ ﷺ فلمَّا وُضِعَ له المِنبَرُ سَمِعْنا للجذع مثلَ أصوات العِشار[3]، حتَّى نزَلَ النَّبيُّ ﷺ فوَضَعَ يدَه عليه»[4].

## المرحلة الثَّانية:

وأمَّا المرحلة الثَّانية فهي تلك الَّتي اتَّخذَ فيها النَّبيُّ ﷺ لنفسه منبرًا يَرقاهُ ليَخطُبَ النَّاسَ عليه كما في حديث البخاري: «أنَّ رجالاً أتَوْا سهلَ بنَ سعد السَّاعِدي وقد امْتَرَوا[5] في المنبر ممَّ عُودُه؟ فسألوه عن ذلك فقال: والله إنِّي لأعرفُ ممَّا هو، ولقد رَأيْتُه أوَّلَ يوم وُضِعَ، وأوَّلَ يَوْم جلَسَ عليه رسولُ اللهِ ﷺ، أرسلَ رسولُ الله ﷺ إلى فلانة امرأة ـ قد سمَّاها سهلٌ ـ «مُري غُلامَكِ النَّجَّارَ أنْ يَعْمَلَ لي أعْوادًا أجْلِسُ عَلَيْهِنَّ إذا كَلَّمْتُ النَّاسَ»، فأمَرَتْهُ فعَمِلَهَا مِنْ طَرْفَاءِ الغَابَةِ[6] ثمَّ جاء بها فأرسَلَتْ إلى رسولِ الله ﷺ فأمرَ بها فوُضِعَتْ

---

(1) أخرجه أبو داود (1096)، والبيهقي (3/206)، وابن المنذر في «الأوسط» (4/57)، وله شاهد عند ابن خزيمة (3/140)، وحسَّنه الحافظ في «التَّلخيص» (2/64.65)، والألباني في «صحيح أبي داود» برقم (1096).

(2) «صحيح مسلم» (885).

(3) جمع العُشَرَاء: وهي النَّاقة الَّتي أتى على حملها عشرةُ أشْهُر، ثمَّ اتُّسِع فيه فقيل لكلِّ حاملٍ عُشَرَاء، «النِّهاية» (3/240).

(4) أخرجه البخاري (918).

(5) امتروا: من الممارة وهي المجادلة، «فتح الباري» (2/397).

(6) الطَّرْفَاء: هي شجرٌ من شجر البادية، والغابة: هو موضع من عوالي المدينة من جهة الشَّام، وأصلُها كلُّ شجرٍ مُلتفٍّ، انظر «فتح الباري» (2/399).

هاهنا، ثمَّ رأيتُ رسولَ الله ﷺ صلَّى عليها وكبَّر وهو عليها، وركَعَ وهو عليها، ثمَّ نَزَلَ وهو عليها ثمَّ نزل القَهْقَرَى فسجد في أصلِ المِنْبَر ثمَّ عاد، فلمَّا فَرَغَ أقْبَلَ على النَّاس فقال: «أيُّها النَّاسُ إنَّمَا صَنَعْتُ هَذَا لِتَأْتَمُّوا ولِتَعَلَّمُوا صَلاَتِي»[7].

❁❁❁

**والمقصود هنا هو التَّركيز على المرحلة الثَّانية قَصْدَ استيضاح واستبيانِ هل الثَّابتُ من هَدْيه ـ عليه الصَّلاةُ والسَّلام ـ هو استصحاب التَّوكُّؤ على العصا أو القوس حتَّى بعد اتِّخاذه المنبر؟ أم أنَّ الثَّابتَ هو ارتقاؤه من غير اعتماد على شيءٍ أصلاً؟**

**وفيه ثلاثةُ أقوال:**

**القول الأوَّل:** مذهب من يرى أنَّ التَّوكُّؤَ على عصا أو قوس مُستحبٌّ.

وهو قولُ أبي بكر وعمر وعثمان[8] وابن مسعود[9] ومالك[10] وأصحابه[11] والشَّافعي[12] وأصحابه[13]، وأحمد[14] وأصحابه[15]، اختاره العلاَّمةُ مُحمَّدُ ابنُ إبراهيم[16] والشَّيخُ ابن باز[17] والشَّيخ الفوزان[18].

(7) أخرجه البخاري (717) واللَّفظُ له، ومسلم (544).
(8) «المُدوَّنة» (151/1)، ونقله عنهم أيضًا ابنُ القيِّم في «الزَّاد» (189/1).
(9) نقله عنه القرطبي في «جامعه» وعزاه إلى الخلفاء وكبراء الخطباء (189/11).
(10) «المُدوَّنة» (151/1).
(11) «الرِّسالة» (331/1)، «حاشية الدُّسوقي» (383/1)، «الشَّرح الصَّغير» (169/1)، «البيان والتَّحصيل» (341/1)، «مواهب الجليل» (172/2) و«الفواكه الدَّواني» (307/1).
(12) «الأمُّ» (200/1).
(13) «المجموع» (399/4)، «مغني المحتاج» (290/1)، «الحاوي» (290/1)، و«روضة الطَّالبين» (32/2).
(14) «الفروع» (119/2).
(15) «المغني» (155/2)، «الشَّرح الكبير» (186/2)، «الهداية» (52/1)، «المُحرَّر» (151/1)، و«المبدع» (163/2).
(16) «فتاوى الشَّيخ محمَّد بن إبراهيم» (21/3).
(17) دروس لسماحة الشَّيخ ابن باز على «بلوغ المرام» حديث (49).
(18) «المُلخَّص الفقهي» (263/1).

**واستدلُّوا لذلك بالسُّنَّة والإجماع والآثار والمعقول.**

**أوَّلاً ـ السُّنَّة:**

1 ـ استدلُّوا بحديث ابن حَزْن الكُلَفي رضي الله عنه، وفيه: «أنَّ النَّبيَّ ﷺ قد رُؤيَ يَخطُبُ يومَ الجُمعَة مُتوكِّئًا على عصا» وقد مرَّ قريبًا.

2 ـ وبحديث سَعْد القَرَظ المُؤذِّن رضي الله عنه وفيه: «أنَّ رسولَ الله ﷺ كان إذا خَطَبَ في الحرب خطبَ على قَوْس، وإذا خَطَبَ في الجمعة خَطَبَ على عصا»[19].

3 ـ وبما رُويَ عن عبد الله بن الزُّبَيْر رضي الله عنه: أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان يَخطُبُ بمخصرة[20] في يده»[21].

4 ـ وبما ذُكرَ عن عبد الله بن عبَّاس رضي الله عنه أنَّه قال: «كان رسولُ الله ﷺ يَخطُبُهم يومَ الجمعة في السَّفر مُتوكِّئًا على قوس قائمًا»[22].

5 ـ وبما جاء عن عطاء يَرويه عنه ابنُ جُرَيْج قال: «قُلتُ لعطاء: أكان رَسولُ الله ﷺ يَقُومُ على عصا إذا خطب؟ قال: نَعَم، كان يَعتَمِدُ عليها اعتمادًا»[23].

6 ـ كما استندوا إلى حديث أنس رضي الله عنه أنَّه قال: قال رسول الله ﷺ: «حَمْلُ العَصَا عَلاَمَةُ المُؤمِن

(19) أخرجه البيهقي في «السُّنن الكبرى» (292/3)، قال الألباني في «السِّلسلة الضَّعيفة» (381/2): «فيه عبدُ الرَّحمن بنُ سعد بن عمَّار وهو ضعيف».
(20) هي ما اختَصَرَ الإنسانُ بيده فأمسَكَه من عصا أو مقرعة أو عكازة وما أشبهها، وقد يَتَّكئُ عليها، «لسان العرب» (109/4).
(21) أخرجه ابن سعد في «الطَّبقات» (377/1)، وعلَّقَ عليه الألباني في «الضَّعيفة» (964) بقوله: «هو بسَنَد رجالُه ثقات، غيرَ أنَّ فيه ابنَ لهيعة سيِّءُ الحفظ».
(22) ذكره الألباني في «السِّلسلة الضَّعيفة» (380/2) وقال: «رواه أبو الشَّيخ (146) بسند واه جدًّا، فيه الحسن بن عمارة وهو متروك».
(23) أخرجه الشَّافعي في «الأمِّ» (177/1)، وهو مُرسَلٌ صحيح كما في «السِّلسلة الضَّعيفة» (964).

وسُنَّةُ الأَنْبِيَاءِ»[24].

**ثانيًا ـ الإجماع:**

قال القرطبي: «والإجماع منعقد على أن الخطيب يخطب متوكئًا على سيف أو عصا فالعصا مأخوذة من أصل كريم، ومعدن شريف، ولا ينكرها إلا جاهل»[25].

وقال ابن العربي: «أما إنه يحتاج إلى العصا في الدين في موضع واحد إجماعا، وهو الخطبة»[26].

**ثالثًا ـ الآثار:**

وأمَّا من جهة الآثار فقد استندوا إلى:

1 ـ ما عُزيَ إلى الخلفاء الثَّلاثة الرَّاشدين أبي بكر وعمر وعثمان، أنَّهم كانوا إذا قاموا على المِنبَر يومَ الجمعة تَوَكَّؤوا على عصا[27].

2 ـ ما ذُكرَ عن عبد الله بن مسعود[28] أنَّه كان يَخطُب بالقَضيب[29].

3 ـ ما أُثرَ عن هشام بن عروة أنَّه قال: «رَأَيْتُ عبدَ الله ابنَ الزُّبَيْر يخطب وفي يده عصا»[30].

4 ـ وما رواه طلحةُ بنُ يحيى فقال: «سمعتُ عمرَ بنَ عبد العزيز يقرأ وهو على المنبر: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ﴾ [الزُّمَر: 54] وفي يده عصا»[31].

**رابعًا ـ المعقول:**

وأمَّا من جهة المعقول: فبتعليلات

(24) أخرجه الدَّيْلَمي في «مسند الفردوس» (147/2)، وقال الألباني: «موضوع» كما في «السِّلسلة الضَّعيفة» (19/2)، و«ضعيف الجامع» (404/1).
(25) «الجامع لأحكام القرآن» (188/11).
(26) «أحكام القرآن» (1260/3).
(27) انظر «المُدوَّنة» (151/1)، و«زاد المعاد» (190 ـ 189/1).
(28) ذكره القرطبي في «جامعه» (189/11).
(29) هو الغصن، وكل نَبْت من الأغصان يُقضَب أي يُقطَع، يراجع «لسان العرب» (201/11).
(30) أخرجه عبدُ الرَّزَّاق في «المُصنَّف» (5659).
(31) أخرجه ابنُ أبي شيبة في «المُصنَّف» (5207).

مدارها على أنَّ التَّوكُّؤَ أبعَدُ عن العبث باليد[32]، أو لأنَّه أجْمَعُ للقلب من الحركة وأقربُ إلى الإقبال على الخطبة[33]، أو لكونه أرْفَقَ للخطيب وأثْبَتَ له[34].

□□□

**القول الثَّاني:** مذهب من يرى أنَّ التَّوكُّؤَ على عصا أو قوس مكروه، وإنَّما المستحَبُّ التَّوكُّؤ على سيف.

وبه يقول الأحناف[35].

وعلَّلوا ذلك بأنَّ الحكمةَ من الاعتماد على السَّيف هي لتخويف من ارتَدَّ عن الإسلام بمقاتلته حتَّى يرجع إلى دينه[36].

وجاء في «مغني المحتاج» من أنَّ الحكمةَ من ذلك هي للإشارة إلى أنَّ هذا الدِّين قام بالسَّيف[37].

□□□

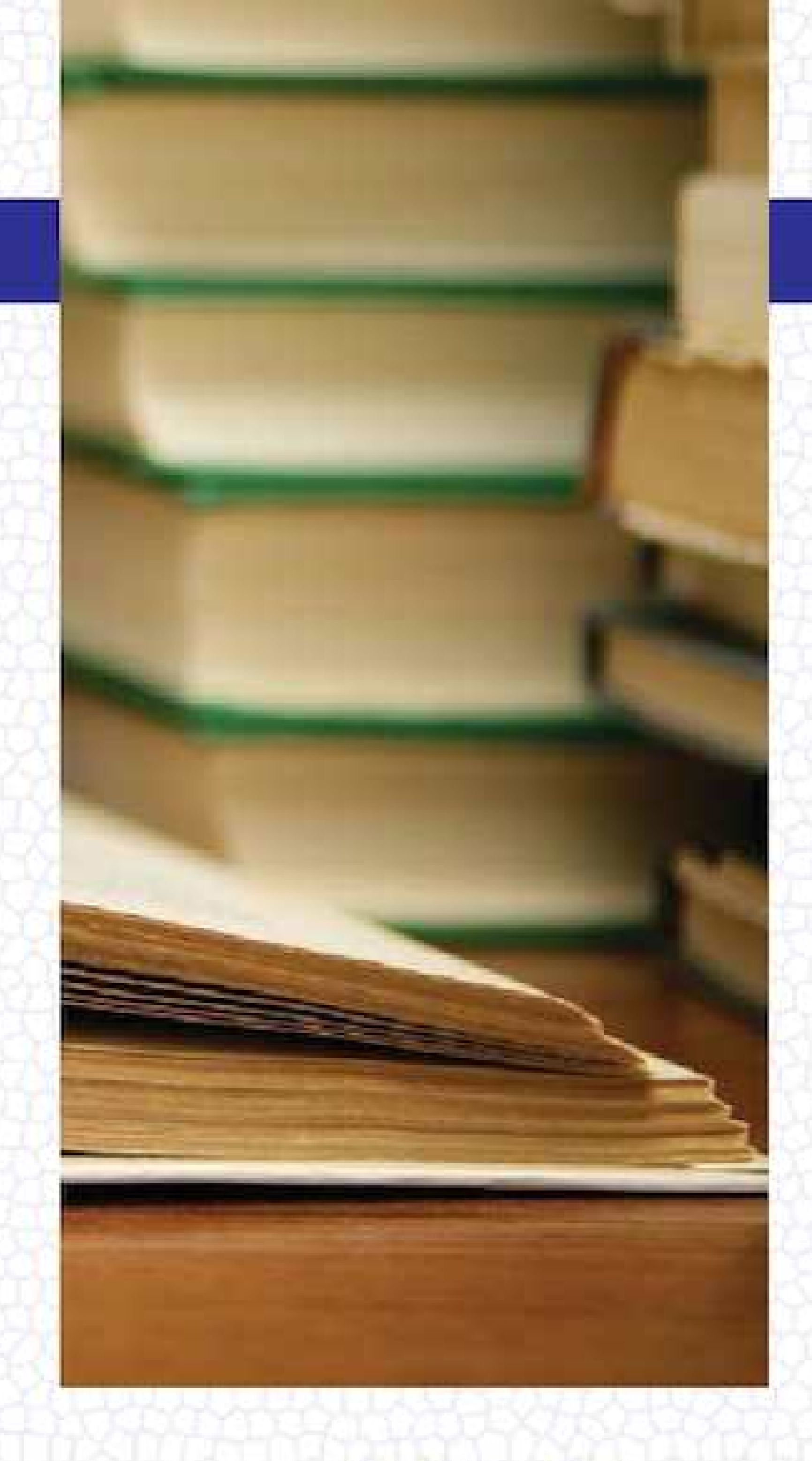
**القول الثَّالث:** وهو مذهب من لا يرى شرعيَّة التَّوكُّؤ على شيءٍ أصلاً.

اختاره الشَّيخ الألباني[38] والشَّيخ ابن عثيمين[39].

وحجَّتُهم في ذلك أنَّه لم يَصِحَّ في السُّنَّة الصَّحيحة ما يَصلُحُ للانتهاض لإثبات ذلك، وخيرُ الهَدْي هديُ مُحمَّد ﷺ، على أنَّ بعضَهم صرَّح بأنَّ ذلك خلافُ السُّنَّة على ما في «حاشية الطَّحطاوي»[40].

❀❀❀

(32) «المجموع» (4/399).
(33) قاله العلاَّمةُ ابنُ باز في «شرحه لبلوغ المرام» حديث (409).
(34) انظر «فتاوى الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم» (3/21).
(35) «شرح الدُّرِّ المختار» (1/149)، «نور الإيضاح» (ص206)، «حاشية الطَّحطاوي» (ص280).
(36) «مراقي الفلاح» (ص206).
(37) «مغني المحتاج» (1/220).
(38) يراجع «الضَّعيفة» (2/380.383).
(39) انظر «مجموع فتاوى ورسائل الشَّيخ العثيمين» (16/95) و«الشَّرح الممتع» (5/63)، وقيَّدَ الشَّيخُ الجوازَ بالحاجة إلى ذلك.
(40) «حاشية الطَّحطاوي على مراقي الفلاح» (ص515).



## موازنة ومناقشة:

**أمَّا الأدلَّةُ الَّتي ساقها الجمهورُ للتَّدليل على سُنِّيَّة حَمْلِ العصا؛ فإنَّه يُمكنُ مناقشَتُها على النَّحوِ التَّالي:**

**أ. بخصوص السُّنَّة:**

1. تُناقَشُ بأنَّ كلَّ الأحاديث الَّتي ورد فيها ذكرُ توكُّؤِ النَّبيِّ ﷺ على عصا أو قوس يومَ الجمعة على المنبر لم تَسْلَمْ من الطَّعن من قِبَل السَّنَد، فلا تلزَمُ حُجَّةٌ.

2. وبأنَّ ما سَلِمَ منها من الطَّعن، فليس فيه التَّصريحُ بأنَّ ذلك كان يومَ الجمعة، بل الصَّحيح أنَّ المقصودَ به صلاةُ العيدِ على الأرض، وليس صلاةَ الجمعة.

3. وبأنَّه على التَّنزُّلِ وتسليم سَلامتِها من الطَّعنِ ووقوعِ التَّصريحِ فيها بأنَّ ذلك كان في صلاة الجمعة وليس في العيد؛ فإنَّها محمولةٌ على التَّحقيق من أقوال أهلِ العلم على فترة ما قبلَ اتِّخاذ المنبر، لا ما بعده، ومَنْ رام التَّوسُّعَ في ذلك فعليه بكتاب «السِّلسلة الضَّعيفة»[41] للشَّيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ؛ فإنَّه حرَّرَ فيه هذه المسألةَ ببحث لطيف عزيز هو في غاية الجودة، وفي النَّفاسة بمكانٍ، كرَّ فيه الشَّيخُ على أقوالِ المخالفين بالهدم والتَّفنيدِ بما لا يدع لغيره مجالاً للإضافة!

4. كما يعضُدُ ذلك ويُعزِّزُه كلامُ ابنِ القيِّم في «الزَّاد» عند مَعرض بيان هديه ﷺ في خُطَبه، ومَحلُّ الشَّاهد منه: «فإنَّه لا يُحفَظُ عنه بعد اتِّخاذ المنبر أنَّه كان يَرْقَاهُ بسيفٍ ولا قوس، ولا غيرِه»[42].

**ب. بخصوص الآثار:**

وأمَّا مناقشةُ الآثار فبالقول بأنَّها تَفتقر إلى إثبات من جهة السَّنَد، والحُكمُ فَرْعُ التَّصحيح، ثمَّ على تسليم ذلك فغايةُ ما تُفيدُ الاستئناسَ لا التَّشريعَ الَّذي هو من خصائص النَّبيِّ ﷺ الَّتي لا يجوزُ تشريكُ غيره معه فيها.

**ج. أمَّا الإجماع:**

فإنَّه يكفي في نَقضه وعدم الاعتداد به ما مرَّ في موضعه من مخالفةَ الأحناف له فضلا عن كونه لا مُستَنَدَ له صحيح.

**د. وأمَّا بخصوص التَّعليلات المَسُوقَة لهذا الغرض:**

فجوابُها أنَّ الأصلَ الدَّليلُ لا التَّعليل.

□□□

وعليه؛ فمُحصَّلُ ما بخصوص هذه المسألة، أنَّه قد وقع إطباقُ السَّلف على أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان في الفترة الأولى يَخطُبُ مُتوكِّئًا على عصا أو قوس أو غيرهما، كما أنَّه أيضًا ليس ثمَّةَ في الأدلَّة ما يُفيدُ بصراحة أنَّ النَّبيَّ ﷺ توكَّأ على عصا بعد صُنْعِ المنبر.

❀❀❀

(41) انظر «السِّلسلة الضَّعيفة» (2/381.383).

(42) «زاد المعاد» (1/429).

## التَّرجيح:

فالَّذي أراه هنا أَصْلَحَ للتَّرجيح وأَجْدَرَ بالتَّعويل عليه هو أنَّه لا مُسوِّغَ لحمل العصا على المنبر ما لم تَدْعُ إلى ذلك حاجةٌ، وذلك لأمورٍ أربعةٍ على الأقلِّ:

الأوَّل: أنَّه لا يوجَدُ في أدلَّة القائلين باستحباب حملِ العصا من النُّصوص الصَّريحة ما يَصِحُّ عزوُه إلى النَّبيِّ ﷺ ممَّا يُسعِفُ هذا القولَ كما مرَّ معنا في موضعه، ولهذا قال مُحدِّثُ الشَّام: «واعلَمْ أنَّه ليس في الباب في الحَضِّ على حملِ العصا حديثٌ يَصِحُّ، وأنَّ حملَ العصا من سُنَنِ العادة لا العبادة»[43].

الثَّاني: ولأنَّه لم يَنقُلْ لنا أحدٌ من أصحاب الرَّسول ﷺ المُعتَنِين بأقواله والحريصين على نَقلِ أفعاله وهديه، أنَّه ـ عليه الصَّلاةُ والسَّلام ـ حمل العصا على المنبَر، سوى ما ذُكرَ من النُّصوص الَّتي إمَّا أنَّها لم تَسلَمْ من الطَّعنِ من قِبَلِ السَّنَد كما مرَّ بيانُه عند تخريجها، وإمَّا أنَّها غير مُتحقِّقة في مَحلِّ النِّزاع وإن سَلِمَتْ من الطَّعن فيها مع العلم أنَّ حملَ العصا على المِنبَرِ لو كان من هدي النَّبيِّ ﷺ الرَّاتب لما جَازَ أن يخفى ذلك على جمهور الصَّحابة الَّذين كانوا يُشاهدونَه على المنبَرِ يَخطُب مرَّةً كلَّ أسبوع، ثمَّ هم يُفرِّطُون في نقلِ ذلك عنه مع وجودِ المُقتَضي وعدم المانع، وعليه؛ فلمَّا لم يُنقَلْ ذلك عنهم مع تَوافُرِ الدَّواعي والهِمَم على نَقله عُلِمَ على جهة الجزم والقَطع بأنَّ النَّبيَّ ﷺ لم يَكُنْ يفعَلُه فضلاً عن كونه أَمَرَ بفعله؛ إذ كيف يُعقَل أنَّهم يَحرِصُون رضي الله عنهم على نَقلهم لنا هديَه عليه السلام في تَبوُّله وتَغوُّطه ـ بأبي هو وأُمِّي ـ بأدقِّ التَّفاصيل، ثمَّ يُهمِلُونَ نقلَ هَديه ﷺ لنا في شَعيرَةٍ هي من أعظم شعائِرِ الإسلام، مع ما أَخَذَ اللهُ على نفسه من الوَعد الَّذي لا يُخلَفُ بحفظ شَريعته! هذا ممَّا يُصانُ عنه هؤلاء الكرام الأخيار قطعًا».

الثَّالث: ولأنَّه لو سَلَّمْنا ثبوتَ ذلك جدلاً؛ فإنَّه يكون محمولاً على مَنْ كان له عادةٌ بحملِ عصا لا يُفارِقُها في أَغْلَبِ أوقاته كما كان شأنُ نبيِّ الله موسى ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ، وأمَّا من لا فلا.

والرَّابع: ولأنَّه لا حاجة تُسوِّغُ ذلك، قال الشَّيخ ابنُ عثيمين في «الشَّرح الممتع» (63/5): «إنَّ الاعتمادَ إنَّما يكون عند الحاجة؛ فإنِ احتاجَ الخطيبُ إلى اعتماد، مثل أن يكون ضعيفًا يحتاج إلى أن يَعتَمِدَ على عصا فهذا سُنَّةٌ؛ لأنَّ ذلك يعينه على القيام الَّذي هو سُنَّةٌ، وما أعان على سُنَّة فهو سُنَّةٌ، أمَّا إذا لم يكن هناك حاجةٌ، فلا حاجة إلى حمل العصا» اهـ.

□□□

والحمد لله ربِّ العالمين، وصلَّى اللهُ وسلَّمَ على مُحمَّدٍ وآله وأصحابه أجمعين.





(43) انظر «السِّلسلة الضَّعيفة» (20/2).




# ثلاث خصال
## بهنّ صلاح الحال والمآل

حسن أيت علجت

إنَّ من خصائص الشَّريعة الإسلاميَّة: الشُّموليَّةَ، فهي شريعةٌ شاملةٌ لمصالح الدُّنيا والدِّين، ونظامٌ كاملٌ مصلحٌ للخلق، فبالتَّمسُّك بهذه الشَّريعة العظيمة تَحصُل للعبد سعادةُ الدُّنيا والآخرة؛ إذْ إنَّ هذه الشَّريعةَ الرَّبَّانيَّة قائمةٌ على جلب المصالح وتكميلها، ودَرْءِ المفاسد وتقليلها، وذلك بما اشتملَتْ عليه من الأحكام العادلة الحكيمة: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: 115]؛ أي: صدقًا في الأخبار، وعدلاً في الأحكام.

ومن الأمور الَّتي حثَّتْ عليها الشَّريعةُ، وأمرَتْ بها على سبيل الحتم والإلزام، وتكرَّرَتْ في طائفةٍ من الأحاديث النَّبويَّة؛ ثلاثُ خصالٍ عظيمة يتعيَّن على كلِّ مسلم الاتِّصاف بها؛ إذْ هي من الواجبات المتحتِّمَة وهي:

الأولى: توحيد ربِّ العالمين.

الثَّانية: لزوم جماعة المسلمين.

الثَّالثة: طاعة ولاة الأمور الحاكمين.

وهذه الخصَالُ الثَّلاثةُ فيها صَلاحُ الدُّنيا والدِّين، وبها تكونُ سعادةُ الدَّارَيْن، كما أنَّ تركَها والإخلالَ بها يترتَّبُ عنه فسادٌ كبيرٌ وشرٌّ مستطيرٌ، وقد قرَّرَ أهلُ العلم هذا الأمرَ في كتُبهم، ومن ذلك ما ذكره الشَّيخ محمَّد ابن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ اللهُ في «مسائل الجاهليَّة» (ص7) حيث قال: «ولم يقع خللٌ في دين النَّاس ودنياهم؛ إلاَّ بسبب الإخلال بهذه الثَّلاث، أو بعضها».

وقال شيخُ الإسلام ابنُ تيمية رَحِمَهُ اللهُ في «مجموع الفتاوى» (1/ 18): «وهذه الثَّلاث: تجمعُ أصولَ الدِّين وقواعدَه، وتجمعُ الحقوقَ الَّتي لله ولعبادِه، وتنتظم مصالحَ الدُّنيا والآخرة».

وبيان ذلك أنَّ الحقوقَ قسمان:

الأوَّل: حقُّ الله تعالى، وهو أن نعبُدَه، ولا نُشرِكَ به شيئًا، وهذا مصداقُ حديث معاذ بن جبل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في «الصَّحيحَيْن» مرفوعًا: «حَقُّ اللهِ عَلَى عِبَادِهِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا».

الثَّاني: حقُّ العباد، وحقوق العباد قسمان:

حقوقٌ خاصَّةٌ: كبرِّ الوالدَيْن، وحقِّ الزَّوجة، والجار، وقد يخلو العبد عن وجوبها عليه.

حقوقٌ عامَّةٌ: وهي الَّتي لسائر النَّاس، وهم نوعان:

الأوَّل: رعاةٌ، فيَتعيَّنُ عليه مناصحَتُهم.

الثَّاني: رعيَّةٌ، ويتعيَّنُ عليه لزومُ جماعتهم؛ فإنَّ مصلحتَهم لا تتمُّ إلاَّ باجتماعهم[1].

ومن هذه الأحاديث النَّبويَّة الشَّريفة الَّتي جمع فيها النَّبيُّ ﷺ بين هذه الخصالِ الثَّلاثة:

1. ما رواه مالك (825)، وأحمد (8799)، ومسلم في «صحيحه» (1715) عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «إِنَّ اللهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلاَثًا: يَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ، وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا، وَأَنْ تُنَاصِحُوا مَنْ وَلاَّهُ اللهُ أَمْرَكُمْ».

2. وما رواه أحمد، وأصحاب السُّنن، وغيرُهم عن جمع من الصَّحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «ثَلاَثٌ لاَ يَغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُسْلِمٍ: إِخْلاَصُ العَمَلِ لله،

(1) انظر «فتاوى ابن تيمية» (18/1).

ومُنَاصَحَةُ وُلَاةِ الأَمْرِ، ولُزُومُ الجَمَاعَةِ؛ فَإِنَّ دَعْوَتَهُمْ تُحِيطُ مِن وَرَائِهِمْ»[2].

قال شيخُ الإسلام ابن تيمية: «و«يَغِلُّ». بالفتح. هو المشهور، ويقال: غَلَّ صدرُه، يَغِلُّ؛ إذا كان ذا غشٍّ وضغنٍ وحقد، أي: قلب المسلم لا يَغِلُّ على هذه الخصال الثَّلاثة. المتقدِّمة في قوله: «إِنَّ اللهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا: أَنْ تَعْبُدُوهُ ولَا تُشْرِكُوا به شَيْئًا، وأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا ولَا تَفَرَّقُوا، وأَنْ تُنَاصِحُوا مَنْ وَلَّاهُ اللهُ أَمْرَكُمْ»؛ فإنَّ الله إذا كان يرضاها لنا؛ لم يكن قلبُ المؤمن الَّذي يحبُّ ما يحبُّه الله يَغِلُّ عليها: يبغضها، ويكرهها، فيكون في قلبه عليها غلٌّ؛ بل يحبُّها قلبُ المؤمن، ويرضاها»[3].

3. وما رواه أحمد (17144)، والتِّرمذي (2676)، وأبو داود (4607) - واللَّفظ له - عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: صلَّى بنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم، ثمَّ أقبلَ علينا، فوعظنا موعظةً بليغةً؛ ذرفتْ منها العيونُ، ووجلت منها القلوبُ، فقال قائلٌ: يا رسولَ الله؛ كأنَّ هذه موعظةُ مُودِّع، فماذا تعهدُ إلينا؟ فقال: «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ، والسَّمْعِ والطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا؛ فإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وسُنَّةِ الخُلَفَاءِ المَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بها، وعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وإِيَّاكُمْ ومُحْدَثَاتِ الأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»[4].

قال الحافظُ ابنُ رجب رحمه الله: «وقولُه صلى الله عليه وسلم: «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ، والسَّمْعِ والطَّاعَةِ»، فهاتان الكلمتان تجمعان سعادةَ الدُّنيا والآخرة:

أمَّا التَّقوى، فهي كافلةٌ بسعادة الآخرة لمن تمسَّكَ بها، وهي وصيَّةُ الله للأوَّلين والآخرين، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء: 131].

وأمَّا السَّمع والطَّاعة لولاة أمور المسلمين، ففيها سعادةُ الدُّنيا، وبها تنتظم مصالحُ العباد في معايشهم، وبها يستعينون على إظهار دينهم، وطاعة ربِّهم»[5].

وسيأتي بيانُ أنَّ التَّوحيدَ هو أساسُ التَّقوى، والأصلُ الَّذي بُنِيَتْ عليه.

4. وما رواه أحمد (16947)، ومسلم (55) عن تميم الدَّاري رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ، الدِّينُ النَّصِيحَةُ، الدِّينُ النَّصِيحَةُ»، قالوا: لمن يا رسولَ الله؟ قال: «للهِ ولِكِتَابِه ولِرَسُولِه ولِأَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ وعَامَّتِهِمْ».

قال شيخُ الإسلام ابنُ تيمية في «مجموع الفتاوى» (1/ 19) عن هذه الخصال الثَّلاثة: «فهذه الخصالُ تَجمَعُ أُصولَ الدِّين، وقد جاءت مُفسَّرةً في الحديث الَّذي رواه مسلمٌ عن تميم الدَّاري قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ، الدِّينُ النَّصِيحَةُ، الدِّينُ النَّصِيحَةُ»، قالوا: لمن يا رسولَ الله؟ قال: «للهِ ولِكِتَابِه ولِرَسُولِه ولِأَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ وعَامَّتِهِمْ»، فالنَّصيحةُ للهِ ولكتابه ولرسوله تدخل في حقِّ اللهِ وعبادته وحده لا شريك له، والنَّصيحةُ لأئمَّة المسلمين وعامَّتهم هي مناصحةُ ولاة الأمر ولزومُ جماعتهم؛ فإنَّ لزومَ جماعتهم هي نصيحتُهم العامَّةُ، وأمَّا النَّصيحةُ الخاصَّةُ لكلِّ واحدٍ منهم بعينه، فهذه يُمكنُ بعضُها، ويتعذَّرُ استيعابُها على سبيل التَّعيين».

5. وما رواه مسلم (1844) عن عبد الله ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي؛ إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، ويُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَإِنَّ أُمَّتَكُمْ هَذِه جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا، وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلَاءٌ وأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا، وتَجِيءُ فِتْنَةٌ فَيُرَقِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وتَجِيءُ الفِتْنَةُ فَيَقُولُ المُؤْمِنُ هَذِه مُهْلِكَتِي، ثُمَّ تَنْكَشِفُ، وتَجِيءُ الفِتْنَةُ، فَيَقُولُ المُؤْمِنُ: هَذِه، هَذِه؛ فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ، ويُدْخَلَ الجَنَّةَ؛ فَلْتَأْتِه مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللهِ واليَوْمِ الآخِرِ، ولْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ، ومَنْ بَايَعَ إِمَامًا، فَأَعْطَاهُ صَفْقَةَ يَدِه وثَمَرَةَ قَلْبِه؛ فَلْيُطِعْهُ إِنِ اسْتَطَاعَ، فَإِنْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ؛ فَاضْرِبُوا عُنُقَ الآخَرِ».

قال شيخُ الإسلام ابن تيمية بعد أن ذكر هذا الحديثَ: «فهذه الوظائفُ الثَّلاث الَّتي جَمَعَها في هذا الحديث، من قواعد الإسلام، وكثيرًا ما يذكُرُها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم:

مثل قوله في حديث أبي هريرة: «إِنَّ اللهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا: أَنْ تَعْبُدُوهُ ولَا تُشْرِكُوا به شَيْئًا، وأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا ولَا تَفَرَّقُوا، وأَنْ تُنَاصِحُوا مَنْ

---

(2) وهو طرفٌ من حديث: «نَضَّرَ اللهُ امْرَءًا...»، وهو حديث متواتر، فقد ذكر الحافظ السُّيوطي في «تدريب الرَّاوي» (2/630) أنَّه من رواية نحو ثلاثين صحابيًّا، وللشَّيخ عبد المحسن العبَّاد دراسةٌ لهذا الحديث روايةً ودرايةً، وصحَّحه العلاَّمة الألباني في «الصَّحيحة» (404).

(3) «مجموع الفتاوى» (35/7 - 8).

(4) صحَّحه جمع من الحفَّاظ، ذكرهم العلاَّمة الألباني رحمه الله في «الإرواء» (2455)، وأقرَّهم على تصحيحه.

(5) «جامع العلوم والحكم» (2/767 - 768) بتصرُّف.

وَلاَّهُ اللهُ أَمْرَكُمْ».

ومثـل قوله في حديث زيـد بن ثابت: «ثَلاَثٌ لا يَغِلُّ عليهِنَّ قَلْبُ مُسْلِم: إِخْلاَصُ العَمَلِ لله، ومُنَاصَحَةُ وُلاَةِ الأُمُورِ، ولُزُومُ جَمَاعَةِ المُسْلمِينَ».

وذلك أَنَّ الاجتماعَ والائتلافَ اللَّذَيْن في هذَيْـن الحديثَـيْن، لا يتِـمُّ إلاَّ بالمعنى الَّذي وصَّـى بـه في حديث عبـد الله بن عمرو، وهو قوله: «وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ»، وهذا القَدْرُ واجبٌ؛ لأنَّـه قَرَنَه بالإيمـان، وبالطَّاعة للإمام، في سياقِ مـا يُنجـي مـن النَّـار ويوجبُ الجنَّةَ، وهذا إنَّما يُقال في الواجبات؛ لأنَّ المُستَحبَّ لا يَتوقَّفُ عليه ذلك، ولا يستقلُّ بذلك، ولهذا عامَّةُ الأحاديث الَّتي يُسأَلُ فيها النَّبيُّ ﷺ عمَّا يُدخلُ الجنَّةَ ويُنْجي من النَّارِ؛ إِنَّما يَذْكُرُ الوَاجِبَاتِ»[6].

❀❀❀

(6) «إقامَة الدَّليل على إبطال التَّحليل» (ص231).



### الخصلة الأولى ـ التَّوحيد:

في الحديـث الأوَّل: جـاء التَّعبير عن التَّوحيد بلفظ: «أَنْ تَعْبُدُوهُ، ولاَ تُشْـرِكُوا به شَـيْئًا»، وهذه الجملة تتضـمَّن حقيقة الكلمـة الطَّيِّبَة «لا إله إلاَّ الله»؛ ذلك بأنَّ هذه الكلمةَ جَمَعَتْ بـين النَّفي والإثبات: فـ«لاَ إِلَهَ»: نفيٌ لاسـتحقاقِ الألوهيَّة عمَّا سـوى الله ـ عـز وجل ـ؛ فهو نفيٌ لعبادة غـير الله ـ عز وجـل ـ، و«إلاَّ الله»: إثباتٌ لاسـتحقاق الألوهيّة لله ـ عز وجل ـ؛ فهو إثباتٌ لعبادة الله ـ عز وجل ـ.

فـ«لا إله» تتضمَّن معنى: «وَلاَ تُشْرِكُوا به شَـيْئًا»، و«إلاَّ الله» تتضمَّن معنى: «أَنْ تَعْبُدُوهُ».

في الحديـث الثَّـاني: جـاء التَّعبيرُ عـن التَّوحيـد بلفـظ: «إِخْلاَصُ العَمَلِ لله»، والإخلاص هو: إفـرادُ الله تعالى بالقصـد في الطَّاعـة، وحقيقتُه أن تكون أعمالُ العبد جميعًا مصـروفةً لله تعالى وحدَه لا شـريكَ له، لا حظَّ فيها لنفسـه ولا لمخلوق.

في الحديـث الثَّـالث: جـاء التَّعبيرُ عـن التَّوحيـد بلفـظ: «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ»، قال الحافـظُ ابنُ رجب في «جامع العلـوم والحكـم» (2/ 468): «وأصـلُ التَّقـوى أن يجعـل العبـدُ بَينَـه وبـين ما يخافُـه ويَحذَرُه وقايةً تَقيـه منه، فتقوى العبدِ لرَبِّه أن يجعل بينَه وبين ما يخشاه مـن ربِّه ـ مـن غضَبِـه وسَـخَطه وعِقَابِه ـ وقايـةً تقيه مـن ذلك وهو فعـلُ طاعتِه واجتنابُ معاصيه».

فالتَّقـوى ـ إذًا ـ هـي: فعـلُ المأمـور، وتـركُ المحظـور، ولا شـكَّ أَنَّ أَعْظَـمَ المأمـورات عبـادةُ الله وحدَه لا شـريكَ لـه، وأعظَمُ المَنهيَّـاتِ أَنْ يُعْبَدَ مَعَهُ غيرُه ـ سـبحانه ـ، وأن يُشـرَكَ معـه غـيرُه في العبادة.

وفي الحديث الرَّابع: جاء التَّعبيرُ عن التَّوحيد بلفـظ: «النَّصـيحَةُ لله ولِكِتَابِه ولِرَسُولِه»، والنُّصـح إخلاصُ العمل من شـوائبِ الفسـادِ، ومعناه: حيازةُ الحظِّ للمنصوح له[7].

قـال شـيخُ الإسـلام ابـنُ تيمية في «مجمـوع فتـاواه» (1/ 19) عنـد ذكره لهذا الحديث: «فالنَّصـيحةُ لله ولكتابه ولرسـوله تدخُـلُ في حـقِّ الله وعبادتِـه وحدَه لا شريكَ له».

وفي الحديث الخامس: جاء التَّعبيرُ عـن التَّوحيد بلفـظ: «فَلْتَأْتِـه مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِـنُ بـالله»، والإيمـانُ بـالله تعـالى يتضَـمَّنُ الإيمانَ بألوهيَّتِـه، وهو الإيمانُ بأنَّـه وحدَه الإله الحقُّ لا شـريكَ له، وفي هذا قـال ابنُ تيمية في «مجمـوع فتاواه» (3/ 89 ـ 90): «ويجـب الإيمانُ بأنَّ اللهَ أَمَرَ بعبادَته وحدَه لا شريكَ له، كما خلق الجـنَّ والإنـسَ لعبادَتِـه، وبذلك أرسـلَ رُسُـلَه، وأنـزَلَ كتُبَـه، وعبادتُه تتضـمَّن كمـالَ الذُّلِّ والحُـبِّ له، وذلك يتضـمَّنُ كمالَ طاعته...».

### الخصلة الثَّانية ـ لزومُ الجماعة:

في الحديـث الأوَّل: جـاءَ التَّعبيرُ عن لـزوم الجماعة بلفـظ: «وَأَنْ تَعْتَصِـمُوا بِحَبْـلِ الله جَميعًـا وَلاَ تَفَرَّقُـوا»، قـال العلاَّمـةُ أبـو العبَّاس القُرطُبـي في «المُفهِـم» (5/163): «أي: اجتمعـوا على الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة اعتقادًا وعملاً، فتتَّفقَ كلمَتُكم، وينتظمَ شتاتُكم، فتتـمَّ لكـم مصـالحُ الدُّنيـا والدِّيـن، وتَسـلَمُوا من الاختلافِ والافتراقِ الَّذي حَصَلَ لأهل الكتابَيْن».

(7) انظر: «عمدة القاري» للعيني (11/ 281).

فيكـون المأمورُ به هـو الاجتماع على الحـقِّ الَّذي جاء بـه الرَّسـولُ ﷺ وهو الكتـابُ والسُّـنَّةُ، وفي هـذا قـال شـيخ الإسـلام ابـنُ تيميـة رحمه الله في «منهـاج السُّـنَّة» (5/ 134): «فـالله تعـالى قـد أمـر المؤمنـين كلَّهـم أن يَعتَصـمُوا بحَبلـه جميعًـا، ولا يتفرَّقُـوا، وقد فُسِّـرَ حبلُـه بكتابـه، وبدينـه، وبالإسـلام، وبالإخلاص، وبأمره، وبعَهده، وبطاعَته، وبالجماعـة، وهـذه كلُّهـا منقولـةٌ عـن الصَّـحابة والتَّابعـين لهم بإحسـان إلى يوم الدِّين، وكلُّها صـحيحةٌ؛ فإنَّ القرآنَ يأمـر بدين الإسـلام، وذلك هـو عهدُه وأمـرُه وطاعَتُه، والاعتصـامُ بـه جميعًا إنَّما يكـون في الجماعة، ودينُ الإسـلام حقيقتُه الإخلاصُ لله».

وفي الحديث الثَّاني: جاءَ التَّعبيرُ عن لزوم الجماعـة بلفظ: «وَلُزُومُ الجَمَاعَةِ؛ فَـإِنَّ دَعْوَتَهُـمْ تُحِيطُ مِـنْ وَرَائِهِمْ»، وقد فُسِّرَت الجماعةُ هنا بمعْنَيَيْن:

الأوَّل: أنَّ الجماعـةَ هم جماعةُ أهلِ الحـقِّ، ومعنـى الدَّعـوة هنـا هـو دعوة الإسـلام، وفي هـذا قـال الإمـامُ ابـن القَيِّـم في «مفتـاح دار السَّـعادة» (1/ 73): «وقولُـه: «فَـإِنَّ دَعْوَتَهُـمْ تُحِيـطُ مِـنْ وَرَائِهِـمْ»؛ هذا من أَحْسَـنِ الكلام، وأَوْجَـزِه، وأَفْخَمِـه معنًـى: شـبَّهَ دعـوَةَ المسلمين بالسُّور والسِّـياج المُحيط بهم، المانِع من دخـول عَدُوِّهـم عليهم، فتلك الدَّعـوةُ ـ الَّتي هي دعوةُ الإسـلام، وهم داخلونها ـ لمَّا كانَتْ سُورًا وسياجًا عليهم، أخبـر أنَّ مَـنْ لَـزِمَ جماعـةَ المسـلمين؛ أحاطت بـه تلك الدَّعوةُ الَّتـي هي دعوةُ الإسـلام، كما أحاطَـتْ بهـم، فالدَّعوةُ تَجمَعُ شَـمْلَ الأمَّة، وتلمُّ شَعْثَها، وتُحيطُ بها، فمَنْ دخل في جماعَتها؛ أحاطَتْ به، وشَمَلَتْه».

الثَّـاني: أنَّ الجماعـةَ هي المسلمون المُجتَمعون على حاكم، فينبغي الانضواءُ تحـتَ جماعَتهـم، وعَـدَمُ مفارقَتهـم، وفي هـذا قـال الإمـامُ ابنُ عبـد البَرِّ في «التَّمهيـد» (21/ 277): «وأمَّـا قولُـه: «فَـإِنَّ دَعْوَتَهُـمْ تُحِيـطُ مِـنْ وَرَائِهِمْ» أو: «هِـيَ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطَـةٌ»؛ فمعناه عند أهـل العلم: أنَّ أهلَ الجماعة في مصـرٍ من أمصـار المسلمين، إذا مات إمامُهم، ولم يكـن لهـم إمـامٌ، فأقام أهـلُ ذلك المصر ـ الَّذي هو حضرة الإمام وموضعُه ـ إمامًا لأنفُسهم، اجتمعوا عليه، ورضوه؛ فإنَّ كلَّ مَنْ خَلْفَهم وأَمَامَهم من المسلمين في الآفـاق يَلزَمُهـم الدُّخـولُ في طاعـة ذلـك الإمام، إذا لم يكنْ مُعلنًا بالفسـق والفسـاد، معروفًـا بذلـك؛ لأنَّهـا دعوةٌ محيطـةٌ بهـم يَجِـبُ إجابَتُها، ولا يَسَـعُ أحـدًا التَّخلُّفُ عنها، لمَا في إقامة إمامَيْن من اختلاف الكلمة، وفساد ذات البين».

وفي الحديـث الثَّالـث: جـاء التَّعبيرُ عـن لـزوم الجماعة بلفـظ: «فَعَلَيْكُمْ بِسُـنَّتِي وَسُـنَّةِ الخُلَفَـاءِ المَهْدِيِّـينَ الرَّاشِـدِينَ، تَمَسَّـكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ»، قال شـيخُ الإسلام ابنُ تيمية في «الاستقامة» (1/ 4): «فلولا أنَّ سنَّتَه وسـنَّةَ الخلفاء الرَّاشدين تَسَـعُ المؤمنَ، وتكفيـه عند الاختلاف الكثـير؛ لم يَجُزِ الأمرُ بذلك».

وقال الشَّـيخ عبدُ المُحسن العَبَّاد في «فتح القويِّ المتين» (ص97): «لمَّا أخبر ﷺ بحصول التَّفرُّق وكثرَته، أَرْشَدَ إلى طريق السَّلامة والنَّجاة، وذلك بالتَّمسُّك بسُنَّته وسُنَّة خلفائه الرَّاشدين...».

فتبيَّن من هـذا؛ أنَّه ﷺ بعد إخباره عـن الاختـلاف الَّـذي سـيَقَعُ في أُمَّته، أمَرَهم بالتَّمسُّـك بسُنَّته وسُـنَّة خُلفائه الرَّاشـدين، ليَتسـنَّى لهم الاجتماعُ على الحـقِّ، فيَلْزَمُوا بذلك جماعةَ أهلِ الحقِّ الَّتـي إمامُها رسـولُ الله ﷺ، وخلفاؤه الرَّاشدون رضي الله عنهم.

وفي الحديث الرَّابع: جاء التَّعبير عن لزوم الجماعة بلفظ: «النَّصِـيحَةُ لأَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»، أي: أنَّ لُزومَ جماعةِ المسـلمين مـن لـوازم النَّصـيحَة لهـم، وفي هـذا قـال ابـنُ تيميـة في «المجموع» (1/ 19): «والنَّصـيحة لأئمَّة المسلمين وعامَّتهـم، هـي مناصـحةُ ولاة الأمـرِ ولـزومُ جماعتهم؛ فإنَّ لـزومَ جماعتهم هي نصـيحتُهم العامَّة، وأمَّا النَّصـيحة الخاصَّـة لـكلِّ واحد منهـم بعينه، فهذه يُمكـنُ بَعضُـها، ويَتعذَّرُ اسـتيعَابُها على سبيلِ التَّعيين».

وفي الحديث الخامس: جاء التَّعبيرُ عـن لزوم الجماعـة بلفظ: «وَلْيَـأْتِ إِلى النَّاسِ الَّذِي يُحِـبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْه»، وهذا ـ أيضًـا ـ ممَّـا يَقتَضيـه لـزومُ جماعـةِ المسـلمين، كما قال شـيخ الإسـلام ابن تيميـة في كلامه الَّـذي سَـبَقَ ذكرُه عن هـذا الحديـث: «وذلـك أنَّ الاجتمـاعَ والائتلافَ، لا يَتمُّ إلاَّ بالمعنى الَّذي وصَّى بـه في حديث عبـد الله بن عمـرو، وهو قولُـه: «وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْه».

وهـذا هو معنى ما جـاء في الحديث الثَّالث من أنَّ لـزومَ الجماعة يَنْفي الغلَّ

والحقدَ وذلك في قوله ﷺ: «ثَلَاثٌ لَا يَغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُسْلِمٍ: ...ولُزُومُ الجَمَاعَةِ»، وفي هذا قال ابنُ القيِّم في «مفتاح دار السَّعادة» (1 /72 - 73): «وقولُه: «ولُزُومُ جَمَاعَتِهِمْ»؛ هذا - أيضًا - ممَّا يُطهِّرُ القلبَ من الغلِّ والغشِّ؛ فإنَّ صاحبَه للُزومه جماعة المسلمين؛ يحبُّ لهم ما يحبُّ لنفسه، ويَكرَهُ لهم ما يكرَه لها، ويسوؤُه ما يسوؤُهم، ويَسرُّه ما يَسرُّهُمْ؛ وهذا بخلاف مَن انحازَ عنهم، واشتغل بالطَّعن عليهم، والعيب والذَّمِّ لهم، كفعل الرَّافضة والخوارج والمعتزلة وغيرهم؛ فإنَّ قُلوبَهم مُمْتَلِئَةٌ غلًّا وغشًّا».

## الخصلة الثَّالثة - طاعةُ ولاة أمور المسلمين:

في الحديث الأوَّل والثَّاني والرَّابع: جاء التَّعبير عن طاعة ولاة الأمور بلفظ: «مُنَاصَحَةُ وُلَاةِ الأَمْرِ»، والتَّعريفُ الجامعُ للنَّصيحة هو أنَّها «كلمةٌ يُعبَّر بها عن جملة هي: إرادةُ الخير للمنصوح له، وليس يُمكنُ أن يُعبِّر هذا المعنى بكلمة واحدة تجمع معناه غيرها»[8] وعلى هذا؛ فمنْ تَمام النُّصح لولاة الأمور: السَّمعُ والطَّاعةُ لهم في طاعة الله ورسوله، وفي الأمور المباحة، وفي هذا قال الحافظُ ابنُ رجب في «جامع العلوم والحكم» (1/ 222): «وأمَّا النَّصيحةُ لأئمَّة المسلمين: فحُبُّ صلاحهم ورُشدهم وعَدلهم، وحُبُّ اجتماع الأمَّة عليهم، وكراهةُ افتراق الأمَّة عليهم، والتَّديُّنُ بطاعَتهم في طاعة الله - عز وجل -، والبغضُ لمَنْ رأى الخروجَ عليهم، وحُبُّ إعزازهم في طاعة الله - عز وجل -».

وفي الحديث الثَّالث: جاء التَّعبيرُ عن طاعة ولاة الأمور بلفظ: «أُوصِيكُمْ بالسَّمْعِ والطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا»، والمعنى: «السَّمعُ: بإجابة أقوالهم، والطَّاعة: لأوامرهم وأفعالهم»[9]، «أي: على أَنْ نسمعَ أَوَامِرَهُ وَنواهيَهُ، ونُطيعَه في ذلكَ»[10].

وفي الحديث الخامس: جاء التَّعبير عن طاعة ولاة الأمور بلفظ: «وَمَنْ بَايَعَ إِمَامًا، فَأَعْطَاهُ صَفْقَةَ يَده وثَمَرَةَ قَلْبه؛ فَلْيُطِعْهُ إن اسْتَطَاعَ»، فأمَرَ النَّبيُّ ﷺ بطاعة وُلاة الأمورِ بحَسَبِ القُدرة والطَّاقة.

❁❁❁

فتبيَّن من هذا كلِّه أهمِّيَّةُ هذه الأمور الثَّلاثة، وهي المجموعةُ في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ [النساء: 59].

فقولُه سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾؛ فيه إشارةٌ إلى وجوب التَّوحيد والإيمان والإخلاص.

وقولُه: ﴿وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ فيه الأمرُ بطاعة ولاة الأمور في المعروف.

وقولُه: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ فيه أمرٌ بالاجتماع على الحقِّ والائتلاف، وعدم التَّنازع والاختلاف.

والله الهادي إلى صراط مستقيم، وآخرُ دعوانا أن الحمدُ لله رَبِّ العالمين.

❁❁❁

(8) «معالم السُّنن» للخطَّابي (4/126)، «النِّهاية» لابن الأثير (5/63).

(9) «تحفة الأحوذي» للمباركفوري (10/352).

(10) «عون المعبود» للعظيم آبادي (8/ 113).



سيرة وتاريخ

# حقيقة الخَضر عليه السلام

إبراهيم بويران
البويرة

يعتبر الخضر من الشَّخصيَّات الَّتي كثُر حولها الجدل، ليس فقط عند المنتسبين للإسلام، بل حتَّى عند أصحاب الدِّيانات الأخرى.

وكم نُسجت من الخرافات، وراجت من الأباطيل في شأنه، ولذا؛ أحببت أن أكتب هذا المقال مُتوكِّلاً على الله مستعينًا به، في تجلية بعض ما غَمُضَ من سيرته وقصَّته، وبيان بعضِ ما افتُري عليه.

وسأتناول هذا الموضوع في عدد من النِّقاط.

## من هو الخضر و لماذا سُمِّي بذلك؟

اختلف المؤرِّخون في نسبِ الخضر واسمه، إلى نحوٍ من عشرة أقوال، كما ذكر ذلك غير واحدٍ من أهل العلم، منهم الإمام ابن كثير رحمه الله في «البداية والنِّهاية» (335/1)، وكذا الحافظ ابن حجر في كتابَيه «فتح الباري» (433/6)، و«الزهر النضر في حال الخضر»، وليس على واحد من تلك الأقوال دليلٌ صحيحٌ يُعوَّلُ عليه.

وقد اشتهر باسم الخضِر والَّذي يظهر أنَّ هذا لقبٌ لُقِّب به، وليس هو اسمه، قال الإمام ابن كثير: في «البداية والنهاية» (337/1): «والأَشْبَهُ وَاللهُ أَعْلَمُ أَنَّ الخَضِرَ لَقَبٌ غَلَبَ عَلَيْهِ».

وفي سبب تسميته بالخضر ثلاثة أقوالٍ لأهل العلم، القول الأوَّل والثَّاني ذكرهما ابن الجوزي في «زاد المسير» (97/3) حيث قال: «فأمَّا تسميته بالخضر، ففيه قولان:

أحدهما: أنَّه جلس في فروة بيضاء فاخضرَّت رواه أبو هريرة عن رسول الله ﷺ[1]، والفروة: الأرض اليابسة.

والثَّاني: أنَّه كان إذا جلس اخضرَّ ما حوله، قاله عكرمة.

وقال مجاهد: كان إذا صلَّى اخضرَّ ما حوله».

وأمَّا القول الثَّالث فذكره الإمام ابن كثير: في «البداية والنهاية» (337/1) نقلاً عن الخطَّابي أنَّه قال: «إِنَّمَا سُمِّيَ الْخَضِرُ خَضِرًا لِحُسْنِهِ وَإِشْرَاقِ وَجْهِهِ» انتهى.

(1) أخرجه البخاري (3402) عن أبي هريرة عن النَّبيِّ ﷺ قال: «إِنَّمَا سُمِّيَ الخَضِرَ لأَنَّهُ جَلَسَ عَلَى فَرْوَةٍ بَيْضَاءَ فَإِذَا هِيَ تَهْتَزُّ مِنْ خَلْفِهِ خَضْرَاءَ».

ثمَّ قال ابن كثير بعد نقله لكلام الخطَّابي: «قُلْتُ: هَذَا لا يُنَافِي مَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ فَإِنْ كَانَ وَلا بُدَّ مِنَ التَّعْلِيلِ بِأَحَدِهِمَا فَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ أَوْلَى، وأقوى بل لا يلتفت إِلَى مَا عَدَاه».

## التَّحقيق في نبوَّة الخضر:

اختلف أهل العلم في الخضر هل هو نبيٌّ أم لا؟

فذهب كثيرٌ منهم إلى أنَّه نبيٌّ.

وقال آخرون: هو وليٌّ وليس بنبي.

وأغرب بعضهم فقال: هو ملك من الملائكة!!

قال الإمام النَّووي: في «شرح مسلم» (134/15) في سياق ذكر اختلاف العلماء في نبوَّته: «وحكى الماوردي في تفسيره ثلاثة أقوال: أحدها: نبيٌّ والثَّاني: وليٌّ، والثَّالث: أنَّه من الملائكة، وهذا غريب باطل» انتهى.

وأظهر الأقوال ـ والله أعلم ـ قول من قال بنبوَّة الخضر، وهو الصَّحيح ـ إن شاء الله تعالى ـ، لقوَّة حُجج أصحابه.

### وممَّا احتجُّوا به على نبوَّته:

أوَّلاً: قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن

﴿لَّدُنَّا عِلۡمٗا ٦٥﴾ [سُورَةُ الكَهۡفِ].

قالوا: هذه الرَّحمة والعلم اللَّدُنِّي اللَّذان ذكر الله امتنانه عليه بهما هنا: رحمة النبوَّة، وعلم الوحي على الصَّحيح؛ يدلُّ على ذلك: أنَّ الرَّحمة تكرَّر إطلاقها في القرآن على النُّبوَّة، وكذلك العلم المؤتى من الله، تكرَّر إطلاقه فيه على علم الوحي.

فمن إطلاق الرَّحمة على النُّبوَّة، قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ ٣١ أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ﴾ [الزخرف: 32]، أي: نبوَّته، حتَّى يتحكَّموا في إنزال القرآن على رجل عظيم من القريتين؟

وقوله تعالى: ﴿فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ٤ أَمۡرٗا مِّنۡ عِندِنَآۚ إِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ٥ رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٦﴾ [سُورَةُ الدُّخَانِ].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَرۡجُوٓاْ أَن يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبُ إِلَّا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۖ﴾ [القصص: 86].

ومن إطلاق إيتاء العلم على النُّبوَّة، قوله تعالى: ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ وَرَحۡمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيۡءٖۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا﴾ [النساء: 113]، وقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلۡمٖ لِّمَا عَلَّمۡنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [يوسف: 68].

قالوا: ومن أظهر الأدلَّة على أنَّ الرَّحمة والعلم اللَّدني اللَّذين امتنَّ الله بهما على عبده الخضر عن طريق النبوَّة والوحي، قوله تعالى عنه في قصَّته مع موسى عليه السلام: ﴿وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ﴾ [الكهف: 82]، أي: وإنَّما فعلته عن أمر الله عزَّ وجل، وأمر الله عزَّ وجل إنَّما يتحقَّق عن طريق الوحي، إذ لا طريق تعرف بها أوامر الله ونواهيه إلاَّ الوحي من الله جلَّ وعلا.

وقد حصر الله تعالى طريق الإنذار في الوحي، كما في قوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلۡوَحۡيِۚ﴾ [الأنبياء: 45]، و«إنَّما» صيغة حصر[2].

**ثانيًا:** وممَّا احتج به من قال بنبوَّة الخضر، قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا ٦٦ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ٦٧ وَكَيۡفَ تَصۡبِرُ عَلَىٰ مَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ خُبۡرٗا ٦٨ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرٗا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا﴾ [سُورَةُ الكَهۡفِ].

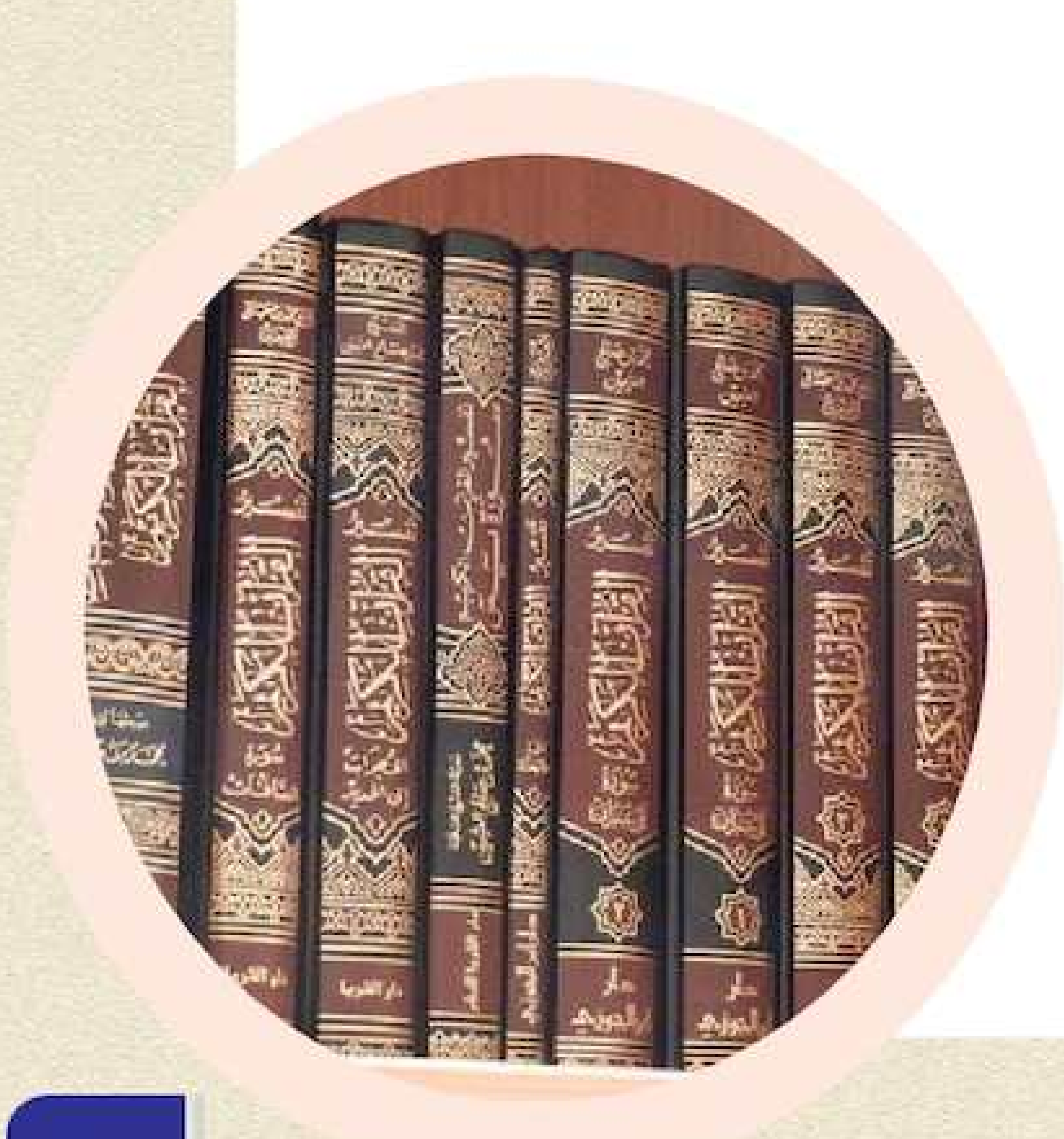
قالوا: فلو كان وليًّا وليس بنبيٍّ لم يخاطبه موسى بهذه المخاطبة، ولم يردّ على موسى هذا الرَّد؛ بل موسى إنَّما سأل صحبته لينال ما عنده من العلم الَّذي اختصَّه الله به دونه، فلو كان غير نبي، لم يكن معصومًا، ولم تكن لموسى وهو نبيٌّ عظيم ورسول كريم واجب العصمة، كبير رغبة ولا عظيم طلبة في علم وليٍّ غير واجب العصمة، ولما عزم على الذَّهاب إليه والتَّفتيش عنه، ولو أنَّه يمضي حقبًا من الزَّمان، ثمَّ لمَّا اجتمع به تواضع له وعظَّمه واتَّبعه في صورة مستفيد منه؛ فدلَّ على أنَّه نبيٌّ مثله يوحى إليه كما يُوحى إليه، وقد خُصَّ من العلوم اللَّدنية والأسرار النبويَّة بما لم يُطْلِع الله عليه موسى الكليم، نبيَّ بني إسرائيلَ الكريم.

(2) انظر «أضواء البيان» (324/3).

**ثالثًا:** أنَّ الخضر أقدم على قتل ذلك الغلام، وما ذاك إلاَّ للوحي إليه من الملك العلاَّم، وهذا دليل مستقل على نبوَّته، وبرهان ظاهر على عصمته؛ لأنَّ الوليَّ لا يجوز له الاقدام على قتل النُّفوس بمجرَّد ما يُلقَى في خَلَدِه؛ لأنَّ خاطِرَه ليس بواجب العصمة؛ إذ يجوز عليه الخطأ بالاتِّفاق، ولمَّا أقدم الخضر على قتل ذلك الغلام الَّذي لم يبلغ الحلم، علمًا منه بأنَّه إذا بلغ يكفر، ويحمل أبويه على الكفر لشدَّة محبَّتهما له فيتبعانه عليه، ففي قتله مصلحة عظيمة تربو على بقاء مهجته، صيانة لأبويه على الوقوع في الكفر وعقوبته، فدلَّ ذلك على نبوَّته، وأنَّه مؤيَّد من الله بعصمته.

**رابعًا:** أنَّه لما فسَّر الخضر تأويل تلك الأفاعيل لموسى ووضح له عن حقيقة أمره وجلَّى، قال بعد ذلك كلِّه: ﴿رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ﴾ [الكهف: 82]، يعني ما فعلته من تلقاء نفسي، بل أمر أمرت به وأوحي إليَّ فيه، فدلَّت هذه الوجوه على نبوَّته»[3].

(3) «البداية والنِّهاية» لابن كثير (338/1) بتصرُّف يسير.



**اعتراض:**

واعترض النَّافون لنبوَّة الخضر على هذه الاستدلالات بأنَّها ليست بصريحة، ولا قطعيَّة في دلالتها على نبوَّته، لاحتمال أن يكون ما حصل منه من قتل الغلام، وخرق السَّفينة، وما أشبه ذلك إلهامًا أُلهمه فعمل بمقتضاه، كما حصل لمريم، وأم موسى عليهما السَّلام.

**جوابه:**

وأجاب المثبتون لنبوَّة الخضر عن هذا الاعتراض، بأنَّ الولي لا يجوز له الإقدام على قتل النُّفوس بمجرَّد ما يُلقى في خَلَده؛ لأنَّ خاطره ليس بواجب العصمة؛ إذ يجوز عليه الخطأ بالاتفاق.

قال الإمام الشَّنقيطي رحمه الله في كتابه «أضواء البيان» (324/3): «المقرَّر في علم الأصول أنَّ الإلهام من الأولياء لا يجوز الاستدلال به على شيء لعدم العصمة وعدم الدَّليل على الاستدلال به؛ بل ولوجود الدَّليل على عدم جواز الاستدلال به، وما يزعمه بعض المتصوِّفة من جواز العمل بالإلهام في حقِّ المُلهَم دون غيره، وما يزعمه بعض الجبريَّة أيضًا من الاحتجاج بالإلهام في حقِّ المُلهَم وغيره جاعلين الإلهام كالوحي المسموع،... كلُّه باطلٌ لا يُعوَّل عليه...

وقد ضُمِنَت الهدايةُ في اتِّباع الشَّرع، ولم تُضمَنْ في اتِّباع الخواطر والإلهامات.

والإلهام في الاصطلاح: إيقاع شيء في القلب يثلج له الصَّدر من غير استدلال بوحي ولا نظر في حجَّة عقليَّة، يختصّ الله به من يشاء من خلقه، أمَّا ما يلهمه الأنبياء ممَّا يلقيه الله في قلوبهم فليس كالإلهام غيرهم؛ لأنَّهم معصومون بخلاف غيرهم».

## هل مات الخضر أم لا يزال حيًّا؟

وممَّا وقع فيه الخلاف في شأن الخضر القول بتعميره، فذهب كثيرٌ من أهل العلم إلى أنَّه حيٌّ لم يمت، ولا يموت إلاَّ في آخر الزَّمان وحُكي ذلك عن الجمهور، وهو أمرٌ مُتَّفَقٌ عليه بين الصُّوفيَّة.

قَالَ الإمام النَّوَوِيُّ: في «شرح مسلم» (133/15 ـ 134): «جمهور العلماء على أنه حيٌّ موجود بين أظهرنا، وذلك متفقٌ عليه عند الصوفيَّة وأهل الصَّلاح والمعرفة، وحكاياتهم في رؤيته والاجتماع به والأخذ عنه وسؤاله وجوابه ووجوده في المواضع الشَّريفة ومواطن الخير أكثر من أن يحصر وأشهر من أن يستر، وقال الشَّيخ أبو عَمْرو ابنُ الصَّلاح: هو حيٌّ عند جماهير العلماء والصَّالحين والعامَّة معهم في ذلك، قال: وإنَّما شذَّ بإنكاره بعضُ المُحَدِّثين».

**واحتجَّ من قال بأنَّ الخضر لا يزال حيًّا وأنَّه لم يمت،** ببعض الأحاديث المرفوعة، وعددٍ من الآثار، إلاَّ أنَّها واهية كلُّها لا يثبت منها شيء، كما أفاد ذلك الإمام ابن كثير: في «البداية والنهاية» (344/1ـ 345)، حيث قال بعد أن ساق الأحاديث والحكايات الواردة في حياة الخضر: «وهذه الرِّوايات والحكايات هي عمدة من ذهب إلى حياته إلى اليوم، وكلٌّ من الأحاديث المرفوعة ضعيفة جِدًّا، لا يقوم بمثلها حجَّة في الدِّين، والحكايات لا يخلو أكثرُها عن ضعف في الإسناد، وقُصَاراها أنَّها صحيحة إلى من ليس بمعصوم من صحابي أو غيره، لأنَّه يجوز عليه الخطأ...، وقد تصدَّى الشَّيخ أبو الفرج ابن الجوزي رحمه الله في كتابه «عجالة المنتظر في شرح حال الخضر» للأحاديث الواردة في ذلك من المرفوعات، فبيّن أنَّها موضوعات، ومن الآثار عن الصَّحابة والتَّابعين ومن بعدهم، فبين ضعف أسانيدها ببيان أحوالها، وجهالة رجالها، وقد أجاد في ذلك وأحسن الانتقاد».

وقال الإمام ابن القيِّم رحمه الله في كتابه «المنار المنيف في الصَّحيح والضعيف» (67 ـ 69): «الأحاديث الَّتي يُذكر فيها الخضر وحياته، كُلُّها كذبٌ ولا يصحُّ في حياته حديث واحد».

ومن هنا يتبيَّن عدم صحَّة القول ببقاء الخضر، واستمرار حياته، وأنَّه قولٌ ضعيفٌ، بل منكر، وأنكر منه ما بُنِي عليه من الأساطير والخرافات.

**أدلَّة من قال بموت الخضر:**

احتجَّ من قال بموت الخضر، بأدلَّة كثيرة، قاطعة للنزاع في هذه المسألة، ذكر الإمام ابن كثير: جملةً طيِّبةً منها في كتابه «البداية والنهاية» (345/1 ـ346) فقال: «وأمَّا الَّذين ذهبوا إلى أنَّه قد مات ومنهم البخاري وإبراهيم الحربي وأبو الحسين بن المنادي والشيخ أبو الفرج ابن الجوزي، وقد انتصر لذلك وألَّف فيه كتابًا سمَّاه «عجالة المنتظر في شرح حالة الخضر» فيُحتَجُّ لهم بأشياء كثيرة.

**منها قولُه تعالى:** ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ﴾ [الأنبياء: 34]، فالخضر إن كان بشرًا فقد دخل في هذا العموم لا محالة، ولا يجوز تخصيصه منه إلاَّ بدليل صحيح، والأصل عدمه حتَّى يثبت، ولم يذكر ما فيه دليل على التَّخصيص عن معصومٍ يجب قبوله.

ومنها أن الله تعالى قال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ (٨١)﴾ [سورة آل عمران]، قال ابن عبَّاس: «ما بعث الله نبيًّا إلاَّ أخذ عليه الميثاق لئن بُعِثَ مُحمَّدٌ وهو حيٌّ ليؤمننَّ به ولينصرنَّه.

وأمره أن يأخذ على أمَّته الميثاق، لئن بعث محمَّد وهم أحياء ليؤمنن به وينصرنه».

ذكره البخاري عنه.

فالخضر إن كان نبيًّا أو وليًّا، فقد دخل في هذا الميثاق، فلو كان حيًّا في زمن رسول الله ﷺ لكان أشرف أحواله، أن يكون بين يديه، يؤمن بما أنزل الله عليه، وينصره أن يصل أحدٌ من الأعداء إليه؛ لأنَّه إن كان وليًّا فالصِّدِّيق أفضل منه، وإن كان نبيًّا فموسى أفضل منه.

وقد روى الإمام أحمد في «مسنده»[4]: حدثنا شُرَيح بنُ النُّعمان، حدثنا هشيم، أنبأنا مجالد، عن الشعبي، عن جابر ابن عبد الله، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلاَّ أَنْ يَتَّبِعَنِي».

وهذا الَّذي يُقطعُ به ويعلم من الدِّين علم الضَّرورة.

وقد دلَّت عليه هذه الآية الكريمة، أنَّ الأنبياء كلَّهم لو فُرِضَ أنَّهم أحياءُ مُكلَّفون في زمن رسول الله ﷺ لكانوا كلُّهم أتباعًا له، وتحت أوامره، وفي عموم شرعه.

كما أنَّه - صلوات الله وسلامه عليه - لما اجتمع معهم ليلة الإسراء، رُفِع فوقهم كلِّهم، ولما هبطوا معه إلى بيت المقدس وحانت الصَّلاة، أمره جبريل عن أمر الله أن يؤمَّهم، فصلَّى بهم في محل ولايتهم ودار إقامتهم، فدلَّ على أنَّه الإمام الأعظم، والرَّسول الخاتم المبجَّل المقدَّم، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين.

فإذا علم هذا - وهو معلوم عند كل مؤمن - علم أنَّه لو كان الخضر حيًّا لكان من جملة أمَّة محمَّد ﷺ وممن يقتدي بشرعه لا يسعه إلاَّ ذلك.

هذا عيسى بن مريم عليه السلام إذا نزل في آخر الزَّمان يحكم بهذه الشَّريعة المطهَّرة، لا يخرج منها ولا يحيد عنها، وهو أحد أولي العزم الخمسة المرسلين وخاتم أنبياء بني إسرائيل، والمعلوم أنَّ الخضر لم ينقل بسند صحيح ولا حسن تسكن النَّفس إليه، أنَّه اجتمع برسول الله ﷺ في يوم واحد، ولم يشهد معه قتالًا في مشهد من المشاهد....

**فإن قيل: فهل يقال: إنَّه كان حاضرًا في هذه المواطن كلِّها، ولكن لم يكن أحدٌ يراه.**

**فالجواب:**

- أنَّ الأصل عدم هذا الاحتمال البعيد الَّذي يلزم منه تخصيص العمومات بمجرد التوهّمات.

ثمَّ ما الحامل له على هذا الاختفاء، وظهوره أعظم لأجره، وأعلى في مرتبته، وأظهر لمعجزته؟ ثمَّ لو كان باقيًا بعده لكان تبليغه عن رسول الله ﷺ الأحاديث النبويَّة والآيات القرآنيَّة وإنكاره لما وقع من الأحاديث المكذوبة والرِّوايات المقلوبة والآراء البدعيَّة، والأهواء العصبية وقتاله مع المسلمين في غزواتهم وشهوده جمعهم، وجماعاتهم، ونفعه إياهم، ودفعه الضَّرر عنهم ممَّن سواهم وتسديده العلماء والحكام، وتقريره الأدلَّة، والأحكام أفضل ما يقال عنه من كنونه في الأمصار، وجَوْبَه الفَيافي والأقطار، واجتماعَه بعُبَّاد لا يُعرَفُ أحوالُ كثير منهم، وجعله لهم كالنَّقيب المترجم عنهم.

وهذا الَّذي ذكرناه لا يتوقَّف أحدٌ فيه بَعْدَ التَّفهُّم، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

- ومن ذلك: ما ثبت في «الصَّحيحين»[5] وغيرهما عن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ صلَّى ليلة العشاء ثمَّ قال: «أَرَأَيْتُمْ لَيْلَتَكُمْ هَذِهِ فَإِنَّهُ إِلَى مِائَةِ سَنَةٍ لاَ يَبْقَى مِمَّنْ هُوَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ الْيَوْمَ أَحَدٌ».

وسُئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في «الفتاوى» (337/4) عن الخضر وإلياس، وهل هما معمران؟ فأجاب: «إنهما ليسا في الأحياء، ولا معمَّران».

وقد سأل إبراهيمُ الحربيُّ أحمدَ ابنَ حنبل عن تعمير الخضر وإلياس، وأنَّهما باقيان ويُرَيان، ويُروى عنهما، فقال الإمام أحمد: مَنْ أَحَالَ على غائب لم يُنصفْ منه، وما ألقى هذا إلاَّ الشَّيطان.

وسُئل البخاري عن الخضر وإلياس: هل هما في الأحياء؟ فقال: كيف يكون هذا، وقد قال النَّبي ﷺ: «لاَ يَبْقَى عَلَى رَأْسِ مِائَةِ سَنَةٍ مِمَّنْ هُوَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ أَحَدٌ».

## مخالفاتٌ عقديةٌ متعلِّقةٌ بقصة الخضر:

قصَّةُ الخضر صارت مع الأسف الشَّديد عند كثير من النَّاس مصدرًا

(4) (15156)، وحسَّنه الألباني في «الإرواء» (1589).

(5) أخرجه البخاري (116)، ومسلم (2537).

للخرافات، حيث استغلَّها بعض من لا خلاقَ لهم لترويج بعض الضَّلالات، والعقائد الفاسدة، الَّتي منشؤها عدم الإيمان بنبوَّة الخضر، واعتقاد أنَّه مجرَّد وليٍّ صالح.

وهذا الاعتقاد قد اتَّخذه الصُّوفيَّة ذريعةً إلى كثير من الضَّلالات، ومنطلقًا لنشر الخرافات، **الَّتي منها: تفضيل الولي على النَّبيِّ.**

حتَّى قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في كتابه «الإصابة» (248/2): «وكان بعض أكابر العلماء يقول: أوَّل عَقْد يُحَلُّ من الزَّندقة اعتقادُ كون الخضر نبيًّا؛ لأنَّ الزَّنادقة يتذرَّعون بكونه غير نبيٍّ إلى أنَّ الوليَّ أفضلُ من النَّبيِّ، كما قال قائلهم:

مقام النبوة في برزخ
فويق الرَّسول ودون الولي»

ولانتشار هذه الضَّلالة في أوساط كثير من المغفَّلين والجهال، تأثُّرًا بالصُّوفية، صرَّح الإمام الطَّحاوي رحمه الله بعقيدة أهل السُّنَّة في المفاضلة بين الأنبياء والأولياء، كما في «عقيدته» الَّتي نقلها عن أئمَّة السَّلف، فقال: «وَلَا نُفَضِّلُ أَحَدًا مِنَ الأَوْلِيَاءِ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَنَقُولُ: نَبِيٌّ وَاحِدٌ أَفْضَلُ مِنْ جَمِيعِ الأَوْلِيَاءِ».

قال الشَّارح[6]: «يشير الشَّيخ: إلى الرَّدِّ على الاتِّحاديَّة وجهَلَة المُتصَوِّفة...، وكثيرٌ من هؤلاء يظنُّ أنَّه يصل برياسته واجتهاده في العبادة وتصفية نفسه إلى ما وصلت إليه الأنبياء من غير اتِّباع لطريقتهم! ومنهم من يظنُّ أنَّه قد صار أفضل من الأنبياء!!.. وهذا قلبٌ للشَّريعة فإنَّ الولاية ثابتةٌ للمؤمنين المتَّقين.. والنبوَّة أخصُّ من الولاية»

ومن ضلالات الصوفيَّة المبنيَّة على تفضيل الولي على النَّبي، قولهم: إنَّ الوليَّ قد يكون أعلم من النبيِّ؛ وأنَّ الوليَّ قد ينفردُ بعلم ليس عند النَّبيِّ، قالوا: لأنَّ موسى عليه السلام لمَّا سُئل: «هل في الأرض أحدٌ أعلم منك؟ قال: لا، فأوحى الله إليه: بلى عبدنا خضر، فسأل السَّبيل إلى لُقيِّه»[7].

ومن هنا في زعمهم: رحل إليه موسى عليه السلام ليتعلَّم منه، فلمَّا جاءه تواضعَ له، وكان تابعًا له متابعة المفضول للفاضل.

وقالوا: إنَّ الوليَّ قد يطلع على بعض المغيَّبات، كما حصل للخضر في قصَّته مع موسى، حين خرق السَّفينة، وقتل الغلام، وأقام الجدار.

**وقد انبرى أئمَّة الإسلام لمثل هذه الضَّلالات وفنَّدوها، وبيَّنوا بأنَّها كفرٌ وضلالٌ و زندقةٌ، لا يجوز لمسلم أن يعتقدها:**

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في «مجموع الفتاوى» (422/11): «وكثيرٌ منهم يفضِّل الولي في زعمه، إمَّا مطلقًا، وإمَّا من بعض الوجوه على النَّبيِّ، زاعمين أنَّ في قصَّة الخضر حجَّة لهم، وكلّ هذه المقالات من أعظم الجهالات والضَّلالات بل من أعظم أنواع النِّفاق والإلحاد والكفر».

وقال رحمه الله في سياق إبطاله لاعتقادات الصوفيَّة في هذا الباب ومُبيِّنًا منشأ اعتقادهم وعمدتهم في تفضيل الوليِّ على النَّبيِّ، من خلال قصَّة الخضر، كما في «المستدرك على مجموع الفتاوى» (113/1): «وقد أجمع المسلمون على أنَّ موسى أفضل من الخضر، فمن قال: إنَّ الخضر أفضل فقد كفر.

وسواء قيل: إنَّ الخضر نبي، أو ولي، والجمهور على أنَّه ليس بنبي؛ بل أنبياء بني إسرائيل الَّذين اتَّبعوا التَّوراة وذكرهم الله تعالى كداود وسليمان عليهما السلام أفضل من الخضر، بل على قول الجمهور: إنَّه ليس بنبي فأبو بكر وعمر رضي الله عنهما أفضل منه.

وكونه يعلم مسائل لا يعلمها موسى لا يُوجب أن يكون أفضل منه مطلقًا، كما أن الهدهد لما قال لسليمان: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ﴾ [النمل: 22]، لم يكن أفضل من سليمان، وكما أنَّ الَّذين كانوا يُلقِّحون النَّخل لما كانوا أعلم بتلقيحه من النَّبيِّ ﷺ لم يجب من ذلك أن يكونوا أفضل منه ﷺ وقد قال لهم: «أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأُمُورِ دُنْيَاكُمْ، وَأَمَّا مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ دِينِكُمْ فَإِلَيَّ»[8].

وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم كانوا يتعلَّمون ممَّن هو دونهم علم الدِّين الَّذي هو عندهم وقد قال النَّبيُّ ﷺ: «لَمْ يَبْقَ بَعْدِي مِنَ النُّبُوَّةِ إِلَّا الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ»[9]، ومعلوم رتبتهم في العلم أفضل ممَّن حصلت له الرُّؤيا الصَّالحة.

وغاية الخضر أن يكون عنده من الكشف ما هو جزءٌ من أجزاء النُّبوَّة، كيف يكون أفضل من نبي؟ فكيف بالرَّسول؟ فكيف بأولي العزم».

**ومن العقائد الفاسدة الَّتي راجت بين الصُّوفيَّة ومن تأثَّر بهم في قصَّة الخضر:**

(6) هو ابن أبي العزِّ الحنفي (ص766-767) من «شرح الطَّحاوية».

(7) أخرجه البخاري (74)، ومسلم (2380).

(8) أخرجه مسلم (2362-2363) من حديث أنس رضي الله عنه، وذكره شيخ الإسلام هنا بمعناه.

(9) أخرجه البخاري (6990) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ومسلم (479) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

اعتقاد بعضهم أنَّه يسعه الخروج عن شريعة نبيِّنا ﷺ، كما وسع الخضر - بزعمهم - الخروج عن شريعة موسى، وقد اشتهر هذا عند خواص الصوفيَّة أصحاب الحقيقة، وهم في هذا المعتقد ضالُّون من وجهين، كما أفاد ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، حيث قال كما في «الفتاوى» (266/13): «بعض الصوفيَّة والفقراء، وبعض أهل الكلام والفلسفة، يسلك مسلك الباطنيَّة في بعض الأمور لا في جميعها، حتَّى يرى بعضهم سقوط الصَّلاة عن بعض الخواص، أو حِلَّ الخمر - وغيرها من المحرَّمات - لهم، أو أنَّ لبعضهم طريقًا إلى الله عزَّ وجل غير متابعة الرَّسول.

وقد يحتج بعضهم بقصَّة موسى والخضر، ويظنُّون أنَّ الخضر خرج عن الشَّريعة؛ فيجوز لغيره من الأولياء ما يجوز له من الخروج عن الشَّريعة، وهم في هذا ضالُّون من وجهين:

أحدهما: أنَّ الخضر لم يخرج عن الشَّريعة، بل الَّذي فعله كان جائزًا في شريعة موسى؛ ولهذا لما بَيَّن له الأسباب أقرَّه على ذلك، ولو لم يكن جائزًا لما أقره، ولكن لم يكن موسى يعلم الأسباب الَّتي بها أبيحت تلك، فظنَّ أنَّ الخضر كالملك الظَّالم، فذكر ذلك له الخضر.

والثَّاني: أنَّ الخضر لم يكن من أمَّة موسى، ولا كان يجب عليه متابعته، بل قال له: «إنِّي على علم من علم الله عَلَّمَنِيه الله لا تعلمه، وأنتَ على علم من علم الله، علمكه الله لا أعلمه»[10].

وذلك أنَّ دعوة موسى لم تكن عامَّة؛ فإنَّ النَّبيَّ كان يُبعث إلى قومه خاصَّة، ومحمَّد ﷺ بُعث إلى النَّاس كافَّة، بل بعث إلى الإنس والجن باطنًا وظاهرًا، فليس لأحد أن يخرج عن طاعته ومتابعته، لا في الباطن ولا في الظَّاهر، لا من الخواص ولا من العوام».

وقال العلاَّمة ابنُ أبي العزِّ رحمه الله في «شرح الطحاوية» (ص795): «فمن ادَّعى أنَّه مع محمَّد ﷺ كالخضر مع موسى أو جوَّز ذلك لأحد من الأمَّة: فليجدِّد إسلامه وليشهد شهادة الحقِّ؛ فإنَّه مفارقٌ لدين الإسلام بالكلِّيَّة فضلاً عن أن يكون من أولياء الله، وإنَّما هو من أولياء الشَّيطان وهذا الموضع مفرِّقٌ بين زنادقة القوم وأهل الاستقامة».

**ومن العقائد الفاسدة الَّتي راجت بين الصوفيَّة ومن تأثَّر بهم في قصَّة الخضر:**

اعتقاد بعض الصُّوفيَّة أنَّهم يسعهم الاستغناء عن الوحي وعمَّا جاءت به الرُّسل بالعلم اللَّدني[11]، وأنَّ حالهم في ذلك كحال الخضر الَّذي استغنى بالعلم اللدنِّي الَّذي آتاه الله بلا واسطة نبيٍّ، عن علم موسى وشريعته.

والعلم اللدني الَّذي يدندن حوله الصوفيَّة الضُّلال هو بمعنى الفيض عندهم، ويعنون به انفتاح علم الغيب وحقائق الدُّنيا والآخرة عليهم، جريًا منهم على القاعدة الضالَّة «حدَّثني قلبي عن ربي»، فلا يحتاجون إلى واسطة في زعمهم لتلقِّي الوحي والعلم، وهذا هو الضَّلال البعيد.

قال العلاَّمة ابن أبي العز: في «شرح الطحاوية» (ص795): «وأمَّا من يتعلقُ بقصَّة موسى مع الخضر؛ في تجويز الاستغناء عن الوحي بالعلم اللَّدني الَّذي يدعيه بعض من عدم التَّوفيق.: فهو ملحدٌ زنديقٌ، فإنَّ موسى؛ لم يكن مبعوثًا إلى الخضر، ولم يكن الخضر مأمورًا بمتابعته».

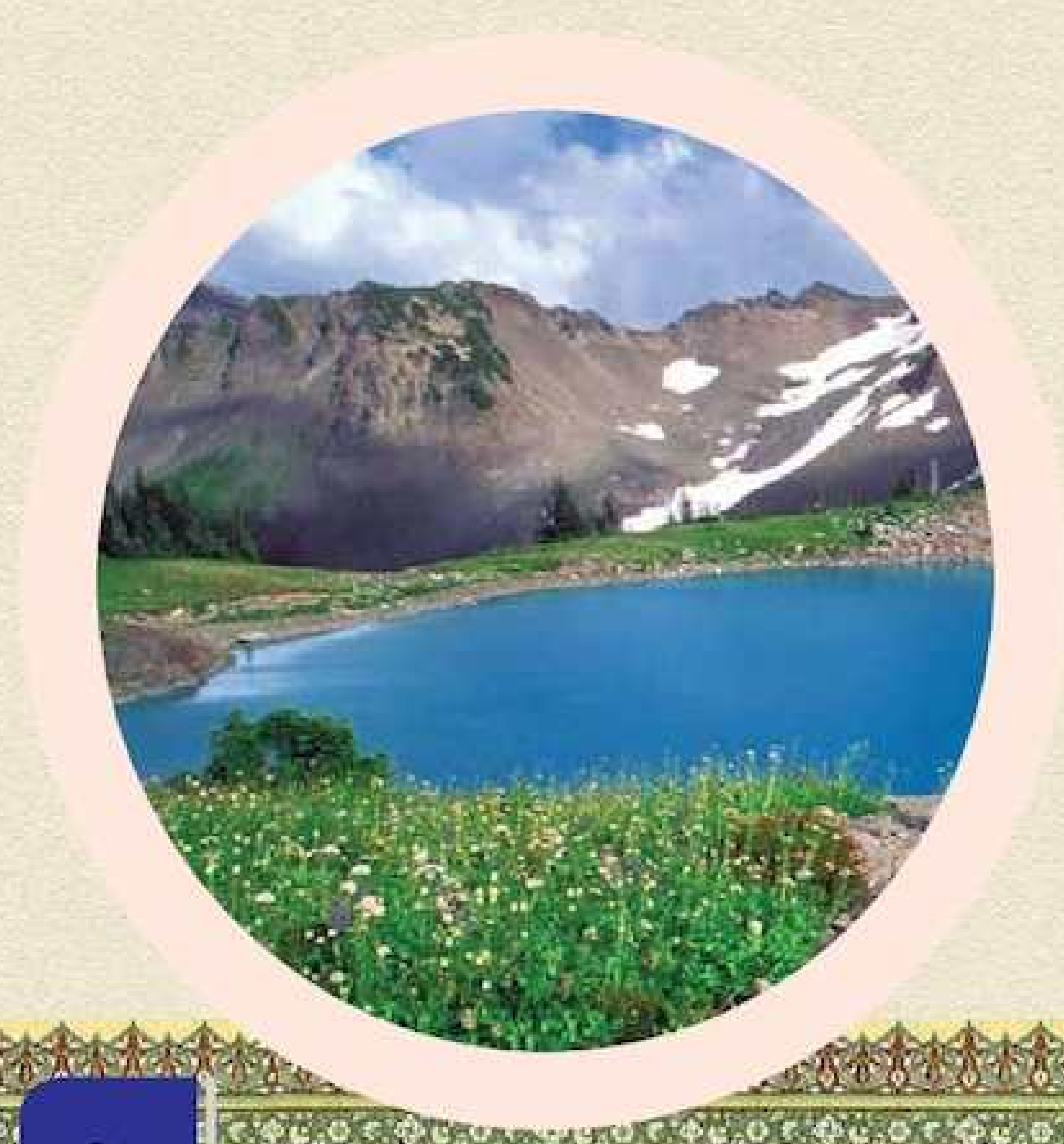
وقال العلاَّمة ابن القيِّم رحمه الله في «مدراج السَّالكين» (496/2): «العلم اللَّدني نوعان: لدني رحماني، ولدني شيطاني بطناوي.

والمحك: هو الوحي ولا وحي بعد رسول الله.

وأمَّا قصَّة موسى مع الخضر عليهما السَّلام: فالتَّعلُّق بها في تجويز الاستغناء عن الوحي بالعلم اللَّدني، إلحادٌ وكفرٌ مخرجٌ عن الإسلام موجب لإراقة الدَّم.

والفرق: أنَّ موسى لم يكن مبعوثًا إلى الخضر، ولم يكن الخضر مأمورًا بمتابعته».

والعلم عند الله، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



(10) أخرجه البخاري (122)، ومسلم (2380).

(11) قال الشيخ بكر أبو زيد في «معجم المناهي اللَّفظيَّة» (ص398): «وهذا الاصطلاح من مخترعات الصُّوفيَّة ومواضعاتها، وإلاَّ فإنَّ العلم اللَّدُنِّي هو: العلم العندي، فعند، ولدنَّ في الآية معناهما واحد في لغة العرب الَّتي بها نزل القرآن، فما لم يكن العلم من عند الله على لسان رسول الله؛ فلا يكون من لدنه، والأمور مرهونة بحقائقها».



تزكية وآداب

# الدِّين

## أخــــلاقٌ وقِــيَــم

قويدر ميلودية
إمام خطيب. الأغواط



يقول الله تعالى في موضع الامتنان مُبيِّنًا أصل بِعثَة وإرسالِ رسوله وحبيبه مُحمَّد ﷺ للنَّاس: ﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ١٥١ ﴾ [سُورَةُ البَقَرَة]، قال عبد الرَّحمن السَّعدي في «تفسيره»: «﴿ وَيُزَكِّيكُمۡ ﴾ أي: يُطهِّرُ أخلاقَكم ونفوسَكم بتربيتها على الأخلاق الجميلةِ وتَنزيهِها عن الأخلاق الرَّذيلة؛ وذلك كتَزكِيَتِهم من الشِّرك إلى التَّوحيد، ومن الرِّياء إلى الإخلاص، ومن الكذب إلى الصِّدق، ومن الخيانة إلى الأمانة، ومن التَّباغض والتَّهاجر والتَّقاطع إلى التَّحابِّ والتَّواصل والتَّوادُد، وغيرِ ذلك من أنواع التَّزكية من سوء الخُلُقِ إلى حُسنِ الخُلق».

ولقد جعلَ النَّبيُّ ﷺ الغايةَ من بعثَتِه الدَّعوةَ للأخلاق؛ فصحَّ عنه؛ كما في «صحيح الأدب المفرد» (207) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ صالحَ الأَخْلَاقِ»، ولقد بيَّن رسولُ الله ﷺ بهذا الأسلوب أهمِّيَّةَ الخُلُق بالرُّغم من أنَّه ليس أهمَّ شيءٍ بُعِثَ النَّبيُّ من أجلِه؛ فالعقيدة والتَّوحيد وعبادةُ الله وحدَه لا شريكَ له أهمُّ منه، وهي أَوْلَى الأَوْلَويَّات ولكن في هذا الأسلوب بيان لأهمِّيَّة الشَّيء، وإن كان غيرُه أهمَّ منه، والحكمةُ في ذلك أنَّ الخُلُقَ هو أَبرَزُ ما يراه النَّاسُ من العبد ويدركونه من سائر أعمال الإسلام؛ فالنَّاس لا يروْنَ عقيدةَ الشَّخص؛ لأنَّ محلَّها القلب، كما لا يَروْنَ كلَّ عبادَاته، لكن يروْنَ أخلاقَه ويتعاملون معه بذلك، فعلينا أن نُدرِكَ هذا.

إنَّ الأخلاقَ في الإسلام لا تقوم على نظريَّاتٍ مذهبيَّةٍ، ولا مصالح

فرديَّـة، ولا عوامـلَ بيئيَّـةٍ تتبـدَّلُ وتتلـوَّنُ تَبَعًـا لهـا، وإنَّمـا هـي فيضٌ مـن يَنبُوعِ الإيمـان يَشِـعُّ نورُها داخلَ النَّفس وخارجَهـا، فليسـت الأخـلاقُ فضـائلَ مُنفصِلَـةً، وإنَّما هـي حلقاتٌ مُتَّصِلَـةٌ في سلسـلةٍ واحـدةٍ، عقيدتُـه أخـلاق، وشـريعته أخـلاق، لا يخرق المسلمُ إحداهـا إلاَّ أحـدَثَ خَرْقًـا في إيمانـه... يقـولُ الرَّسـولُ ﷺ: «لاَ يَزْني الـزَّاني حِينَ يَزْني وهُـوَ مُؤْمِنٌ، ولاَ يَشْـرَبُ الخَمْـرَ حِينَ يَشْـرَبُهَا وهُوَ مُؤْمِنٌ، ولاَ يَسْـرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وهُوَ مُؤْمِـنٌ» رواه البخاري (5578)، ومسـلم (57).

فالأخلاقُ دليلُ الإسـلام وترجمتُه العمليَّـة، وكُلَّما كان الإيمانُ قويًّا أثمَرَ خُلُقًـا قويًّـا، وقوَّةُ الأمَّة وعلُـوُّ مكانَتِها في قـوَّةِ إيمـانِ أفرادهـا.

فـلا يشـكُّ أحدٌ أنَّ سـبيلَ النَّجاةِ والعـزِّ والتَّمكيـن وطريـق السَّـعادة في الدُّنيـا والآخـرة في الاعتصـام بالكتـاب والسُّـنَّة وما كان عليه سـلف الأمَّـة؛ تلكم هـي سـفينةُ النَّجاة غيرَ أنَّ هناك أمرًا مُهمًّا في منهج السَّـلف الصَّـالح لم يَأْخُـذْ حقَّـهُ مـن العناية والاهتمـام منَّـا؛ ذلكـم هـو منهـجُ أخلاقهـم وطريـق سـلوكهم، فمنهـجُ السَّـلفِ الصَّـالح ليس علمًـا مُجرَّدًا ولا اعتقـادًا جامـدًا، ولكنَّـه نهـجُ عقيـدةٍ وأخلاقٍ وعمـلٍ؛ إذ ثمَّةَ تلازمٌ بـين الأخـلاق والاعتقـاد والإيمـان، فالأخـلاقُ والسُّـلوك الظَّاهـرُ هـو ثمـرةُ الاعتقـاد الباطـن ومـن ثـمَّ؛ فـإنَّ الانحـرافَ الواقـعَ في الأخـلاق والسُّـلوك ناشـئٌ عن نقصٍ وخللٍ في الإيمان، قال شـيخُ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ «مجمـوع الفتاوى» (7/ 541) - مُقـرِّرًا هـذه الحقيقـة -: «وإذا قـام بالقلـب التَّصـديقُ به والمحبَّـةُ له لَزِمَ ضـرورةً أن يَتحـرَّكَ البـدن بمُوجَـبِ ذلـك من الأقوال الظَّاهـرة والأعمال الظَّاهـرة، فما يظهر علـى البدن من الأقـوال والأعمـال هـو مُوجَـبُ ما في القَلب ولازمُـه ودليلُه ومعلولُه، كما أنَّ مـا يقومُ بالبدن من الأقوال والأعمال لـه أيضًـا تأثـيرٌ فيما في القلـب، فكلٌّ منهمـا يُؤَثِّـرُ في الآخـر، لكـنَّ القلـبَ هـو الأصـلُ والبدنُ فـرعٌ لـه، والفرعُ يُسـتمَدُّ مـن أصـله، والأصـل يَثبُـتُ ويَقْـوَى بفرعـه».

ويقـول الشَّـاطبي أيضًـا في «الموافقـات» (1/ 233): «جُعِلَـت الأعمـالُ الظَّاهـرةُ في الشَّـرع دليـلاً على ما في الباطـن؛ فإن كان الظَّاهرُ مُنخرِمًـا حُكِمَ علـى الباطن بذلك، أو مُسـتقيمًا حُكِمَ علـى الباطـن بذلـك أيضًـا».

وعلمـاء أهـل السُّـنَّةِ والجماعـة عندمـا يتكلَّمون عن منهج السَّـلف في كُتُبِ العقائد يذكرون منهج أخلاقهم؛ ويشـيدون بمنزلـة الأخلاق علـى أنَّها ثمـرة مـن ثمـرات العقيـدة، يقـول الإمام أبـو بكر الإسـماعيلي في كتابه «اعتقـاد أهـل الحديـث» (ص59): «ويـرون مجانبـةَ البدعـة والآثـام والفَخْـر والتَّكبُّر والعُجْـبِ والخيانَـةَ والدَّغـل والاغتيـال والسِّـعاية، ويَـرَوْنَ كـفَّ الأذى وتـركَ الغيبـة»، ويقـول الإمـامُ الصَّـابوني في كتابـه «عقيـدة السَّـلف أصـحاب الحديـث» (ص107): «ويتواصَـوْنَ بقيـام اللَّيلِ للصَّـلاة بعد المنام، وبصلـة الأرحام علـى اختـلاف الحـالات، وإفشـاء السَّـلام، وإطعـام الطَّعـام، والرَّحمة علـى الفقـراء والمسـاكين والأيتـام، والاهتمـام بأمور المسلمين، والتَّعفُّف في المـأكل والمشـرب والملبس والمنكح والمصـرف، والسَّـعي في الخـيرات، والأمـر بالمعروف والنَّهي عـن المنكر، والبـدار إلى فعـل الخـيرات أجمـعَ، واتِّقاء سـوء عاقبة الطَّمَع، ويتواصَوْنَ بالحقِّ والصَّـبر».

ويقولُ شـيخُ الإسـلام ابـن تيمية في «مجمـوع الفتـاوى» في بيـان منهج السَّـلف: «ويدعـون إلى مكـارم الأخلاق ومحاسـن الأعمال ويعتقدون معنـى قولـه ﷺ: «أَكْمَـلُ المُؤْمنِـينَ إيمَانًـا أَحْسَـنُهُمْ خُلُقًـا»، ثـمَّ قـال: «ويُحبُّـون ويَنْدُبـون إلى أَنْ تصـلَ مَنْ قطعَـكَ، وتُعْطـيَ مَـنْ حرَمَـك، وتعفُوَ عمَّن ظلمَـكَ، ويأمرون ببرِّ الوالدين، وصـلةِ الأرحـام، وحسـنِ الجـوار، والإحسـانِ إلى اليتامَـى والمسـاكين وابـنِ السَّـبيلِ، والرِّفـقِ بالمملـوك، وينهَوْن عن الفخـر والخُيَلاء والبغي، والاستطالةِ على الخلـقِ بحقٍّ أو بغيرِ

حقٌّ، ويأمرونَ بمعالي الأخلاقِ، وينهَوْنَ عن سفاسفها».

إنَّ المُسلمينَ الأوائلَ فتحوا بلدانًا في أقصى الشَّرق؛ كأنْدُونيسْيَا ومَالِيزْيَا وفلبِّين، من غير أن تتحرَّكَ إليها جيوشٌ ولم تزلزل بها عروش ولم يرفع بها سيفٌ ولا رمحٌ، بل تجَّارٌ صالحون بأخلاقهم وبأمانتهم وصدقهم وحسن تعاملهم حقَّقوا الفتحَ؛ فكان فَتْحًا خُلُقِيًّا، ذهبوا يتعاملون بالدِّرهم والدِّينار فحقَّقَ اللهُ لهم بأخلاقهم الانتصارَ، بخُلُقٍ وسلوكٍ حسنٍ لفت الأنظارَ إلى جمال وعظمة هذا الدِّين المختار، فالعودةَ إلى مكارم الأخلاق؛ قولاً وعملاً ودلالةً ومضمونًا.

واللهِ؛ إنَّنا لن نَسَعَ النَّاس بأموالنا ولا بجاهنا ولا بسلطاننا ولا بحسن صُوَرِنا، ولكن نَسَعُ النَّاسَ بأخلاقنا وقِيَمِنا، فالأخلاق الفاضلةُ حلَّةٌ تَقصُرُ دونها الحُلَلُ، وسترٌ لا يُغني عنه سترٌ، ولكن للأسف فقدنا كثيرًا من الأخلاق الحسنة حتَّى أصبحَ الكثيرُ منَّا يعيشُ عَيشَ البهائم والأنعام.

إنَّ الأخلاقَ الفاضلةَ ركيزةٌ أساسيَّةٌ من ركائز الدِّين في بناء الفرد والمجتمع والنُّهوض بالأمَّة، وصَدَقَ مَنْ قال:

إنَّما الأممُ الأخلاقُ ما بَقِيَتْ
فإنْ هُمْ ذهبَتْ أخلاقُهم ذهبوا

كما أنَّ شيوعَ الانحلال والفساد والأخلاق السَّيِّئة إيذانٌ بسقوط الأمم واضمحلالها، وكما قيل:

وإذا أُصيبَ القومُ في أخلاقهم
فأَقِمْ عليهم مأتمًا وعويلاً

ولمحاسن الأخلاق في ديننا مكانةٌ عاليةٌ، ودرجةٌ رفيعةٌ، فآيات كتاب الله وأحاديثُ رسول الله الكثيرُ منها مُشتَمِلٌ على الحثِّ على جوامع الأخلاق في جوامع الكَلِم، كقوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ۝٦٠﴾ [سُورَةُ الرَّحْمَٰن]، ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: 83]، ﴿وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة: 237]، ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يوسف: 18، 83]، ﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ۝٨٥﴾ [سُورَةُ الحِجْر]، ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝١٩٩﴾ [سُورَةُ الأَعْرَاف]، ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ﴾ [القصص: 55].

وفي السُّنَّة من الأحاديث الصَّحيحة الكثير؛ كقوله ﷺ:

«مَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ، ومَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِه اللهُ، ومَنْ يَتصبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ»، «لَيْسَ الشَّديدُ بالصُّرَعَة، إنَّما الشَّديدُ الَّذي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ»، «مَنْ لاَ يَشْكُرُ النَّاسَ لاَ يَشْكُرُ اللهَ»، «لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيه مَا يُحِبُّ لنَفْسه»، «إنَّ أَحْسَنَ النَّاسِ إيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»، «مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ في المِيزَانِ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ حُسْنِ الخُلُقِ»، «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلاَقًا»، «إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ خُلُقًا»، «والكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وتَبَسُّمُكَ في وَجْهِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ».

فالأخلاقُ الحسنةُ والآدابُ السَّويَّةُ دَعَا إليها دينُنا، وأمر بها، سواءٌ ما كان في الأصول أو في الفروع، وما كان في معاملة الخالق ـ جلَّ في عُلاه ـ أو معاملات المخلوقين؛ حتَّى مع الحيوان في قتله أو ذبحه «إِنَّ اللهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ؛ فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا القِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَةَ»، ما أعظمَ دينَنا وما أكمله! فأَيْنَ نحنُ من أخلاقِ هذا الدِّين؟! للأسف ساءت أخلاقُنا وانحرف سلوكنا، كم هو مؤلمٌ للنَّفس ومُحزِنٌ للقلب أن يشتكي إليك أخٌ مسلمٌ حالَ أخيه المسلم معه وسوءَ معاملته له، وأهل الباطل يحترمُ بعضُهم بعضًا، فنحن أَوْلَى النَّاس بكُلِّ مكارمِ الأخلاقِ ومَحَاسِنِ العادات، ولا يَجُوزُ أن يَسْبِقَنا سابقٌ إلى هذا المضمار ﴿فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾.

❁❁❁

أ.د.محمد علي فركوس

أستاذ بكلية العلوم الإسلامية بجامعة الجزائر




# في حكم رياضة «تاي شي شوان»

■ السؤال:

بارَكَ اللهُ فيكم -شيخَنا- وأَحْسَنَ إليكم، لقد انتشر في بلدنا -الجزائر- مُمارَسةُ رياضةٍ صينيةٍ يُطْلَقُ عليها: «تاي شي شوان» (Tai chi chuan).

وتَعني بلُغَتِهم: مُلاكَمةَ القوَّةِ العُليا، ويَعتبِرها مُمارِسُوها فنًّا مِن الفنون القتالية.

ما حكمُ مُمارَسةِ هذا الأمرِ مع العلم:

أوَّلًا: أنها مُمارَسةٌ رياضيَّةٌ أنشأها الرهبانُ الطاويُّون وطوَّروها، فهي مُسْتَمَدَّةٌ من عقيدتهم وفلسفتهم.

ثانيًا: تختلف هذه المُمارَسةُ الرياضيةُ عن الفنون القتالية الأخرى التي تُعْنَى بالجسم، فهي تعتني -كما يزعمون- بالروح والطاقة.

ثالثًا: يمكن لمن يُمارِسُ هذا الأمرَ -بالتمارين المُسْتمِرَّة- أَنْ يقوم ببعض الأمورِ الخارقةِ للعادة كتحريكِ إنسانٍ آخَرَ دون لَمْسه، أو ضَرْبِ خصمٍ بواسطة الطاقة الكهربائية المتواجدةِ في جسم الإنسان، أو الدفاع عن النفس دون أَنْ يَقْدِرَ الخصمُ لَمْسَه.

رابعًا: إذا نُوقِشَ أحَدُهم حول هذه الأمورِ التي تُعتبر من خوارق العادات يجيب بأنَّ هذا يمكن تفسيرُه علميًّا، ويمكن فعلُه دون الاستعانة بالشياطين، وأنَّ الأمور الخارقة للعادة أمرٌ نسبيٌّ بين الناس.

هذه المحاور -شيخَنا- هي من أَهَمِّ ما يُلاحَظُ على هذه المُمارَسة الرياضية، وإلَّا فهناك مَسائلُ أخرى لو ذُكِرَتْ لكان السؤالُ أَطْوَلَ من هذا.

وجزاكم اللهُ خيرًا.

❁❁❁

■ **الجــواب:**

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصَّلاةُ والسَّلامُ على مَنْ أرسلَه اللهُ رحمةً للعالمين، وعلى آله وصحبِه وإخوانِه إلى يوم الدِّين.

أمَّا بعدُ:

فالمعلوم أنَّ الرِّياضاتِ ـ بمُخْتَلَف أشكالها وأنواعِها ـ وسائرَ الألعابِ داخلةٌ في عمومِ الأفعال، لا تَخرُج عن الأصلِ المُقرَّرِ مِن الحِلِّ والإباحة، ولا تَنصَرِفُ إلى التَّحريم والمنع إلاَّ إذا اكتنفها محذورٌ شرعيٌّ يرجع ـ عادةً ـ إلى الضَّررِ أو الظُّلم، سواءٌ في ظلم العبدِ لربِّه أو ظلم العبد لغيره مِن عباد الله ومخلوقاته أو ظلم العبد لنَفْسه.

وكما وَرَدَ في السُّؤال فإنَّ مَنْشأَ مُمارَسةِ رياضة «التاي شي شوان» مِن الرُّهبان الطَّاوِيِّين، بل إنَّ مذهبَ الطَّاوِيَّة أصلٌ لجملةٍ مِن التَّطبيقات الرِّياضيَّةِ والاستشفائيَّة كـ: «الريكي» و«التشي كونغ» و«اليوجا» وغيرِها.

وكثيرٌ ممَّن يُمارِسُ رياضةَ «التاي شي شوان» لا يعرف أنَّه يُمارِسُ ـ بطريقٍ أو بآخَرَ ـ عبادةَ الطَّاوِيَّة بمُعْتَقَدِها الفاسد؛ ذلك لأنَّ الطَّاوِيِّين يعتقدون أنَّ أصلَ كُلِّ الأشياءِ ومَرَدَّها في الوجود إلى ما يُسَمَّى بـ: «الطَّاو»[1]، وكُلُّ ما في الكون ينبني على تحقيق المُوازَنة بين قوَّةِ «الـيِن» الَّذي يُمثِّلُ القمرَ والأنوثةَ والسُّكونَ والبرودةَ، وبين قوَّةِ «اليانغ» الَّتي تُقابِلُه وتُضادُّه، فهي تمثِّلُ الشَّمسَ والذُّكورةَ والحركةَ والحرارةَ.

وتَنبُعُ فلسفةُ الطَّاقة ـ عند الطَّاوِيِّين ـ مِن هذه القُوَى الثُّنائيَّةِ المُتناقضة، بحيث تَتبلورُ ـ مِن خلالِ هذه الثُّنائية ـ مَهَمَّةُ «الطَّاو» المتمثِّلةُ في التَّوازن المثاليِّ بين هاتَيْن القُوَّتين المُتعارضتَيْن بإحداث التَّفاعلِ التَّجانسيِّ بين النَّقيضَيْن على وجه الانسجام والتَّكامُل.

فهذه الرِّياضةُ ـ في حدِّ ذاتها ـ ضربٌ مِن الطُّقوس الوثنيَّة تقوم على التَّرويج والدِّعاية لأديانِ شرقِ آسيا عمومًا، والطَّاوية والهندوسيَّة والبوذيَّة والشِّنْتُوية خصوصًا.

وهذه المذاهبُ وثنيَّةٌ ـ لا ريب فيها ـ قائمةٌ على مُعْتَقَداتٍ فاسدة، جائرةٍ في حقِّ الله على عبادِه، ومُنافيةٍ للتَّوحيدِ الخالصِ لله تعالى.

علمًا أنَّ هذه الرِّياضةَ تَصحَبُها أمورٌ خارقةٌ للعادة تُجْرِيها الجنُّ والشَّياطينُ على يَدِ المُمارِسين لها المُعْتَقِدين لفَلسفَتِها الوثنيَّة، وهي تُشْبِهُ خوارقَ الطُّرُق الصُّوفيَّة إلى حدٍّ كبير، ولا يُسْتَبْعَدُ تأثُّرُ الصُّوفيَّة بهم في هذا الجانب العقديِّ بوجهٍ مُباشِرٍ أو غيرِ مُباشِرٍ.

هذا؛ وعلى فَرْضِ تجريدِ هذه الرِّياضةِ مِن التَّرانيم والطُّقوسِ الوثنيَّةِ بالنِّسبة لِمُمارِسِ نشاطِها الرِّياضيِّ والاكتفاءِ بترويضِ الجسم بالحركات، إلاَّ أنَّ تلك الحركاتِ الرِّياضيةَ ـ في حدِّ ذاتها ـ لا تخلو مِن الشُّبهات؛ لِما في معاني تلك الحركات التَّفاعُليَّةِ مِن التَّعبيرِ عن التَّوازُنِ المثاليِّ ـ بزعمهم ـ بين القوى الثُّنائيَّةِ السَّالفةِ البيانِ، الَّتي مَنْشَؤها الثَّقافةُ الصِّينيَّةُ القديمةُ ذاتُ المُعْتَقَداتِ الوثنيَّة.

ولا يُلْحَقُ بحكم المنع الفنونُ القتاليَّةُ الآسيويَّةُ بأنواعها إذا ما رُوعِيَتْ فيها الضَّوابطُ الشَّرعيَّة؛ لأنَّ حركاتها معلَّلةٌ بالتَّعرُّف على طُرُقِ التَّصدِّي للعدوِّ وإجادةِ فنون القتال.

هذا، فحريٌّ بالمسلم ـ والحالُ هذه ـ اتِّقاءُ الشُّبهاتِ والحذرُ مِن الوقوع في مَكايدِ الشَّيطان وشِراكه بتزيينه للعمل الضَّالِّ وتحسينه بالشُّبهات؛ وقوفًا عند حدوده، وعملاً بقوله ﷺ: «فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الحَرَامِ»[2]، وقوله ﷺ: «دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ»[3].

والعلم عند الله تعالى

❋❋❋

(1) ويَعْنُون به الهديَ أو الطَّريق أو الطَّريقة، و«الطاو» ليس إلهًا في مذهب الطَّاوية؛ لأنَّهم يُنْكِرون وجودَ إلهٍ بشبهةِ أنَّه لا ضِدَّ له.

(2) أخرجه البخاري (52)، ومسلمٌ (1599)، من حديث النُّعمان بن بشير رضي الله عنهما.

(3) أخرجه الترمذي (2518)، والنسائي (5711)، مِن حديث الحسن بن عليٍّ رضي الله عنهما، وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» (3378).

# في حكم
# تأخير دفع الزَّكاة عن وقتِها



■ **السُّؤال:**

**رجلٌ وجَبَتْ عليه زكاةُ مالٍ كثيرٍ وحانَ وقتُ إخراجها، فهل يجوز له ـ شيخَنا الكريم ـ توزيعُها على أقساطٍ، علمًا بأنَّ هذا قد يستغرق شهورًا؟ وجزاكم الله خيرًا.**

■ **الجواب:**

إذا ثَبَتَ في ذِمَّة المكلَّف وجوبُ إخراج الزَّكاة حالَ توفُّرِ شروطها وانتفاءِ موانعها فإنَّه يَلْزَمُه ـ حالتئذٍ ـ المبادَرةُ إلى إخراجها للمُستحقِّين لها من غير تأخيرٍ لها؛ لأنَّ الزَّكاةَ داخلةٌ في عموم العبادات والخيرات، وقد جاء في التَّنزيل ما يدلُّ على هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ٧٧﴾ [الحج: 77]، وقوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣﴾ [آل عمران: 133]، وقوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ [البقرة: 148؛ المائدة: 48]، ولا يخفى أنَّ الأمر بالمُسارَعة إلى المغفرة واستباقِ الخيرات دليلٌ ظاهرٌ على وجوب المُبادَرة إلى إخراج الزَّكاة؛ لأنَّها من العبادات والخيرات، وقد كَرِهَ النَّبيُّ ﷺ من أصحابه تأخيرَ ما أمَرَهم به من النَّحر والحلق يوم الحُدَيْبِيَة(4)، ولو لم تكن المُبادَرةُ إلى الامتثال واجبةً لَمَا كَرِهَ ذلك منهم، ولأنَّ المُبادَرةَ بالزَّكاة أَحْوَطُ للدِّين وأَبْرَأُ للذِّمَّة، وهي ـ بلا شكٍّ ـ عونٌ ماليٌّ قويٌّ للمُستحقِّين من الفقراء والمساكين والمحتاجين يَستحِقُّونه عند حلوله ليُحصِّنوا أَنْفُسَهم من مدِّ أيديهم للنَّاس بالتَّطلُّع والتَّكفُّف فهُمْ أَوْلى من المكلَّف بالانتفاع بالزَّكاة، فضلًا عن أنَّ المُبادَرةَ إلى إخراج الزَّكاة دون تأخيرٍ أَسْلَمُ مِن خَطَرِ التَّأخير الَّذي يجرُّ آفاتٍ على صاحِبِه ويقتضي ـ مِن ورائه ـ تَراكُمَ الواجبات؛ الأمرُ الَّذي قد يُورِّثُه عجزًا عن النُّهوض بها، وقد يخترمه الموتُ قبل الوفاء بها إلى المُستحِقِّين.

لذلك كان واجبًا على صاحِبِ المالِ أَنْ يبذل جهدًا في تبرئة ذِمَّته منها بإيجاد الطُّرُق الكفيلة بإخراج زكاته من غيرِ تأخُّرٍ، سواءٌ بنفسه أو بمن يُكلِّفُه بالإخراج نيابةً عنه، وإذا كانَتِ الأقساطُ كثيرةً يُخشى التَّفريطُ بعدم أدائها في وقتها الشَّرعيِّ، أو تَعذَّرَ وجودُ المُستحِقِّين في ذلك الوقت؛ فله ـ والحالُ هذه ـ أَنْ يُعجِّلَها أو يُعجِّلَ بعضَها قبل حلول وقتها ليُوَفِّيَها في وقتها، كتعجيلِ قضاءِ الدَّيْنِ قبل حلولِ أَجَلِه، أو أداءِ كفَّارةِ اليمين بعد الحلف وقبل الحِنث، وقد روى أبو داود وغيرُه عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه: «أنَّ العبَّاسَ سأل النَّبيَّ ﷺ في تعجيل صدقته قبلَ أن تَحِلَّ، فَرَخَّصَ لَهُ فِي ذلكَ»، قال مرَّةً: «فأَذِنَ لَهُ فِي ذَلِكَ»(5)، وفي روايةٍ: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَعَجَّلَ مِنَ العَبَّاسِ صَدَقَةَ سَنَتَيْنِ»(6).

والعلمُ عند الله تعالى.

---

(4) أخرجه البخاريُّ (2731، 2732)، مِن حديث المِسْوَرِ بنِ مَخْرَمة رضي الله عنه.

(5) أخرجه أبو داود (1624)، والترمذيُّ (678)، وابنُ ماجه (1795)، من حديث عليِّ ابنِ أبي طالب رضي الله عنه، وصحَّحه أحمد شاكر في «تحقيقه لمسند أحمد» (2/141)، وحسَّنه الألباني في «الإرواء» (3/347) وفي «صحيح أبي داود» (1436).

(6) أخرجه أبو عُبَيْد في «الأموال» (1886) من حديث عليِّ بنِ أبي طالب رضي الله عنه، وحسَّنه الألباني في «الإرواء» (3/346).



سير الأعلام

# عقيدة الإمام أبي العالية

## رُفَيع بنِ مِهْران الرِّياحي



عبد الله بوزنون

إنَّ خيرَ ما تُصرَفُ فيه الأوقاتُ وتُبذَلُ فيه الجهودُ هو العنايةُ ببيان عقيدة أهلِ السُّنَّة وتوضيحها، وأفضلُ طريقٍ لهذا الغَرَضِ المنشودِ هو الاعتناءُ بما أُثِرَ عن السَّلَف الصَّالح في باب الاعتقاد؛ جمعًا وتدريسًا؛ لأنَّهم أصحابُ العقيدة المَرْضيَّة والقرونِ المُفضَّلة الَّذين شَهِدَ لهم رسولُ الله بالخيريَّة، ومن تلك الخيريَّة أنَّه لم يَشُبْ عقائدَهم ما أتى على مَنْ بَعدَهُمْ من البدع والمُحدَثَات، يقول الدُّكتور محمَّد بن عبد الرَّحمن الخميس في مُقدِّمة كتابه «اعتقاد أئمَّة السَّلَف أهلِ الحديث» (ص10): «وممَّا يُؤسَف له أنَّ بعضَ الجامعات الإسلاميَّة في كثيرٍ من البلدان، لم تُعْطِ عقائدَ السَّلف ما تَستحقُّه من العناية والدِّراسة والبحث والنَّشر، وإذا نشرَتْ شيئًا من الكتب والبحوث في مجال العقيدة، فإنَّما هي عقيدةُ الأشعريَّة والماتريديَّة وأشباههم، وإن كان هناك وجودٌ لكتبٍ تتحدَّثُ عن عقيدة السَّلف أهل السُّنَّة والجماعة؛ فإنَّها مَشوبةٌ بكلام المُتكلِّمين ومُصطلحاتِهم الحادثةِ المُبتَدَعة، وليست بصفاء عقائد السَّلف المأثورة عنهم، البعيدةِ عن التَّكلُّف والكلام والجَدَلِ، المقصورةِ على ما جاء في كتاب الله، وحديث رسولِه ﷺ» اهـ.

**وقبل أن نَشرَعَ في المقصود نَذكُرُ تَرجمةً مُوجزَةً تُعرِّفُ القارئَ بجلالةِ هذا الإمامِ وعُلوِّ قدره.**

### ❁ اسمه وكنيته ونسبه[1]:

هو الإمامُ الحافظُ المُقرِئُ المُفسِّرُ، رُفَيْع (بالتَّصغير) بنُ مِهران أبو العاليةَ الرِّياحي مولاهم البصري، كان مولًى لامرأةٍ من بني رياح بنِ يَربُوع، ثمَّ من بني تميم، يقال لها آمنة امرأةُ أبي رياح.

وُلِدَ أبو العالية رُفَيْعُ بنُ مِهْرَان الرِّياحي قبلَ وفاة النَّبيِّ ﷺ بأربعِ سنين[2]، فهو من المُخضرَمين الَّذين أَدْرَكوا عهدَ النَّبيِّ ﷺ، ويُقالُ بأنَّه حَميلٌ أي وُلِدَ في أرضِ العدوِّ.

### ❁ نشأته العلميَّة:

بدأ أبو العالية مَسيرَتَه العلميَّةَ في سنٍّ مُبكِّرَة، رُغمَ ما كان فيه من رقِّ العبوديَّة، حيث قرأ القرآنَ بعد وفاة النَّبيِّ ﷺ بعشر سنين، كما كان يقول عن نفسه: «قرأتُ القرآنَ بعد وفاةِ نبيِّكم ﷺ بعشر سنين»[3]، وساعد في ذلك نبوغُه وسرعةُ حفظه، وما أدرك من الخير في بقاء ثلَّة من كبارِ الصَّحابة؛ كعمر وأبي أيُّوب وأبي موسى وأبي هريرة -رضي الله عنهم أجمعين- وغيرهم.

### ❁ رحلاته:

كان أبو العالية من الأوائل الَّذين سَنُّوا الرِّحلَةَ في طلب العلم والحديث، فقد كان بالبصرة يسمع مِمَّن سمِعَ من الصَّحابة فلَمْ يَهْنَأْ حتَّى رَحَلَ إليهم ليسمَعَ منهم مُشافهَةً، وفي ذلك يقول: «كنَّا نسمع بالبصرة عن أصحاب النَّبيِّ ﷺ فلم نَرْضَ حتَّى رَكِبْنا إلى المدينة فسمعناها من أفواههم»[4].

وممَّا يذكر في رحلاته خروجُه غازيًا في سبيل الله مع جمعٍ من الصَّحابة فدخل أَصْبَهَان مع أبي

(1) انظر ترجمته في «حلية الأولياء» (217/3)، «الأنساب» للسَّمعاني (122/3) (4563)، «تاريخ دمشق» (159/18)، «تهذيب الكمال» (218/9)، «سير أعلام النُّبلاء» (207/4)، «تهذيب التَّهذيب» (59/12).

(2) لم أجدْ غيرَ هذا التَّاريخ، وهو عند السَّمعاني في «الأنساب» حيثُ قال أبو العالية: «قُبِضَ النَّبيُّ ﷺ وأنا ابنُ أربعِ سنين»، وذكر الذَّهبي في «السِّير» أنَّه قد أدرَكَ النَّبيَّ وهو شابٌّ، لكنْ قولَه عن نفسه مُقدَّمٌ على قول غيرِه إن صحَّ الأثرُ.

(3) «تاريخ دمشق» لابن عساكر (166/18)، «سير أعلام النُّبلاء» (208/4).

(4) «تاريخ دمشق» (174/18).

موسى الأشعري رضي الله عنه، وكان بالشَّام مع أبي ذرٍّ رضي الله عنه[5].

### ❁ سعة علمه وثناء العلماء عليه:

لقد حاز أبو العالية قصب السَّبق في العلوم، فكان فقيهًا مُفتيًا يُشبه إبراهيمَ النَّخَعي في فقهه، قال مغيرة: «كان أَشْبَهَ أهلِ البصرة علمًا بإبراهيم النَّخعي أبو العالية»[6]، وكان إمامًا في التَّفسير والقراءة وقد برع فيهما؛ فكان أَعْلَمَ التَّابعين بالقرآن كما سيأتي في ثناء العلماء عليه، وبلغ من العلم ما جعل ابنَ عبَّاس رضي الله عنهما يُقدِّمُه على أعيان قُرَيْش، ويُجلِسُه على السَّرير، وكانت قُرَيْشٌ تتغامَزُ عليه ففطِنَ لهم ابنُ عبَّاس فقال: «هكذا العلمُ، يزيد الشَّريفَ شَرفًا، ويُجلِسُ المملوكَ على الأَسِرَّةِ»، ثمَّ أنشد محمَّد بن الحارث في إثره:

رأيت رَفيعَ النَّاس من كان عالمًا
وإن لم يكن في قومه بحسيب
إذا حلَّ أرضا عاش فيها بعلمه
وما عالم في بلدة بغريب[7]

وقال ابن أبي داود عنه: «ليس أحد بعد الصَّحابة أعلم بالقرآن منه»، وقال أبو نعيم الأصبهاني: «ومنهم ذو الأحوال السَّامية والأعمال الخافية، رُفَيْعُ أبو العالية، كانت وصاياه في لزوم الاتِّباع وعهوده في مجانبة الإحداث والابتداع»، وقال الذَّهبي عنه: «كان أبو العالية إمامًا في القرآن والتَّفسير والعلم والعمل»، وقد وثَّقه العجلي وابنُ حبَّان وغيرُهما، وأمَّا ما رُوِيَ عن الشَّافعي أنَّه قال: «حديث الرِّياحي رِياح»، فقد قال ابنُ حجر: «إنَّما أراد حديثًا خاصًّا وهو حديث القهقهة، كما نبَّه عليه ابنُ عدي»، ثمَّ قال: «وسائر أحاديثه مستقيمةٌ»[8].

### ❁ شيوخه:

ممَّا يُلاحَظُ على أبي العالية أنَّه خرِّيجُ مدرسَة الصَّحابة، كما سبق قولُه: «كنَّا نسمع بالبصرة عن أصحاب النَّبيِّ ﷺ فلم نرْضَ حتَّى ركِبْنا إلى المدينة فسمعناها من أفواههم»[9]، فغالب شيوخه من الصَّحابة، فقد روى عن أُبَيِّ ابنِ كعب، وأنس بن مالك، وثوبان مولى رسول الله ﷺ، وحذيفة بن اليمان، ورافع بن خديج، وعبد الله بن عبَّاس، وعبد الله بن عمر بنِ الخطَّاب، وعبد الله بنِ مسعود، وعلي بن أبي طالب[10]، وأبي أيُّوب الأنصاري[11]، وأبي برزة الأسلمي، وأبي ذرٍّ الغفاري، وقيل عن أبي مسلم الجذمي عن أبي ذرٍّ، وعن أبي سعيد الخدري، وأبي موسى الأشعري، وأبي هريرة، وعائشة أمِّ المؤمنين[12].

وأمَّا شيوخُه في القراءة فقد «أخذ القراءةَ عرضًا عن أُبيٍّ، وزيد بن ثابت، وابن عبَّاس»، قاله أبو عمرو الدَّاني[13]، كما أنَّه عرض على عمر بنِ الخطَّاب؛ فعن حفصة بنت سيرين قالت: «قال لي أبو العالية: قرأتُ القرآنَ على عُمَرَ ثلاثَ مرَار»[14]، وأكثر من اشتهَرَ بالتَّتلمُذ عليهم: ابنُ عبَّاس وأُبَيُّ بنُ كعب رضي الله عنهما.

### ❁ وفاته:

اختلف العلماءُ في سنة وفاته، فذهب جمعٌ منهم إلى أنَّه تُوُفِّيَ سنةَ (90 هـ)، وقال آخرون: سنة (93هـ)، وشذَّ المدائني فقال: «مات سنةَ ستٍّ ومائة»، وقال أبو عمرو الضَّرير: «مات سنة (111 هـ)»، وصحَّحَ القولَ الأوَّل جماعةٌ من المُؤرِّخين منهم الذَّهبي، وابنُ العماد الحنبلي وغيرهم، وقوَّاه ابنُ حجر، ويشهد له قولُ أبي خلدة: «مات أبو العالية في شوَّال سنة تسعين»[15].



---

(5) «الأنساب» للسَّمعاني (122/3)، «تاريخ دمشق» (166/18)، «سير أعلام النُّبلاء» (209/4).

(6) أورد هذا الأثر الشِّيرازي في «طبقات الفقهاء» (88/1)، والذَّهبي في «معرفة القُرَّاء الكبار» (155/1) عند ترجمة أبي العالية رفيع ابن مهران، لكن وجدتُ ابنَ أبي حاتم في «الجرح والتَّعديل» (329/2) أورد هذا الأثر في ترجمة أبي العالية البراء أذينة، وهو غير أبي العالية الرياحي فالله أعلم.

(7) «تاريخ دمشق» (177/18).

(8) انظر هذه الأقوال في «حلية الأولياء» (217/2)، «تهذيب الكمال» (218/9)، «معرفة القرَّاء الكبار على الطَّبقات والأعصار» (155/1)، «الإصابة» (512/1) (ق3).

(9) سبق ذكر مصدره.

(10) اختُلِفَ في سماع أبي العالية من علي رضي الله عنه، فذهب عليُّ بنُ المديني أنَّه سمع منه، وقال يحيى ابن معين أنَّه لم يسمع من علي، وقال شعبة: «قد أدرك رُفَيْع عَليًّا ولم يسمعْ منه»، والصَّحيح أنَّه سمع منه كما روى ذلك قتادة قال: «سمعت أبا العالية وكان أدركَ عليًّا قال عليٌّ: القضاةُ ثلاثةٌ» الحديث، انظر «جامع التَّحصيل» (ص175)، «المراسيل» لابن أبي حاتم (ص85)، «التَّاريخ الكبير» (326/3)، «تهذيب التَّهذيب» (610/1).

(11) وهو من أكابر من رأى، لكن يوجد من هو أكبرُ منه، وأمَّا ما رواه ابنُ أبي حاتم في كتابه «المراسيل» (ص85) أنَّه سُئل: «من أكبرُ مَنْ رَأَيْتَ؟ قال: أبو أيُّوب، غيرَ أنِّي لم آخُذ منه»، وهذا فيه غرابة؛ إذ تقدَّمَ أنَّه سَمِعَ من عُمَر، وعمر تُوُفِّيَ سنة (23هـ)، وأبو أيُّوب تُوُفِّيَ سنة (50هـ)، ولهذا قال العلائي: «قلتُ: وهذا عجيبٌ، فقد قالت حفصة بنتُ سيرين: قال لي أبو العالية: قرأتُ القرآنَ على عمر رضي الله عنه ثلاثَ مرَّات»، انظر «جامع التَّحصيل» (ص175).

(12) شيوخه هؤلاء عند أصحاب الكتب السِّتَّة، نظر «تهذيب الكمال» (215/9).

(13) «معرفة القُرَّاء الكبار» (156/1).

(14) نقل الذَّهبي هذا الأثر، وقال: «وهذا حديثٌ صحيحٌ غريبٌ»، انظر: المصدر السَّابق.

(15) «الكامل» لابن الأثير (202/4)، «البداية والنِّهاية» (88/9)، «تهذيب التَّهذيب» (246/3)، «التَّاريخ الكبير» (326/3)، «الأنساب» للسَّمعاني (123/3)، «الثِّقات» (239/4)، «تاريخ دمشق» (191/18)، «سير أعلام النُّبلاء» (213/4)، و«العبر في خَبَرِ مَنْ غبر» (81/1)، «شذرات الذَّهب» (367/1).

## ❁ آراؤه العقدية:

لقد أدرك أبو العالية صَدْرَ الإسلام وكبارُ الصَّحابة متوافرون، والإسلامُ يومَها صافٍ لم تَدْخُلْهُ الشَّوائبُ بعدُ، كلُّ ذلك أثَّرَ في عقيدة أبي العالية رَحِمَهُ اللهُ، كما يُحدِّثنا هو عن نفسه في سرِّ سلامة عقيدته ومنهجه، يقول: «تعلَّمُوا القرآنَ، فإذا تعلَّمْتُمُوه فلا تَرْغَبُوا عنه، وإيَّاكُم وهذه الأهواء؛ فإنَّها تُوقِعُ العداوةَ والبغضاءَ بينكم، فإنَّا قَرَأْنا القرآنَ قبل أن يُقتَل عثمان بخمس عشرة سنة»[16]، ولهذا كان تفسيرُه عمدةً في باب الاعتقاد عند أهلِ السُّنَّة والجماعة، وقد عدَّه اللالَكَائي فيمن وُسِمَ بالإمامة في السُّنَّة[17]، وهذه أهمُّ آرائه في العقيدة.

### ☐ التَّوحيد:

إنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ بعث الرُّسُلَ وأنزل الكُتُبَ، وأقام الحجَّةَ لبيان توحيده عَزَّ وَجَلَّ كما قال: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ۝٢٥﴾ [سورة الأنبياء]، وغير ذلك من الآيات الَّتي تُقرِّر هذا المبدأ، بل القرآن من أوَّله إلى آخره إنَّما هو دعوةٌ للتَّوحيد، ونهيٌ عن الشِّرك، ولمَّا كان هذا المبدأ قد تشبَّع به أبو العالية مُوقنًا أنَّ القرآنَ هو دعوةٌ للتَّوحيد ونبذ للشِّرك، ظهر في كثيرٍ من تأويلاته للآيات الواضحة الدَّلالة على ذلك والخفيَّة منه، فمثلًا عند قوله تعالى: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝١٠٤﴾ [سورة آل عمران]، جعل أبو العالية مَنَاطَ المعروف المأمور بتبليغه هو التَّوحيد، فقال: «كلُّ آيةٍ يذكرُها اللهُ في القرآن فذكر الأمرَ بالمعروف، فالأمرُ بالمعروف أنَّهم دَعَوْا إلى الله وحدَه وعبادَته لا شريك له، دعاءٌ من الشِّرك إلى الإسلام»[18]، وجعل حقيقةَ المنكر الَّذي ينهى عنه هو الشِّرك، فقال: «كلُّ آيةٍ ذكرَها اللهُ في القرآن فذكر النَّهيَ عن المنكر، النَّهي عن عبادة الأوثان والشَّيطان»[19].

وممَّا يزيد هذا وضوحًا هو تفسيرُه للعهد الوارد في كثيرٍ من الآيات بأنَّه التَّوحيد، وانظر على سبيل المثال في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [المائدة: 12]، قال: «أخذ اللهُ مَواثيقَهم أن يُخْلِصُوا له ولا يعبُدوا غيرَه»[20].

### ☐ إثباته للأسماء والصِّفات:

#### أ- إثباتُه الصِّفات:

فمن هذه الصِّفات صفةُ الإتيان الثَّابتة لله عَزَّ وَجَلَّ، كما قال تعالى: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ۝٢١٠﴾ [البقرة: 210]، وقد أثبتها لله عَزَّ وَجَلَّ، يقولُ في تفسير الآية: «يقول: والملائكةُ يجيئون في ظُلَلٍ من الغمام، والله - تبارك وتعالى - يجيء فيما يشاء، وهي في بعض القراءة: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّآ أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ وَالمَلَائِكَةُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الغَمَامِ﴾»[21]، ويظهر من تفسيره هذا أنَّه أَثْبَتَ صفةَ المجيء كما في قوله: «والله - تبارك وتعالى - يَجِيءُ فيما يشاء»، مع تنزيهه من إضافة الغمام إليه بل أضافَه للملائكة حيث قال: «والملائكةُ يجيئون في ظُلَلٍ من الغمام».

وهذا التَّنزيه له دليلُه الَّذي استدلَّ به من قراءة أُبَيِّ ابن كعب فقال: «وهي في بعض القراءة: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّآ أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ وَالمَلَائِكَةُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الغَمَامِ﴾»[22]، فجمع بين الإثبات والتَّنزيه.

ويلاحظ من خلال تفسيره لآيات الصِّفات أنَّه يُثبت الصِّفةَ مع إثبات معناها اللائق بالله عَزَّ وَجَلَّ المعهود عند العرب، ويظهَرُ هذا جليًّا في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: 29]، قال: «يقول: ارتفع»[23]، وهذا القول موافقٌ للُغَة العرب وقولِ السَّلف.

#### ب- إثباته الأسماء:

فاللهُ عَزَّ وَجَلَّ له الأسماءُ الحسنى، وهذه الأسماءُ إذا كانت مُتضمِّنَةً لوصفٍ مُتعَدٍّ فلها أثرٌ وتعلُّقاتٌ؛ إذ أسماؤه - سبحانه - ليست أعلامًا جامدةً، بل تتضمَّنُ صفاتٍ لها أثرٌ تظهَرُ في مُتعلَّقاتها.

وقد كان أبو العالية يُثبتُ هذا على حسب سياقِ الآية، أي: أثر أسمائه سبحانه، فيقول: ﴿عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾: عزيزٌ في نقمَته إذا انتقم، حكيمٌ في أمره»[24]، وقال: ﴿ٱللَّطِيفُ﴾ باستخراجها، ﴿ٱلۡخَبِيرُ﴾ بمكانها»[25].

### ☐ موقفه من آيات الوعيد:

وقد تعرَّض أبو العالية لتفسير

---

(16) «تاريخ دمشق» (171/18).

(17) «شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة» (49/1).

(18) الأثر أخرجه ابن أبي حاتم (1128) قال مُحقِّقُه عقبَه: «إسناده حسن».

(19) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (185/18).

(20) أخرجه الطَّبري (235/8).

(21) أخرجه ابن أبي حاتم (1579)، والطَّبري (605/3)، والبيهقي في «الأسماء والصِّفات» (442/1).

(22) أخرجه الطَّبري (605/3).

(23) أخرجه البخاري مُعلَّقًا في «صحيحه» [(496/13) «الفتح»]، ووصله غيره.

(24) أخرجه ابنُ أبي حاتم (391/1) (1278/1276)، وأورده السُّيوطي في «الدُّر» وعزاه إليه (718/1).

(25) أخرجه ابنُ أبي حاتم (364/4) (7744/7743)، والطَّبري عن هنَّاد عن وكيع عن أبي جعفر به (469/6).

آياتِ الوعيد على قواعدَ راسخة، من غير تناقض بين تفسيراته، بل يُرجع مُتشابهَها إلى مُحكَمِها، ويوفِّقُ بينها قدرَ استطاعته، دون مخالفة مذهب السَّلف فيها، ونعرضُ الآن بعضَ النَّماذجَ الَّتي تُقرِّرُ ما ذكرْنَاه.

1 ـ إثباته أثرَ الذُّنوب مع وجود الإيمان:

قال أبو العالية مُثبتًا ذلك: «كان أصحابُ رسول الله ﷺ يَرَوْن أنَّه لا يضرُّ مع لا إله إلَّا الله ذَنبٌ كما لا يَنفعُ مع الشِّرك عملٌ، حتَّى نَزلَتْ: ﴿وَلَا تُبْطِلُوٓا أَعْمَٰلَكُمْ ٣٣﴾ [سُورَةُ مُحَمَّدٍ]، فخافوا أن يُبطِلَ الذَّنبُ العملَ»، وفي رواية: «فخافوا الكبائرَ أن تُحبِطَ أعمالَهم»[26].

2 ـ التَّفريق بين آيات الوعيد الخاصَّة بالكفَّار، والخاصَّة بالموحِّدين:

قال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٨١﴾ [سُورَةُ البَقَرَةِ]، الظَّاهر من الآية أنَّ كلَّ مَنْ كسب سيِّئةً وجَبَ الخلودُ له في النَّارِ، لكنَّ هذا الظَّاهرَ خلافُ ما وردَ في الآيات والأحاديث الَّتي تَنفي الخلودَ في النَّارِ عن أهلِ الإيمان، فوَفَّقَ بينها قائلاً: «﴿سَيِّئَةً﴾ الشِّرك»[27]، فدفع رحمه الله هذا الإيهامَ وأزال الإبهامَ، وكذلك في أثر آخر، قيل لأبي العالية: قالَ الله: ﴿لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ٢٨﴾، وقال: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ٣١﴾ فكيف هذا؟ قال: نعم؛ أمَّا قولُه: ﴿لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ﴾ فهؤلاء أهلُ الشِّرك، وقولُه: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ٣١﴾ فهؤلاء أهلُ القبلة يختَصمون في مظالمِهم»[28]، ففرَّق رحمه الله بين نَفيِ الاختصامِ وإثباتِه؛ أنَّ الأوَّلَ للكفَّارِ والثَّاني للموحِّدين.

3 ـ التَّفصيل في مواطن قبول التَّوبة وعدمها:

فالتَّوبةُ تُقبَلُ من كلِّ أحد، لكن لها شروطٌ وموانعُ تمنَعُ من قبولها، والآياتُ المُثبِتةُ والنَّافيَةُ لها حسب تَوفُّرِ هذه الشُّروطِ وانتفاءِ الأخرى، وقد راعى أبو العالية هذه المعطيات في تفسيره، فمثلاً عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ٩٠﴾ [سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ]، الظَّاهر أنَّه وإن تابوا لا تُقبَلُ توبتهم، والمعلومُ أنَّ التَّوبةَ تنقَطعُ بالموت، فأقرَّ هذا الاعتقادَ وأزالَ الإشكال، حيث جعل عدم قبول التَّوبة منهم في الحياة لوجود المانع وهو عدم توبتهم من الشِّرك، فقال: «هم اليهود والنَّصارى والمجوس أصابوا ذنوبًا في كُفرهم فأرادوا أن يتوبوا منها ولم يَتوبُوا من الكفر، ألا ترى أنَّه يقول: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ٩٠﴾»[29].

ومثلُها قولُه في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ١٧﴾ [سُورَةُ النِّسَاءِ]، قال: «هذه للمؤمنين»، وفي قوله: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ﴾، قال: «هذه

(26) أخرجه المروزي في «تعظيم قدر الصَّلاة» (645/2) (698)، وابنُ أبي حاتم (3299/10) (18591) مُعلَّقًا عن أبي العالية، وأورَدَه السُّيوطي في «الدُّرِّ المنثور» (13/451) وعزاه لعبد بن حُمَيْد.
(27) أخرجه ابنُ أبي حاتم (827).
(28) أخرجه الطَّبري (442/21) بنحوه، وأورده السُّيوطي في «الدُّرِّ» (638/13) والسِّياق له، وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المُنذر.
(29) أخرجه ابنُ جرير (565/5).



لأهل النِّفاق»، ﴿وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾، قال: «هذه لأهل الشِّرك»[30].

□ موقفه من القدر:

يظهر من خلال تفسير أبي العالية إثباتُه للقدر جملةً وتفصيلاً، بل لمَّا خاضَ النَّاسُ في القَدَر اجتمع رُفَيْع أبو العالية ومُسلمُ بنُ يَسَار فقال أحدُهما لصاحبه: «تَعَال حتَّى نَنظُرَ فيما خاض النَّاسُ فيه»، قال الرَّاوي: اجتمع رأيُهما أنَّهما قالا: «يكفيك من هذا الأمر أن تَعلَمَ أنَّه لن يُصيبَكَ إلاَّ ما كتب اللهُ لك، وأنَّكَ مجزيٌّ بعَمَلك»[31].

وأمَّا عن تفسيره المُثبت للقَدَر ففي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [سُورَةُ الأَعْرَافِ]، يقول: «عادوا إلى علمه فيهم، ألَمْ تَسمَعْ إلى قول الله فيهم: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [سُورَةُ الأَعْرَافِ]؟ ألَمْ تَسمَعْ قولَه: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾»[32]. فأثبتَ علمَ الله السَّابق، وأنَّ اللهَ عَلمَ ما سَيؤُولُ إليه النَّاسُ من ضَالٍّ ومُهتَدٍ، وهذا أصلٌ من أصول السُّنَّة كما قال ابنُ القيِّم بَعْدَ نَقله لتفسيره: «هذا المعنى صحيحٌ في نفسه دلَّ عليه القرآنُ والسُّنَّةُ والآثارُ السَّلفيَّةُ وإجماعُ أهلِ السُّنَّة»[33].

□ موقفه من الرُّؤيَة (رؤية الخلق لله عَزَّ وَجَلَّ):

يثبتُ أبو العالية للمؤمنين رؤيَةَ الله عَزَّ وَجَلَّ في الآخرة، مع حمل نَفي الرُّؤيَة الوارد في بعض الآيات على رؤيته في الدُّنيا، فذلك مُحالٌ على كلِّ أحد، فيقولُ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ [سُورَةُ الأَعْرَافِ] قال: «قد كان قَبْلَه مؤمنون، ولكن يقول ـ أي موسى ـ أنا أوَّلُ مَنْ آمن أنَّه لا يراك أحدٌ من خَلقكَ إلى يوم القيامة، وهو يقول: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [سُورَةُ الأَنْعَامِ] يعني أنَّه لا تُدركُه الأبصارُ في الدُّنيا»[34].

وأمَّا رؤيةُ النَّبيِّ ﷺ لرَبِّه في الدُّنيا فيَعتَقدُ أنَّها رُؤيَةُ القلب لا رُؤيَة البصر فيقول: «مُحمَّدٌ رآه بفؤاده ولم يَرَهُ بعينه»[35].

□ موقفه من الصَّحابة:

إنَّ ممَّا وَرِثه أبو العالية من خلال تَتلمُذه على يد الصَّحابة، صفاءَ قلبه تُجاهَهم، واحترامَهم، وعدمَ الخوض فيما شَجَرَ بينهم، ويعرفُ لأكابرهم حقَّهم، مع حبِّ آل البيت رضوان الله عليهم أجمعين، بل جعلَ أبا بكر وعمر مع النَّبيِّ ﷺ دليلَ الصِّراط المستقيم، فقال في قوله تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾﴾ [سُورَةُ الفَاتِحَةِ]، قال: هو النَّبيُّ ﷺ وصاحباه من بعده[36].

ومن سلامة صدر أبي العالية لأصحاب رسول الله ﷺ أنَّه لم يَدخُل في القتال الَّذي وقع بينَهم، بل لمَّا وقعت الفتنةُ بين عليٍّ ومعاويةُ، همَّ بالقتال مع عليٍّ، لكن لمَّا سمع تكبيرَ الجَيْشَيْن أَحْجَمَ عن ذلك وعاد إلى بيته[37].

□ شدَّتُه في السُّنَّة وإنكارُه للبدعة:

لقد كان لطلب أبي العالية العلمَ في وقت مُبكِّر على كبار الصَّحابة؛ كعمر ابن الخطَّاب، وأُبَيِّ بن كعب، وعليٍّ، وغيرهم ـ رضوان الله عليهم ـ. قبل ظهور الفتن ـ الأثرُ البالغُ في بُعده عن الأهواء، وتَمسُّكه بالسُّنَّة، ولعلَّه أشار إلى ذلك لمَّا قال: «تعلَّموا القرآنَ، فإذا تعلَّمْتُمُوه فلا تَرْغَبُوا عنه، وإيَّاكم هذه الأهواءَ؛ فإنَّها تُوقعُ العداوةَ والبغضاءَ بينكم، فإنَّا قد قَرَأنا القرآنَ قبل أن يَقتُلُوا عثمانَ بخمس عشر سنة»[38]، وكان يكرَهُ الفِرَقَ المارقَةَ في عصره؛ كالخوارج وغيرهم، حتَّى إنَّه كان يحمدُ اللهَ على الإسلام وأنَّه ليس منهم، ويقول: «ما أدري أيُّ النِّعمَتَيْن عليَّ أَفْضَلُ، أن هداني اللهُ للإسلام أو لم يَجْعَلْني حروريًّا»[39].

وقد بلغ من بُغضه للأهواء والبدع، إنكارُه المظاهر الَّتي حدَثَتْ بعد عصر الصَّحابة مِنْ لُبْس الصُّوف وغيرها، فقد زاره مرَّةً عبدُ الكريم أبو أُمَيَّةَ وعليه ثيابُ صوف، فقال له: «هذا زيُّ الرُّهبان؛ إنَّ المسلمين إذا تزاوَرُوا تَجمَّلُوا»[40].

هذا ما تيسَّر جمعُه من سيرة هذا الإمام الجِهبذ، فرَحِمَه اللهُ رحمةً واسعةً، وصلَّى اللهُ على نبيِّنا مُحمَّد وآله.

(30) أخرجه ابنُ أبي حاتم (4997، 5015، 5021)، وأورده السُّيوطي في «الدُّر» (278/4)، وعزاه لعبد ابن حميد وابن المُنذر.

(31) «شرح أصول الاعتقاد» اللاَّلكائي (606/1).

(32) الأثر أخرجه ابنُ أبي حاتم (8366)، والطَّبري (143/10).

(33) «شفاء العليل» (ص292).

(34) أخرجه الطَّبري (433/11)، وأخرجه اللاَّلكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة» (483/1) (921).

(35) أورده السُّيوطي في «الدُّر» (23/14) وعزاه لعبد ابن حميد وابن جرير، لكنَّ الأخير أخرجَه مَوقوفًا على الرَّبيع (25/22) وفي إسناده محمد بنُ حُمَيْد وهو مُتَّهَمٌ بالكذب.

(36) أخرجه ابنُ أبي حاتم (34، 21/1)، وأخرجه الطَّبري (175/1)، وأخرجه ابنُ عدي (95/4)، وابنُ عساكر (170/18).

(37) «طبقات ابن سعد» (113/9)، «تاريخ دمشق» (182/18).

(38) «سير أعلام النُّبلاء» (210/4).

(39) «تهذيب الكمال» (216/9).

(40) «سير أعلام النُّبلاء» (213/4).






# الكلامُ على
# الكلامِ الذي ذمَّه السَّلف

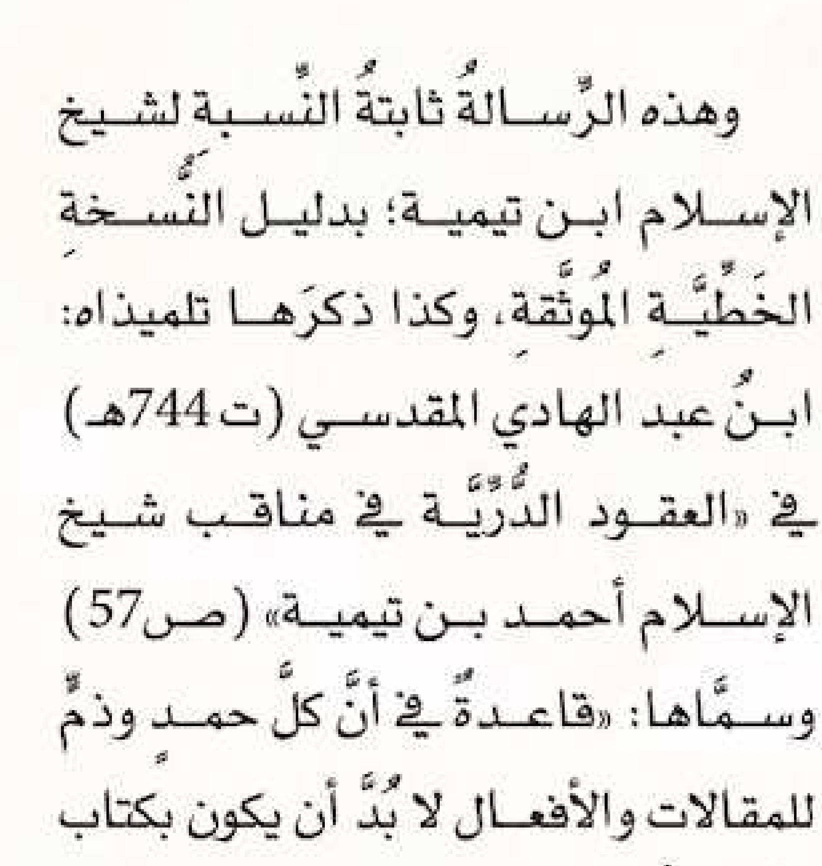
## لشيخ الإسلام ابن تيمية الحرّاني ـ رحمه الله (ت 728 هـ)

قرأه وعلق عليه عمار تمالت
باحث في مركز الملك فيصل ـ السعودية

هذه رسالةٌ جليلة، وقاعدةٌ نفيسة، من كلام شيخ الإسلام ومجدِّد الدِّين في المائة الثَّامنة، الشَّيخ تقيِّ الدِّين أبي العبَّاس أحمد بنِ عبدِ الحليم الحرَّاني الدِّمشقي المعروف بابن تيميَّة، تضمَّنَت بيانَ ما ذمَّه السَّلفُ الصَّالح من الأقوال والأفعال المُحدَثَة في الدِّين، وأنَّ ذمَّهم ذلك لم يكن عن هوًى وتعصُّب، بل استناد إلى الكتاب والسُّنَّة، فكان فعلُهم هذا وتصرُّفُهم منهاجًا جليًّا ينبغي لكلِّ مَنْ أراد أن يردَّ قولَ أحد أو يُبيِّنَ خطأَه أو ضلالَه في مسألة في الدِّين، أن يقتديَ به ويتَّبِعَه، حتَّى يكونَ الكتابُ والسُّنَّةُ هما الغاية والوسيلةَ، لا هوى النَّفس، ولا التَّعصُّب لجهة مُعيَّنة؛ وقد بيَّنَ شيخُ الإسلام ـ رحمه الله وأجزل له المثوبةَ ـ هذا الأمرَ أتمَّ بيانٍ وأوضحَه، كعادتِه في سائر كُتُبِه ومُؤلَّفاته.

كما بيَّنَ فيها شيخُ الإسلام وجهَ ضلال مَن ضلَّ من المخالفين لأهل السُّنَّة؛ كالفلاسفة والمعتزلة، وأنَّ ذلك كان بترك اتِّباعهم الكتابَ والسُّنَّة.





وهذه الرِّسالةُ ثابتةُ النِّسبة لشيخ الإسلام ابن تيمية؛ بدليل النُّسخةِ الخَطِّيَّةِ المُوثَّقة، وكذا ذكرَها تلميذاه: ابنُ عبدِ الهادي المقدسي (ت 744هـ) في «العقود الدُّرِّيَّة في مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية» (ص57) وسمَّاها: «قاعدةٌ في أنَّ كلَّ حمدٍ وذمٍّ للمقالات والأفعال لا بُدَّ أن يكون بكتاب الله وسنَّة رسوله».

وابنُ رُشَيِّق المغربي (ت 749هـ) في «أسماء مُؤلَّفاتِ شيخ الإسلام ابن تيمية»[1] وسمَّاها: «رسالةٌ في أنَّ كلَّ حمدٍ وذمٍّ للمقالات والأفعال لا بدَّ أن يكون بكتاب الله وسنَّةِ رسوله».

❁❁❁

وقد اعتمدتُ في نشر هذه الرِّسالة على نسخة خَطِّيَّة نفيسة، ضمن مجموعٍ نفيسٍ يَضُمُّ مُؤلَّفاتِ شيخِ الإسلام[2]، كتبَها وجميعَ رسائلِ المجموع شمسُ الدِّين محمَّد بنُ موسى بنِ إبراهيم الحبَّال الأنصاري الحَرَّاني الحنبلي في أواخر القرن الثَّامن الهجري على التَّقدير، وذكر أنَّه نَقَلَها من نسخةٍ بخطِّ شمسِ الدِّين ابنِ المُحِبِّ[3].

❁❁❁

تقعُ الرِّسالةُ في الأصل الخَطِّي في أربعِ ورقات (من 108 ـ حتَّى 114)، ومسطرتها (17) سطرًا.

❁❁❁

أمَّا عنوانها: فقد كُتِبَ في حاشية الأصل: «الكلام على الكلام الَّذي ذمَّه السَّلف»، ومضمونُها موافقٌ تمامًا لما ذكرَه ابنُ عبد الهادي وابنُ رُشَيِّق كما سبق.

❁❁❁

(1) ضمن «الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية» (ص301).

(2) سبق أن نَشَرْتُ منه بعضَ الرَّسائل في هذه المجلَّة النَّافعة.

(3) هو: شمس الدِّين محمَّد بنُ محمَّد بن أحمد، المقدسي، المعروف بابن المُحِبِّ، توفي سنة (788هـ)، وهو ابن عمِّ ابن المُحِبِّ الصَّامت صاحب «كتاب الصِّفات»، له ترجمة في «المقصد الأرشد» (2/511).



### وهذا نصُّ الرِّسالة:

وقال شيخُ الإسلام ابنُ تيمية الحرَّاني - أيضًا - رحمه الله ومن خطِّه المبارك[4] نقلَ الإمامُ شمسُ الدِّين ابنُ المُحِبِّ - رحمه الله تعالى -، ومنه نقلتُ:

(4) تعبير من النَّاسخ.

## فصل

الكلامُ الَّذي ذمَّه ونهى عنه الأئمَّةُ والسَّلَفُ الصَّالحُ - كما هو مشهورٌ مُتواترٌ عنهم في كتبِ السُّنَّة والحديث والتَّصوُّف وكلام الفقهاء وغيرهم، وقد جمع فيه شيخُ الإسلام الأنصاري كتابَه المشهور[5]، ولمالك والشَّافعيِّ والإمام أحمد وغيرهم في ذلك نصوصٌ مشهورةٌ - قد حصل فيه اضطرابٌ:

**فإنَّ من النَّاسِ مَنْ يعتقدُ أنَّهم نَهَوْا عن جنس الاستدلال والمجادلة في أصول الدِّين، ثمَّ تحزَّبوا حزبَيْن؛ بل ثلاثة:**

**حزبٌ** رأَوْا ذلك عجزًا وتفريطًا وإضاعةً لواجبِ الدِّين أو مُستحبِّه، بل إضاعةً لأصوله الَّتي لا يتمُّ إلاَّ بها، فطَعَنوا في السَّلف ومَن اتَّبعهم، ورأَوْا لنُفوسهم الفضلَ عليهم مع ما هم فيه من الابتداع والضَّلال المُشتَمِل على الجهل أو الظُّلم، وهذه طريقةُ كثيرٍ من أهل الكلام المُتفلسفة، لا سيَّما المتكلِّمون الَّذين لا يُعَظِّمون أهلَ الفقه والحديث، مثلُ كثيرٍ من المعتزلة والمتفلسفة؛ فإنَّ لهم في هذا الضَّلال مجالاً رَحْبًا.

**وحزبٌ** رأَوْا أنَّ ما فهموه من كلام الأئمَّة والسَّلف هو الصَّوابُ؛ لما عَلموه من فضلهم، فأعرَضُوا عن جنس النَّظر والاستدلال في ذلك، وعن جنس المُحاجَّة والمجادلة، ورأَوْا ذلك هو السَّلامةَ والورعَ والاتِّباعَ، فوقعوا في التَّفريط في جَنْبِ الله، وإضاعة بعضِ العلم بدين الله وبعضِ الكلام فيه، ولَزِمَ من ذلك استيلاءُ أهلِ التَّحريف والإلحاد عليهم وعلى المسلمين، فوقعوا هم في الجهل البسيط[6]، ووقع أولئك ومَن اتَّبَعَهم في الجهل المُركَّب[7]، وكان من سبب ذلك أنَّهم فهموا من كلام السَّلَف أعَمَّ ممَّا أرادوه، كما قرَّرْتُ نَظيرَ ذلك في قاعدة السُّنَّة والبدعة، وقد يؤولُ بهم الأمرُ إلى الإعراض عن آيات الله تعالى وترك اتِّباع هَدْيِ الله، فإمَّا أن يُعرضوا عن ألفاظ النُّصوص فلا يقولونها ولا يسمعونها، وإمَّا أن يَكتَفُوا بمجرَّد قولِ اللَّفظ وسماعه من غير تَدبُّرٍ له ولا فقه فيه، ويرَوْن أنَّ عدمَ معرفة معاني الكتاب والسُّنَّة هي الطَّريقةُ الَّتي سلَكَها السَّلفُ وأَمروا بها وعَنَوْها في مواضع.

**وحزبٌ** ثالثٌ اعتقدوا فضلَ الأئمَّة والسَّلَف، واعتقدوا الحاجةَ والانتفاعَ والاستحسانَ لما خاضوا فيه من الكلام في أصول الدِّين، فقالوا: الَّذي نهى عنه السَّلفُ رحمهم الله هو الكلامُ الَّذي انتحلَه أهلُ البدع من المعتزلة ونحوهم ممَّن يخالفُ السُّنَّةَ، لا الكلامُ الَّذي تُنصَرُ به السُّنَّةُ، وهذه طريقةُ البَيْهَقي[8]، أو قالوا: الكلامُ يُنْهى عنه في غير وقت الحاجة ومع مَن يُفسدُه الكلامُ، ويُؤمَر به وقتَ الحاجة ومع مَنْ ينفعُه الكلامُ، وهذه الطَّريقةُ قد يُشيرُ إليها ابنُ بطَّةَ[9] والقاضي[10] والغزَّالي وآخرون.

❁❁❁

(5) كُتب في الحاشية: «يعني كتاب «ذمِّ الكلام» الَّذي جمعه الهروي صاحبُ «منازل السَّائرين»».

(6) الجهل البسيط: هو عدمُ العلم عمَّا من شأنه أن يكون عالمًا، «التعريفات» (143).

(7) الجهل المركَّب: هو عبارة عن اعتقاد جازم غير مطابق للواقع، المصدر نفسه.

(8) أبو بكر أحمد بن الحسين (ت 458هـ).

(9) أبو عبد الله عبيد الله بنُ محمَّد بن بطَّةَ العُكبَري الحنبلي (ت 387هـ).

(10) يعني: القاضي أبا يعلى محمَّد بنَ الحسين (ت 458هـ).

## فصل

والتَّحقيقُ أنَّ الَّذي نهى عنه السَّلفُ هو الكلامُ المبتدَع الَّذي لم يَشْرَعْه اللهُ ولا رسولُه، كما قد قرَّرْتُه في قاعدة السُّنَّة والبدعة: أنَّ البدعةَ هي ما لم يُشرَعْ من الدِّين.

وغلَبَةُ اسم الكلام على الكلام المُبتدَع كغَلَبَة اسم السَّماع على السَّماع المُبتدَع؛ فإنَّ ناسًا لمَّا أحْدَثوا سماعَ القصائد والتَّغبير[11] لتحريك قلوبهم وصلاحها وإثارة مقاصدها ومواجدها، وأحْدَثَ آخرون كلامًا ونظرًا لعلم قلوبهم وصلاح عقائدهم وتحقيق مقالهم، كان هؤلاء فيما أحْدَثوه من الأصوات المسموعة شبيهًا بهؤلاء فيما أحْدَثوه من الحروف المنطوقة، وعبَّروا هم والمسلمون عن ذلك بأعَمِّ صفاته وهو السَّماعُ والكلامُ.

فإذا أُطلقَ اسمُ السَّماع عند كثير من النَّاس أو قيل: فلانٌ يحضرُ السَّماعَ، أو يقولُ به، وفلانٌ يُنكرُ السَّماعَ وينَهى عنه انصرفَ الإطلاقُ إلى السَّماع المُحدَث الَّذي هو مَوردُ النِّزاع، وإنَّ السَّماعَ المشروعَ المأمورَ به الَّذي هو واجبٌ تارةً ومستحبٌّ أخرى هو سماع[12] أيضًا؛ بل هو السَّماعُ المعروفُ في كلام مَن حَمدَ السَّماعَ وأثْنَى عليه من المُحْتذين طريقةَ السَّلف رضي الله عنهم.

وكذلك إذا أُطلق لفظُ الكلام الَّذي يذمُّه وينَهى عنه قومٌ ويمدَحُه ويأمرُ به آخرُون؛ فإنَّه عندهم هو الكلامُ المُحدَث، وإن كان الكلامُ الَّذي أنزلَه اللهُ تعالى ـ هو أصدقَ الكلام وخيرَه وأفضلَه ـ وكلامُ النَّبيِّ ﷺ والصَّحابة والتَّابعين والأئمَّة كلامًا؛ لكن خُصَّ المُحدَثُ من النَّوعَيْن باسم الكلام والسَّماع لأنَّ هذا الاسمَ بمُجرَّده تعبيرٌ عنه لا يدلُّ على حمد ولا ذمٍّ ولا أمر ولا نهي، واللاَّمُ فيه تنصرفُ إلى المعهود، بخلاف ما كان من الكلام والسَّماع مشروعًا؛ فإنَّ ذلك يُعبَّر عنه بأخَصِّ أسمائه، مثل: علم، وقرآن، وسماع القرآن، ونحو ذلك؛ لأنَّ من عادة العرب وغيرهم في الخطاب إذا كان تحتَ الجنس نوعان عبَّروا عن أشرَفِهما باسمه الخاصِّ، وتركوا الاسمَ المُشتَرَكَ للنَّوع المرجوح، كما فعَلوا ذلك في مثل لفظ (دابَّة) و(حيوان) و(ذوي الأرحام)، وقولُنا: سماعٌ، أو كلامٌ، إنَّما هو تعبيرٌ عنه بالاسم المُشتَرَك بين الحقِّ والباطل، والهُدى والضَّلال، والغَيِّ والرَّشاد، فإذا كان عندهم متميِّزًا بما يدلُّ على أنَّه حقٌّ وهُدى ورشاد عبَّروا عنه بالاختصاص، كما أنَّه إذا كان متميِّزًا بما يقتضي أنَّه باطلٌ وضلال وغَيٌّ عَبَّروا عنه بالاختصاص.

ولا ريب أنَّ المُحدَث من النَّوعَيْن ليس حقًّا وهُدًى ورشادًا من كلِّ وجه، ولا باطلاً وضلالاً وغَيًّا من كلِّ وجه، وهذا باتِّفاق جميع الطَّوائف؛ فإنَّ القائلين بالكلام والسَّماع المُحدَثَيْن يُسلِّمون أنَّ فيه ما هو باطلٌ وضلالٌ وأنَّ كثيرًا من أهل الكلام ضلَّ؛ وكثيرًا من أهل السَّماع غَوَى.

ويميِّزُ هؤلاء الكلامَ الصَّوابَ بصفات قد يكونُ في بعضها نزاعٌ بينهم، كما يميِّزُ أولئك السَّماعَ النَّافعَ بصفات يكونُ في بعضها نزاعٌ عند بعضهم.

والمنكرون[13] للسَّماع والكلام المُحدَثَيْن لا يُنكرون أنَّ في كلام المتكلِّمين ما قد يكونُ حقًّا وصوابًا، وأنَّ السَّماعَ قد يحصلُ به رقَّةٌ ومنفعةٌ للقلب، وإن كان تحصلُ به ـ أيضًا ـ مضرَّةٌ كالخمر والمَيسر الَّتي قال الله فيهما: ﴿فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ [البقرة: 219]، ولهذا يقولون: فلانٌ صاحبُ علم، وفلانٌ صاحبُ كلام، وهذا كثيرٌ في كلامهم، مثلُ قول الإمام أحمدَ عن ابن أبي دُؤاد[14]: «لم يكن يَعرفُ العلمَ ولا الكلامَ»، وقوله: «عليكم بالعلم».

❁❁❁

## فصل

إذا عُرفَ هذا فالكلامُ المبتدَع المذموم هو الَّذي ليس بمشروع مسنون، وليس بحقٍّ ولا حَسَن، وهذان الوصفان متلازمان؛ فإنَّ كلَّ مشروع مسنون فهو حقٌّ حسنٌ، وكلُّ ما هو حقٌّ حسنٌ فهو مشروعٌ مسنونٌ، وكذلك بالعكس، وذلك أنَّ الكلامَ نوعان: إنشاءٌ، وإخبارٌ، فأمَّا الإنشاءُ فمثل الأمر والنَّهي، فكلُّ أمرٍ ونهيٍ لا يكونُ موافقًا لأمر الله تعالى ونهيه فهو ضلالٌ وغَيٌّ، وأمَّا الإخبار ـ وهو الغالبُ على فنِّ الكلام المتنازَع فيه ـ فإنَّه إخبارٌ عن حقائق الأمور الموجودة والمعدومة، كالإخبار عن الله تعالى وصفاته وأفعاله، وعن المَعاد وما يكونُ بعد الموت، وعمَّا مضى قَبلَنا وما سيكونُ بعدنا، والإخبارُ عن هذه الأمور

(11) التَّغبير: هو ترديدُ ذكر الله والشِّعر بالألحان والطَّرَب، وهو أشْبَهُ ما يكون بالأناشيد اليوم.

(12) في الأصل: سماعا، بالنَّصب.

(13) في الأصل: «والمنكرين».

(14) هو: أحمد بن فرج بن حريز، البصري ثمَّ البغدادي، الجهمي الدَّاعيةُ إلى خلق القرآن، وهو الَّذي تسبَّبَ في محنة الإمام أحمد، انظر: «سير أعلام النُّبلاء» (11/169ـ171).

إن كان مطلوبا فهو المسائل والأحكام، وإن كان طريقًا إلى المطلوب فهو الوسائل والأدلَّة، فالكلامُ يشتملُ على هذين الصِّنفَيْن: المسائل، والدَّلائل، والذَّمُّ والنَّهيُ واقعٌ في هذين الجنسَيْن.

أمَّا المسائل، فكلُّ جوابِ مسألةٍ خالف الكتابَ والسُّنَّةَ وما كان عليه السَّلفُ فهو بدعةٌ وضلالةٌ، وهو من الكلام المذموم المنهيِّ عنه، سواءٌ كانت المسألةُ نفيًا أو إثباتًا، مثل إنكارِ صفات الله أو بعضها الَّذي جاء به الكتابُ والسُّنَّةُ، وإنكارِ قَدَرِ الله وقُدرته ومشيئته، أو إنكارِ محبَّته ورضاه وخلَّته وتكليمه وعلوِّه على عرشه، وإنكارِ فتنة القبر وعذابه ونعيمه والحوضِ والميزانِ والشَّفاعة والصِّراط، ونحو ذلك من عقود أهلِ السُّنَّة الَّتي أثبتَتْها نصوصُ الكتاب والسُّنَّة وآثارُ السَّلف، ثمَّ المُنكِرُ لذلك أو بعضه هو مفترٍ، ولهذا كان السَّلفُ رضي الله عنهم يسمُّونهم أهلَ الفِرَى، ويتأوَّلون فيهم قولَه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ سَيَنَالُهُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَذِلَّةٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُفۡتَرِينَ ١٥٢﴾ [سورة الأعراف]، قال أبو قلابة رحمه الله: «هي لكلِّ مفترٍ من هذه الأمَّة إلى يوم القيامة»[15]، وهو مفترٍ من وجهَيْن:

أحدهما: نفيُ ما أثبتَه الكتابُ والسُّنَّةُ، وإثباتُ ما نفاه.

(15) «تفسير الطَّبري» (10/464).

والثَّاني: تحريفُ النُّصوص بما يوافقُ ظنَّه وهواه ودَعْواه أنَّ ذلك هو معناها.

فهو مُخبرٌ عن الأمور بخلاف ما هي عليه، ومُخبرٌ عن النُّصوص بخلاف ما دلَّتْ عليه، فافْتَرى في الوجودَيْن العَيْنيِّ والعلميِّ.

وأمَّا الدَّلائل؛ فإنَّهم كثيرًا ما يستدلُّون ويحتجُّون على الحقِّ الَّذي جاء به الكتابُ والسُّنَّةُ بحُجَجٍ مُحدَثةٍ باطلةٍ، ثمَّ تلك توقِعُهم في البدع المخالفة للكتاب والسُّنَّة، بمنزلة الَّذي يُجاهدُ الكفَّارَ بقتالٍ محرَّم في الشَّريعة فيُزيلُ باطلاً بباطل، ولهذا كان السَّلفُ إذا قيل: فلانٌ يردُّ على فلان، قالوا: بكتابٍ وسنَّةٍ؟ فإنْ قال: نعم؛ صَوَّبوه، وإن قال: لا؛ قالوا: ردَّ بدعةً ببدعة.

وكثيرًا ممَّا أَوْقَعَهم ـ أو أكثر ما أَوْقَعَهم ـ في البدع المخالفة للكتاب والسُّنَّة احتجاجُهم لنوعٍ من الحقِّ بحجَّةٍ مُبتَدَعَة اعتقدوا أنَّها لا تَسْلَمُ من المناقضة والمعارضة، إلاَّ بما التَزَموه لتصحيحها من اللَّوازمِ الَّتي قد يخالفون بها الكتابَ والسُّنَّةَ، وكان مبدأُ ذلك تكلُّمَهم في الجسم والجَوْهَر والعَرَض، وظنَّهم[16] أنَّ بهذا التَّقسيم والتَّرتيبِ يَثْبُتُ لهم وجودُ الصَّانع وحدوثُ العالَم ونحوُ ذلك.

فلم يُنكرِ السَّلفُ مُجرَّدَ إطلاقِ لفظ له معنًى صحيحٌ كما يعتقدُه قومٌ

(16) كتب في الحاشية: (وظنوا) مشارًا به إلى نسخة أخرى.

من النَّاسِ من أهل الكلام وغيرهم، فإنَّا عند الحاجة إلى الخطاب نُخاطبُ الرَّجلَ بالفارسيَّة والرُّوميَّة والتُّركيَّة، والنَّبيُّ ﷺ لَمَّا كتَبَ إلى أهل اليمن كتبَ إليهم بلُغَتهم الَّتي يتخاطبون بها، وليْسَتْ هي لغةَ قُرَيْش، ولمَّا قَدمتْ أمُّ خالد من أرض الحبشة وكانت قد سمعت لغتَهم قال لها لمَّا أعطاها الخميصةَ: «يَا أُمَّ خَالِدٍ هَذَا سَنَا»، والسَّنا بلسان الحبشة: الحسن[17]، أراد مخاطبتَها بذلك إفهامًا لها وتطييبًا لنفسها.

ولا بأس أن يخاطبَ المسلمُ كلَّ قومٍ بلُغَتِهم الَّتي يَعرِفُون لِقَصْدِ إفْهامِهمْ إذا لم يَحصُلِ المقصودُ بخطابهم بالعربيَّة، لكن كرِهَ السَّلفُ والأئمَّةُ كمالكٍ والشَّافعي والإمام أحمد التَّخاطبَ بغير العربيَّة لغير حاجة؛ لأنَّها شعارُ أهلِ القرآن والإسلام، وبها يعرِفون ما أُمِرُوا بمعرفَته من أمرِ دينِهم، ولمعاني أُخَرَ ذكرتُها في «اقتضاء الصِّراط المستقيم مخالفةَ أصحاب الجحيم»[18].

فلم تكنْ كراهةُ السَّلفِ لمجرَّدِ اللَّفظ، ولا كرهوا أيضًا معنًى صحيحًا يكونُ دليلاً على حقٍّ كما يتوهَّمُه أيضًا هؤلاء، ويقولون: إنْ كُرِه اللَّفظُ فهو اصطلاحيٌّ كاصطلاحات سائرِ العلماء من الفقهاء والنُّحاة، وإنْ كُرِهَ المعنى فلا يريد إلاَّ الدَّلالةَ على أصول الدِّين، مثل ثبوت الصَّانع، ووحدانيَّته،

(17) البخاري (5845).

(18) «اقتضاء الصِّراط المستقيم» (1/61، 519).

وصحَّةِ الرِّسالةِ والنُّبوَّة؛ فإنَّ هذا المعنى لم يكرَهْه السَّلفُ، ولا يكرهُه مؤمنٌ عليمٌ، كيف والقرآنُ من أوَّلِه إلى آخره إنَّما هو في تقرير هذه المعاني الَّتي هي أعلامُ علومِ الدِّين وأشرفُ مقاصدِ الرُّسُل، وقد صرفَ اللهُ في القرآن الدَّلالاتِ بوجوهِ المقاييس، وضربَ الأمثالَ وأنواعَ القَصَصِ وغيرَ ذلك ممَّا هو دليلٌ ومُرشِدٌ إلى الإيمان بهذه الأصول، وكيف وعلمُ الإيمان بهذه الأصولِ هو أفضلُ علمٍ في الدِّين، والكاملون فيه هم خلاصةُ الأمَّة، وبمثله بَرَزَ السَّابقُون والمُقرَّبون، وقيل في الصِّدِّيق رضي الله عنه صِدِّيق الأمَّة: «ما سبقهم أبو بكر بفضلِ صلاةٍ ولا صيامٍ، ولكن بشيءٍ وقَرَ في قلبه»[19].

وقد مدَحَ اللهُ أهلَ العلم به في غيرِ موضع، وقال فيهم: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ ﴾ [آل عمران: 18]، وقال فيهم: ﴿ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي ﴾ [سبأ: 6]، إلى غير ذلك ممَّا ليس هذا موضعَه.

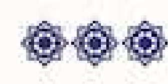
فكيف تكرهُ السَّلفُ رضي الله عنهم معانيَ[20]: إمَّا هي واجبةٌ، وإمَّا مستحبَّةٌ؟!

وكيف وهؤلاء السَّلفُ لهم من الدَّلائلِ والبراهين في مسائل السُّنَّة والرَّدِّ على أهلِ البدع ما ليس هو لِمَنْ ذَمُّوه من أهلِ الكلام، وإنْ أنكروا الطُّرقَ والدَّلائلَ المُحدَثَة المُبتدَعَة؛ لما فيها من الفساد والتَّناقُضِ، وأنَّها من جنسِ الكَذِبِ والخطأ.

فتدبَّرْ هذا؛ فإنَّه فرقانٌ يفرِّقُ اللهُ به بين الحقِّ والباطلِ، وإنَّما أضربُ لك أمثلةً من أدلَّتِهم وحُججِهم الفاسدةِ، كما ضربتُ لك أمثلةً من مسائلهم الفاسدة.

وذلك أنَّ أهلَ الكلام من أهلِ قبلَتِنا يأخُذُون كثيرًا من الرَّدِّ على مَنْ خالف المسألةَ من المشركين والمُجرمين واليهودِ والنَّصارى، ويأخذُ كثيرٌ منهم في الرَّدِّ على مَنْ خالفَ السُّنَّةَ في بعضِ المواضع، وإن كان الرَّادُّ قد يُخالفُ هو السُّنَّةَ في موضعٍ آخر، فيريدون أن يُثبِتوا وحدانيَّةَ الصَّانعِ وكمالَه، ويُثبِتون نُبوَّةَ مُحمَّدٍ ﷺ، ويسمُّون هذه المطالبَ العقليَّات؛ لاعتقادهم أنَّها لا تَثبُتُ إلاَّ بالعقل الَّذي ادَّعَوْه، وكانوا مُختَلفين في طُرقِه، وقد يعتقدون أنَّ الكتابَ والسُّنَّةَ لم تبيِّنْ أدلَّةَ هذه المطالبِ الشَّريفة، والقرآنُ مملوءٌ منها، ولم يعلموا أنَّ العقلَ قد يعلمُ صحَّتَها لا يمنعُ أن يكون الشَّرعُ دلَّ عليها وأرشدَ إليها، فهي شرعيَّةٌ عقليَّةٌ؛ بل ما يبيِّنُه الكتابُ والسُّنَّةُ من أدلَّةِ هذه المطالب فوق ما في قُوَى البشرِ، ولم يأتِ أهلُ الفلسفة والكلام من ذلك إلاَّ بحقٍّ قليلٍ مخلوطٍ بباطلٍ كثيرٍ، فلبَّسوا الحقَّ بالباطل.

آخر ما وُجِدَ من ذلك.



(19) قال العراقي في «تخريج الإحياء» (ص32): «أخرجه التِّرمذي الحكيم في «النَّوادر» من قول بكر بن عبد الله المزني، ولم أجدْه مرفوعًا».

(20) في الأصل: معانٍ.





# مَرْثيَّة الهِرِّ

د.رضا بوشامة
أستاذ الحديث . جامعة الجزائر

هـذه القصـيدة لأحـد الشُّـعراء المشهورين، وهو أَبُو بَكْرِ الحَسَنُ بنُ عَلِيِّ بنِ أَحْمَدَ بن بَشَّـارِ بن زياد، النَّهْرَوَاني، ثمَّ البَغْـدَادي، الضَّـريرُ، المعروف بابن العَـلَّاف، الإمامُ، المُقـرِئُ، الأَديبُ، كان ظريفًا أديبًا أحدَ سُمَّار الخليفة المعتضِد بالله، توفِّيَ سنة (318هـ).

اشتهر بمرثيَّةٍ رثى بها هِرًّا في خمسةٍ وستِّين بيتًا، وهي قصيدة ماتعةٌ ظريفةٌ، ذكرت بعضَها كتبُ التَّاريخ والتَّراجم؛ لما احتوت عليه أبياتُها من آدابٍ وحِكَم.

قال ابـنُ خَلِّـكان: «هي من أحسـن الشِّـعر وأبدَعِه... وفيها أبياتٌ مشـتملةٌ على حِكَم»[1].

وصفها ابنُ كثير والذَّهبي بالقصيدة الطَّنَّانـة، وزاد ابـنُ كثـير فقـال: «فيها آدابٌ ورِقَّة»[2].

❁❁❁

(1) «وفيات الأعيان» (2/ 109).
(2) «سـير أعـلام النُّبـلاء» (14/ 515)، «البدايـة والنِّهاية» (15/ 51).

ولَمَّا كانت كذلك أردتُ جمعَها من كتب الأدب والتَّراجم والتَّاريخ، فبلغَتْ (58) بيتًا؛ ومن أَوْرَدَ أَكْثَرَ أبياتِها شهابُ الدِّين النُّوَيْري في كتابه «نهاية الأرب في فنون الأدب» فذكر منها (52) بيتًا، ومنهم من ذكر البيتين والثَّلاثةَ أو أكثر.

❁❁❁

وأمَّـا سببُ إنشـائها، فاختلفت الرِّواية الأدبيَّة في ذلك، فقيل:

1 . كان لأبي بكر العلاَّف هرٌّ يأنس به، وكـان يدخل أبـراج الحَـمام الَّتي لجيرانه ويأكل فِراخَها، وكثر ذلك منه فأمسكه أربابُها فقتلوه، فرثاه بهذه القصيدة.

2 . رثـى بها عبدَ الله بنَ المُعتَزِّ، وخشي من الخليفة المقتدر بالله؛ لأنَّه هو الَّذي قتلَه، فنسبها إلى هرٍّ وعرَّض به لصحبة كانت بينهما.

3 . رثـى بها المُحسنَ بنَ الفُرات أيَّـامَ محنته، لم يجسُرْ أنْ يذكُرَه ويرثيه.

4 . أنَّ جـاريـةً للـوزيـر علـي بن عيسى هَوَتْ غلامًا لأبي بكر العلاَّف، ففطن لهما عليٌّ فقتلهما وسلخهما وحشاهما تِبْنًا، فرثاه مولاه وأستاذه ابنُ العلاَّف.

وأيًّـا كان السَّببُ فالمراد؛ إيراد القصيدة لما فيها من آداب وحكم ليقف عليها الـقـارئ، والله أعلم بحقيقة الحال، وقد علَّقتُ على بعض الكلمات إيضاحًا وبيانًا، ثمَّ مَنَّ اللهُ بتعليقات من الأستاذ الأديب محمَّد بوسـلامـة، فأثبَتُّها وجعلتُ آخرَها حرفَ «السِّين» إشارةً إليه.

❁❁❁

## القصيدة: (من بحر المنسرح)

يا هِرُّ فارقتَنا ولم تَعُدِ ... وكنتَ منّا بمنزِلِ الوَلَدِ

وكيف ننفكُّ عن هَواك وقد ... كنتَ لنا عُدَّةً من العُدَدِ

تَمنَعُ عنّا الأذى وتحرُسُنا ... بالغيبِ من خُنْفُسٍ ومن جُرَدِ(1)

وتُخرِجُ الفأرَ من مَكامِنِها ... ما بين مَفتوحِها إلى السُّدُدِ

يلقاك في البيتِ منهمُ عَدَدٌ ... وأنتَ تلقاهم بلا عُدَدِ

لا عَدَدٌ كان منك مُنفلِتًا ... منهمُ ولا واحدٌ من العَدَدِ

لا تَرهَبُ الصيفَ عند هاجِرَةٍ ... ولا تَهابُ الشِّتاءَ في الجُمُدِ

وكان يَجري ولا سدادَ لهم ... أمرُك في بيتِنا على سَدَدِ

حتَّى اعتَقدْتَ الأذى لجيرَتِنا ... ولم تكن للأذى بمُعتَقِدِ

وحُمْتَ حَولَ الرَّدَى بظُلمِهِمُ(2) ... ومَن يَحُمْ حولَ حَوضِهِ يَرِدِ(3)

وكان قلبي عليك مُرتَعِدًا ... وأنتَ تَنسابُ غيرَ مُرتَعِدِ

تَدخُلُ بُرْجَ الحَمامِ مُتَّئِدًا ... وتُخرِجُ الفَرخَ غيرَ مُتَّئِدِ

وتَطرحُ الرِّيشَ في الطَّريقِ لهم ... وتَبْلَعُ اللَّحمَ بَلعَ مُزْدَرِدِ(4)

أَطعَمَك الغيُّ لَحمَها فرأى ... قَتْلَكَ أربابُها مِنَ الرَّشَدِ

كادُوك دَهرًا فما وَقَعْتَ وَكَم ... أفلَتَّ مِن كَيدِهم وَلَم تُكَدِ

حتَّى إذا خاتَلُوكَ(5) واجتَهَدُوا ... وسَاعَدَ النَّفسَ كَيدُ مجتهِدِ

---

(1) قال الصَّفدي: «الصَّواب: جُرَذ، بالذال المعجمة والجمع جرذان... وقد جاء في شعر بعض المُحدَثين (يقصد ابن العلاَّف): بالدَّال غير المعجمة» ثم أورد البيتين الأولين، انظر: «تصحيح التَّصحيف» (1/ 212).

قال محمد بوسلامة: الجرد بالدَّال المهملة إمَّا أن يكون لغةً وقف عليها ابنُ العلاَّف، وعصرُه قريب من عصر الرِّواية، فيكون نظيرَ قُنْفُذ؛ فإنَّ آخرَه بالإعجام والإهمال، وهذا الوجهُ متروكٌ للبحث؛ وإمَّا أن يكون من ضرائر الشِّعر إلاَّ أنَّه من النَّوعِ المُستَوْحَش لما فيه من إبدالِ حرف بحرف، وقد ارتكب الشُّعراءُ مثلَ هذا أو أقبح.

(2) قوله: (بظلمهم) هو من إضافة المصدر إلى المفعول لا إلى الفاعل كما قد يُتوَهَّم؛ لأنَّ الظُّلْمَ واقعٌ على أصحابِ البرج لا منهم، يُوضِّحُه قولُه في البيت الَّذي قبله: (حتى اعتقدت الأذى لجيرتنا) اهـ. (س)

(3) وهذا كقوله ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ: «...كالرَّاعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه...».

(4) الزَّرد: السَّريع الابتلاع.

(5) أي: تخفَّوا لك، وكلُّ خادع خاتل، ووقع في بعض المصادر: «داوموك».

صَادُوك غَيظًا عليك وانتَقَمُوا منكَ وزادُوا ومَن يَصِدْ يُصَدِ[6]

ثمَّ شَفَوا بالحديد أنفسَهُم منكَ ولم يَرْبَعُوا على أحَدِ

ولَم تَزَلْ للحَمَامِ مُرْتَصِدًا[7] حتَّى سُقِيتَ الحِمامَ[8] بالرَّصَدِ[9]

لَمْ يَرْحَمُوا صوتَك الضَّعيفَ كمَا لم تَرْثِ[10] منها لِصَوتِها الغَرِدِ

فحِينَ كاشَفْتَ وانْتَهَكْتَ وجَا هَرْتَ وأسْرَفْتَ غيرَ مُقْتَصِدِ

أذاقَكَ الموتَ مَن[11] أذاقَ كمَا أذَقْتَ أطْيارَه يَدًا بيَدِ

كأنَّهم يَقْتُلُونَ طَاغِيَةً كانَ لِطَاغوتِه مِن العُبُدِ

فلَو أكَبُّوا عَلَى القَرامِطِ أو[12] مالُوا على زَكرَوَيْهِ[13] لم يَزِدِ

يَا مَن لَذِيذُ الفِرَاخِ أوْقَعَهُ وَيحَكَ! هلاَّ قَنَعْتَ بالغُدَدِ[14]

ما كان أغناكَ عن تَسَوُّرِكَ الـ ـبُرْجَ ولو كان جَنَّةَ الخُلُدِ

لا بارَكَ اللهُ في الطَّعَامِ إذا كانَ هلاكُ النُّفوسِ في المِعَدِ

كمْ أُكلَةٍ داخَلَتْ حَشَا شَرِهٍ فأخرَجَتْ رُوحَه مِن الجَسَدِ

أردتَ أن تأكُلَ الفِرَاخَ ولاَ يأكُلُكَ الدَّهرُ أكْلَ مُضطَهِدِ[15]

---

(6) كما في الأثر: «كما تدين تُدان». (7) مرتقبا. (8) الموت. (9) القوم يرقبون.

(10) هذا الفعل حُذف حرفُ العلَّة من آخره وهو الياء لأجل الجزم؛ لأنَّ أصلَه (تَرْثِي) على زنة (تَرْمي)، تقول: رَثَى له يَرْثِي، أي: رَقَّ لحاله ورَحِمَه، وعليه؛ فيُضبَطُ الفعل بفتح التَّاء وسكون الرَّاء وكسرِ الثَّاء، والمعنى: لم يَرِقُّوا لصياحِكَ حين قَتَلُوكَ كما لم تَرِقَّ لصوتِها الغرد حين قتلها. اهـ. (س)

(11) رواية الدميري: (أذاقك الموتَ ربُّهنَّ كما).

(12) يقول: لو أكبُّوا على القرامطة الَّذين ابْتُلِيَ بهم أهلُ الإسلام وفتكوا بهم كفَتْكِهم بهِرِّي لانكسَرَتْ شوكَتُهم ولم يَزِدْ شرُّهُم، وهذا البيتُ ينظر إلى ابنِ المُعتزِّ من طرفٍ خَفيٍّ؛ لأنَّ هذا الأسلوبَ إنَّما يصحُّ أن يُخاطَبَ به أمثالُ المُقتَدِر باللهِ لا أصحابُ أبراجِ الحمام. اهـ. (س)

(13) هو زكرويه بن مهرويه القرمطي.

(14) الغُدَد هي مواضع الأورام والعقود الصُّلبةِ الموجودة في الدَّواجن، وهي في العادة تُلقَى إلى القِطَط كما هو مشاهَد، والمعنى: لو قنعتَ - أيُّها الهرُّ - بما كان يُلقَى إليك من هذه المُحقَّرَات لما لَقِيتَ حَتْفَك؛ ما أحسنَ هذا البيتَ! اللَّهمَّ ارزقنا القناعةَ في الدُّنيا؛ فإنَّه لا يَعدِلُ بالسَّلامةِ شيءٌ. (س)

(15) ليس في كلام الشَّاعر نسبةُ الظُّلم إلى الدَّهر، وإنَّما فيه تشبيهٌ لكيفيَّةِ الأكلِ المُرَاد به الانتقامُ كما تقول: أخذتُ متاعي أخذَ المُختَلِس، وليس في المعنى اختلاسٌ أصلاً، وإنَّما هو بيانٌ للكيفيَّةِ في السُّرعةِ والخفاءِ، هذا إذا جَعَلْنا الاضطهادَ بمعنى القهرِ المَشُوبِ بالجَوْرِ، وأمَّا إذا حملناه على مُجرَّدِ الغلبة والقهر فلا إشكال. (س)

هـذا بَعيدٌ مِـنَ القيـاسِ ومَـا أعـــزّهُ فِي الـدُّنُـوّ والـبُـعُـدِ
ولم تَـكـنْ لي بِمَـن دَهَــاك يَـدٌ تَـقْـوَى علـى دَفعـه يَـدُ الأبَـدِ
ولا تَـبَـيَّنَ حَشْـوُ جِـلدِك عِنـ ـد الذَّبحِ مِن طاقَـةٍ ومِـن جَلَدِ
كــأنَّ حَبـلاً حَـوى بجودتـه جيـدَكَ للخنق كـان مِـن مَسَـدِ
كـأنَّ عَينـي تَـراكَ مُضطَرِبًا فيـه وفي فيـكَ رَغـوةُ الـزَّبَـدِ
وقـد طَلَبْتَ الخلاصَ مِنه فَلمْ تَـقْـدِرْ علـى حيلَـةٍ ولم تَجِـدِ
فجُدتَّ بالنَّفسِ والبَخيـلَ بها كنـتَ ومَـن لم يَـجُـدْ بهـا يَجُدِ
عِشـتَ حَريصًـا يَـقُـودُه طَمَعٌ ومُـــتَّ ذا قَــاتِـلٍ بِــلا قَــوَدِ
فمَـا سَـمعنَـا بمِثْـلِ مَـوتِك إذ مِـتَّ، ولا مثـلِ عيشِـكَ النَّكِدِ
عِشنَـا بخيرٍ وكنـتَ تَكلَؤُنَا ومــاتَ جيرانُنـا مِـنَ الحَسَدِ
ثـمَّ تـقَـلَّبتَ فِي فِـرَاخِـهِـمُ وانـقَـلَب الحاسِـدون بالكَمَدِ
قـد انـفَـرَدْنَا بمَــأتَمٍ وَلـهُـمْ بـعـدَكَ بـالـعُرسِ أيَّ مُـنـفَـرَدِ
قـد كنـتَ فِي نِعمَـةٍ وفِي سَعَـةٍ مِـن المَليـكِ المُهيمِنِ الصَّمَـدِ
تـأكُـلُ مِـن فـأرِ بَيتِـنَـا رَغَـدًا وأيـنَ بالشَّـاكِرينَ للـرَّغَـدِ؟!
قـد كنـتَ بَـدَّدتَّ شَملَهُم زَمَنًا فـاجْتـمَعُوا بَعد ذلِـكَ البَـدَدِ
وفَـتَّتُوا الخبـزَ فِي السِّلالِ فكَمْ تَـفـتَّـتَ لـلعِيَـالِ مِـن كَـبِـدِ
فلَـم يُـبَـقُّـوا لنـا عَلَـى سَبَدٍ فِي جَـوفِ أبياتِنَـا ولا لَـبَـدِ[16]
وفـرَّغُـوا قَعْـرَهَـا ومَـا تَـرَكُـوا مَـا عَلَّقَتْـهُ يَـدٌ علـى وَتَـدِ
ومـزَّقُـوا مِـن ثِيابِنَـا جُـدُدًا فـكُـلُّنَـا فِي مَـصَـائِـبٍ جُـدُدِ
فـاذْهَبْ مِنَ البيتِ خيرَ مُفْتَقَدٍ واذْهَـبْ مِـنَ البُرْجِ شَرَّ مُفْتَقَدِ
أَلَمْ تَـخَـفْ وَثْـبَـةَ الـزَّمَانِ وقد وَثَـبْـتَ فِي البُـرجِ وَثبَـةَ الأسَـدِ؟

(16) السَّبَد: الشَّعر، واللَّبَد: الصُّوف.

| | |
|---|---|
| أَخنَى على الـدَّارِ فيه بالأمسِ | ومِــن قَبلـهـا عَـلـى لُـبَـدِ[17] |
| ولم يَـدَعْ في عِـراصِـهـا أحَـدًا | ما بين عَليَائها إلى السَّنَدِ[18] |
| عـاقـبـةُ الـبَـغـي لا تَـنـامُ وإن | تــأخَـرَتْ مُــدَّةً مِـن المُــدَدِ |
| إنَّ الـزَّمـانَ استـقَـادَ منك ومَـن | يَـسـلَـمْ لـغـيرالـزَّمـانِ يَـسْـتَـقِدِ |
| فـإنْ رَمـاكَ الـردَّى بـحـادثَـةٍ | فمَا على الحادِثاتِ مِنْ قَـوَدِ[19] |
| مـن لم يَمُـتْ يـومَـه يَمُـتْ غـدَهُ | أو لا يَمُـت في غَـدٍ فَـبعـدَ غَـدِ |
| والحـمـد لله لا شـريـك لـه | فـكُـلُّ شـيءٍ يُـرَى إلى أَمَـدِ |

(17) لُبَد: آخر نسور لقمان، وكان له سبعة، وذكرته الشعراء، كما قال النابغة:

أَضحَتْ خَلاءً وأضحى أهلُها احتملوا ... أَخْنى عليها الذي أَخْنى على لبد

وهذا البيت غير مستقيم، وهذا من فعل النساخ، كما أفاده محمد بوسلامة.

(18) العلياء والسند موضعان، وقيل: وَالْعَلْيَاءُ فِي الْأَصْلِ الْأَرْضُ الْعَالِيَةُ وَالسَّنَدُ الْمُرْتَفِعُ فِي أَصْلِ الْجَبَلِ، كقول النابغة:

يَا دَار ميّة بالعلياء فالسّند

(19) والمعنى أنَّ الزَّمانَ لا معتب على حوادثه ولا سَخَطَ على صروفه، وإنَّما التَّسليمُ لله الواحد القهَّار.

هذا ما انتهى إليه الإمكانُ من التَّعليقِ على مرثيَّةِ الهرِّ الَّتي سالت أبياتُها رقَّةً وعُذوبَةً ورَحِمَ اللهُ ابنَ العلاَّف. (س)

**قال محمَّد بوسلامة:**

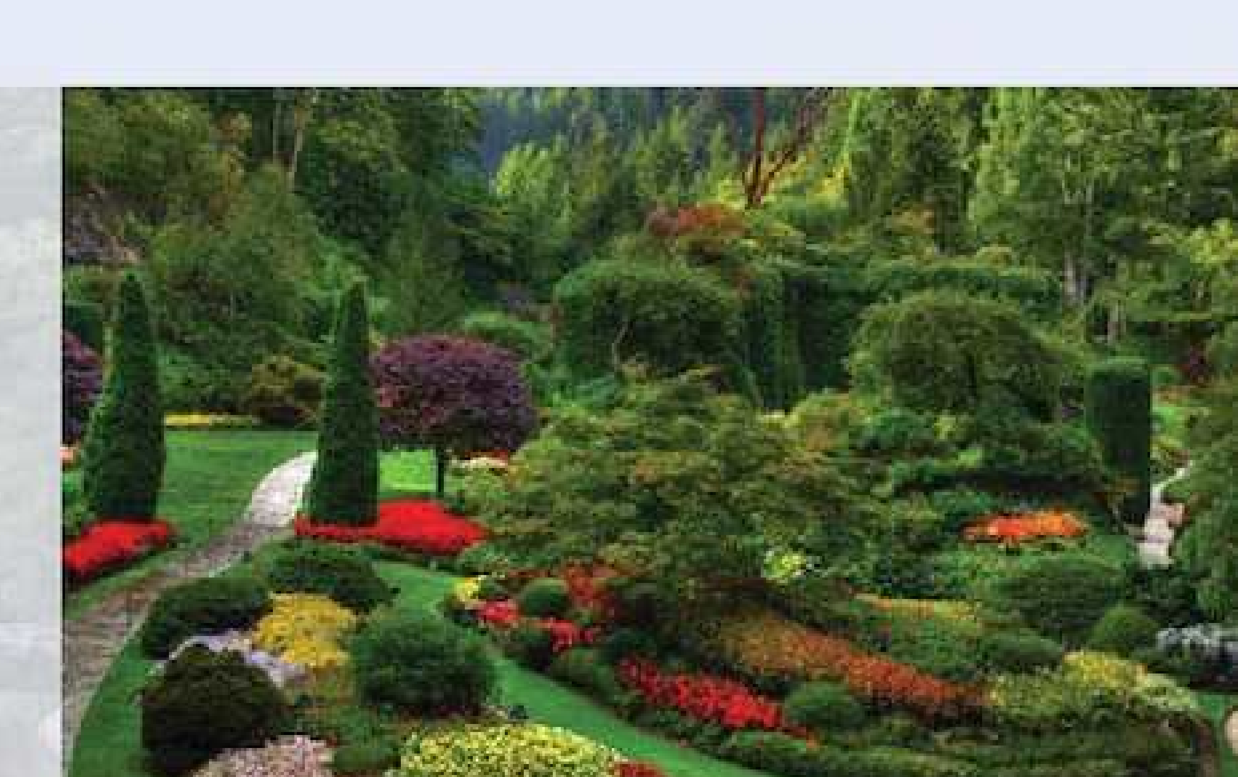
**تنبيه:** لم يَستَنْكِفْ ابنُ العلاَّف عن رثاء الهرِّ؛ وذلك لمعانٍ إنسانيَّة في العطف والشَّفقة؛ ولأنَّ الرَّحمةَ الَّتي خلقَها اللهُ تعالى في قلوب البشر قد تجاوزت الإنسانَ إلى سائر الحيوان، وهذه المعاني قد زادتها شريعةُ الإسلام رسوخًا في طبائع البشر، وفي الحديث: «دَخَلَت امْـرَأَةٌ النَّـارَ في هِرَّةٍ» الحديث؛ وذلك لأنَّها لم تَرْحَمْها، وقد أدخلَ الفقهاءُ في باب النَّفقة من مُؤَلَّفاتهم النَّفقةَ على البهائم والشَّفقةَ عليها ومنعَ تكليفِها ما لا تُطيقُ، وذكروا أنَّ القاضي يُلزِمُ أربابَ البهائم بذلك وإلاَّ باعها عليهم كُرْهًا، ومن هذا ما ذكره الفقهاءُ من سَقي البهيمة والانتقالِ إلى التَّيمُّم عند قلَّة الماء، ولو انبرَى لهذا المعنَى رجلٌ واسعُ الاطِّلاع على السُّنَنِ والآثارِ مثلُ فضيلة الدُّكتور رضا بوشامة فيَجمَعَ لنا شواهدَ من السُّنَّة النَّبويَّة على طريقة المُحدِّثين في حقوق البهيمة والإحسانِ إليها لكان بديعًا في بابه، ولكان مَوئِلاً للفقيه والمُتفقِّه، ومرجعًا للمُفكِّرين والباحثين.

وبما سبق بيانُه تزولُ الغرابةُ والعَجبُ عن رثاء هرٍّ وإعمالِ القريحة وابتكارِ المعاني في ذلك من أحد كُبرَاءِ المسلمين، ثمَّ يتناشدها أهلُ الأدب، ويُنَوِّهُ بها علماءُ الإسلام.

**رأي:** الَّذي يُرجِّحُ أنَّ ابنَ العلاَّف كنَّى بالهرِّ عن ابن المُعتزِّ، أنَّ هذا كان معروفًا في العصر الَّذي قيلَتْ فيه القصيدةُ ومعلومًا عند الأكابر، وقد جزم بهذا الصَّاحبُ ابنُ عبَّاد وهو يمتُّ إلى بيت ابن العَلاَّف بحبل متين، وقد أخذ المرثيَّةَ عن وَلَد الشَّاعر أبي الحسن، قال ابنُ عبَّاد: أنشدني أبو الحسن ابنُ أبي بكر بن عليٍّ العلاَّف البغدادي المُقري الأديبُ قصيدةَ والده في الهرِّ الَّذي كنَّى به عن ابنِ المُعتَزِّ حين قَتَلَه المُقتَدر ونسبَها إلى الهرِّ.

هكذا رواه الدميري في «حياة الحيوان الكبرى» في الهرِّ، وأنشد كثيرًا من أبيات القصيدة، وفي بعضها خلافٌ لرواية الدُّكتور، وظاهرُ الخبر أنَّ ابنَ عبَّاد قد أخذ عن ولد ابن العلاَّف القصيدةَ وسببَ إنشائها، ولا شكَّ أنَّ الولدَ أعلَمُ بحال أبيه.

وليس بممتَنعٍ أن يكون للقصيدة سببان؛ ظاهرٌ توكَّأَ عليه الشَّاعرُ وهو قتل هرِّه الَّذي توجَّعَ لفراقه وتألَّمَ لقتله فرثاه بقصيدته، وباطنٌ كنَّى عنه وهو قتلُ نَديمِه وصديقِه ابنِ المُعتَزِّ، وفي القصيدةِ مواضعُ تكاد تُفصِحُ عن الأمرِ الخفيِّ.




# حفظ الإسلام لبدن المسلم

بدر عبد القادر عباسي
إمام أستاذ بالزقم ـ ولاية الوادي

تكفَّل الله لعباده في دين الإسلام بما يُصلِحُ معاشَهم ومعادَهم، وشَرعَ لهم من الشَّرائع أَحْسَنَها وأتمَّها وأعلاها تحقيقًا لمصلحة الدِّينِ والدُّنيا.

وقد أودع ـ سبحانه وتعالى ـ نِعمَه أماناتٍ عند النَّاسِ وأمرَهم بحفظ هذه الأمانات، وإنَّ من نِعَم الله على العبد صحَّةَ بدنِه وقوَّةَ بنيَتِه، قال ابنُ القيِّم رحمه الله كما في «الطِّب النَّبوي»: «ولمَّا كانتِ الصِّحَّةُ والعافيةُ من أجلِّ نعَم الله على عبده وأجْزَل عطاياه وأوْفَر مِنَحِه بل العافيةُ المطلقةُ أَجَلُّ النِّعَم على الإطلاق فحقيقٌ لمن رُزِقَ حظًّا من التَّوفيق مراعاتُها وحفظُها وحمايتُها عمَّا يُضَادُّها» انتهى.

هذا البدن هو في حقيقة أمره مُلكٌ لله وحدَه، وهو عاريةٌ عند عبدِه، لا يملكُ إتلافَها ولا التَّبرُّعَ بشيءٍ منها.

وهَبَ اللهُ عبدَه صحَّةَ بدنِه مطيَّةً يركبُها في سَيرِه إلى ربِّه، ووسيلةً تُبلِّغه مراضيه، يستعملُها في ما خُلِقَ له من القيام بعبوديَّةِ مولاه وفي ما يُصلِحُ دنياه من أمر معاشِه وكَسبِه، وهو مسؤول عنها ومحاسَب عليها كما يُحاسَبُ على سائرِ النِّعَم؛ فليس له تضييعُها أو التَّسبُّب في إضعافها.

وقد حثَّ الشَّرعُ على اغتنام قوَّة البدن، ففي «مستدرك الحاكم» (8041) عن ابنِ عبَّاس رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله ﷺ لرجل وهو يعظه: «اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ وصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ» الحديث، وأخرج البخاري في «صحيحه» (6412) عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما أيضًا قال: قال النَّبيُّ ﷺ: «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ الصِّحَّةُ والفَرَاغُ».

وإذا عُلِمَ هذا؛ فإنَّ اللهَ بحكمته قد شرع للمسلم ما يحفظ له قوَّته وما يَسلَمُ به بَدنُه الَّذي هو آلتُه في عبادة ربِّه وفي تكسُّبِه، ولسنا نَذكُر هذا من باب الطِّبِّ، ولكن ليعلمَ المسلمُ فضلَ الله عليه بهذا الدِّينِ الكاملِ الَّذي أغنى عن غيره، والَّذي ما ترك خيرًا إلَّا دلَّ عليه، ولا ترك شرًّا إلَّا حذَّر منه، وليَعلَمَ أنَّه ما كان لمحمَّد النَّبيِّ الأُمِّيِّ ﷺ أن يأتي بهذا الدِّين المتكامل من تلقاء نفسه ﷺ.

أَمَرَ الإسلامُ المسلمَ بتَجنُّبِ مَواطنِ الرَّدى وأسبابِ الهلكة كلِّها، فقال سبحانه: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: 195] وأرشد مَنْ نَزَلَتْ ببدنه علَّةٌ من مرضٍ أو نحوِه أن يسعى في التَّداوي ويتسبَّبَ في تحصيل العافية بما شرَعَه اللهُ من دواءٍ ورقية، وأن يطلُبَ له الطِّبَّ جاهدًا، حتَّى لا يقطعه المرضُ عن عبادة ربِّه، وإن كان يُؤجَرُ بنيَّته، فعن أسامةَ بنِ شريك قال: قالوا: يا رسولَ الله أفنتداوى؟ قال: «نَعَمْ يَا عِبَادَ اللهِ تَدَاوَوْا؛ فَإِنَّ اللهَ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلَّا وَضَعَ لَهُ شِفَاءً غَيْرَ [...]»[1].

وأمر الإسلامُ بإماطة الأذى عن هذا

(1) أبو داود (3855)، والتِّرمذي (2159)، وغيرهما.

الجسد عند ولادته؛ بحَلقِ رأسه، وختَانه، وشـرَعَ بعد ذلك سُنَنَ الفطرة، والَّتي هي في حقيقـة أمرهـا من باب إزالـة الأذى عـن البـدن والمحافظـة علـى الصِّحَّة، ففي «صـحيح مسلم» (261) عن عائشةَ قالـت: قال رسـولُ اللهِ ﷺ: «عَشْـرٌ مِنَ الفطْـرَة قَصُّ الشَّـارِبِ وَإِعْفَـاءُ اللِّحْيَةِ والسِّـوَاكُ واسْتِنْشَاقُ المَاءِ وَقَصُّ الأَظْفَارِ وغَسْلُ البَرَاجم ونَتْفُ الإِبْطِ وحَلْقُ العَانَةِ وانْتِقَاصُ المَاءِ» قال زكريَّاء: قال مصعَب: ونسيتُ العاشرةَ إلاَّ أن تكونَ المضمضةَ».

وأمـر المسلمَ أن يغتَسـل يومًـا في الأسـبوع، ففي «صـحيح مسلم» (849) عـن أبـي هريـرةَ رضي الله عنه عـن النَّبـيِّ ﷺ قـال: «حَـقٌّ لله عَلَـى كُلِّ مُسْـلِم أَنْ يَغْتَسِـلَ فِي كُلِّ سَـبْعَةِ أَيَّام يَغْسِـلُ رَأْسَـهُ وَجَسَـدَهُ»، وأكَّـد على ذلك يـومَ الجمعة ومـن الجنابة، فعن أبي سـعيد الخدري رضي الله عنه أنَّ رسـولَ اللهِ ﷺ قال: «الغُسْلُ يَوْمَ الجُمُعَةِ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُحْتَلِم»[2].

ونـدب إلى إسـباغ الوضـوء علـى الوضـوء، وأمـرَ بالتَّطهُّـر والاسـتنجاءِ أو الاسـتجمار والاسـتنزاه مـن البـول، وباجتنـاب النَّجاسـات والتَّحـرُّز مـن جميعهـا، وأمرَ بإراقة مـا وَلَغَ فيه الكلبُ وغَسـلِ الإناءِ سـبعًا وتعفيـره بالتُّراب؛ كمـا في «صـحيح مسـلم» (279) عـن أبي هريرة أنَّ النَّبـيَّ ﷺ قال: «إِذَا وَلَغَ الكَلْبُ فِي إِنَاءِ أَحَدِكُمْ فَلْيُرِقْهُ ثُمَّ لِيَغْسِلْهُ سَبْعَ مِرَار» وفي لفظ: «وَعَفِّـرُوهُ الثَّامِنَةَ فِي الـتُّرَابِ» ونهى عن البول والاغتسـال في المـاء الرَّاكـد[3]، الَّـذي لا يَجـري ولا يَتجدَّدُ حتَّى لا يَفسُدَ أو يَتنجَّسَ فيُتضرَّرَ باسـتعماله، ونهى عن الشُّـرب قائمًا[4]، وعـن النَّـوم علـى البطـن[5]، ونهى عن الجلوس بين الشَّـمس والظِّـل[6]، ونهى عـن لُبسِ الحـذاء قائمًا حتَّى لا يَسـقُطَ أو يَتضَـرَّر بنـزول الـدَّم إلى رَأسِـه[7]، ونهى المريضَ عن الغُسـلِ إذا كان يَضرُّهُ الماءُ وأمَـرَه بالتَّيمُّم[8]، ومنـع من تناوُلِ المُحرَّمـات بأنواعها؛ من ميتة ونجاسـة ودم ولحـم خنزير وخمر ومـا يُلحَقُ بها من سُـمٍّ ومُخَـدِّر وتدخـين، حفاظًا على البدنِ وسـلامته، بل قد نهى عن الغُلُوِّ في العبادات الَّتي تُضعفُ البدنَ أو تَضـرُّه، فنهى عن صـيام الدَّهـر أي: العام كلِّه، وقيام اللَّيـل كلِّه، وتـركِ الطَّيِّبات، ففي البخـاري (5063) قال ﷺ: «والله إنِّي لأَخْشَـاكُمْ لله وأَتْقَاكُـمْ لَهُ لَكِنِّي أَصُـومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَـلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ؛ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُـنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»، ونهى عن الوصال وهو صـيام أيَّام عديدة من غير أن يفطر باللَّيل[9]، وعن الصِّيام في السَّـفر[10] وحـال المرض إذا كان يَشُـقُّ عليه أو يَضـرُّه، وأخبر أنَّه ليس من البرِّ ولا ممَّا يُحمَد فاعلُه تعذيبُ العبد نفسَـه بالعبادة المُضـنيَة كأنْ يَحُجَّ ماشيًا، ففي «الصَّـحيحين»[11] عـن أنـس رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ رأى شـيخًا يُهـادَى بين ابنَيْه قال: «مَا بَالُ هَذَا؟» قالوا نَذَرَ أن يَمْشيَ، قـال: «إِنَّ اللهَ عَـنْ تَعْذِيـبِ هَذَا نَفْسَـهُ لَغَنِيٌّ» وأمره أن يركـبَ، وقال ﷺ: «إِنَّ

(2) البخاري (2665)، مسلم (846).
(3) البخاري (239)، مسلم (282).

(4) مسلم (2024).
(5) «صحيح التَّرغيب والتَّرهيب» (3080).
(6) «السلسلة الصحيحة» (837).
(7) «السلسلة الصحيحة» (719).
(8) «صحيح الجامع» (4362).
(9) البخاري (1965)، ومسلم (1103).
(10) البخاري (1946)، ومسلم (1122).
(11) البخاري (1865)، ومسلم (1642).

لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا» متَّفقٌ عليه.

وقد أمـر الشَّـارعُ ـ حفاظًا علـى قوَّةِ البـدن ـ بالتَّقلُّل من الأكل والشُّـرب، فعن المقدام بن مَعْـدي كَـرب الكِنْـدي قال: «سـمعتُ رسـولَ الله ﷺ يقول: «مَا مَلأَ ابْنُ آدَمَ وِعَاءً شَـرًّا مِنْ بَطْنٍ، حَسْـبُ ابْنِ آدَمَ أُكُلاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لا مَحَالَةَ فَثُلُثٌ طَعَامٍ وَثُلُثٌ شَرَابٍ وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ»[12].

قال الإمامُ ابنُ باديس رحمه الله: «يتوقَّفُ بقاءُ هـذا البدن وصـلاحُه على الغـذاء، وقد جعل اللهُ فيه لذلك وعـاءً وأيُّ وعاء، وهو المعدة، مخزن الغذاء وبيـتُ الدَّاء، وعلى حفظ نظـام هذا الوعاء تترتَّب الصِّـحَّةُ والمرَضُ والسَّقَمُ والشِّفاءُ.

فإذا ملأ ابنُ آدم بطنَه كان عليه شرَّ وعاء، وانبعثت منه شـرُّ الأدواء، أسقامٌ للبدن وأثقالٌ على الرُّوح، وظُلمَاتٌ للعقل، فانقلب على الإنسـان من الانتفاع به إلى أصعب الشَّرِّ وأقسى البلاء، وإذا اقتصر على أكلات تُقيمُ الصُّلبَ وتُمسكُ البدنَ حصـل من البدن على العمل، وَسَلِمَ من آلام المرض ونَعِمَ بالعافية، وكان انتفاعُه بالآلـة البدنيَّـةِ خالصًـا مـن شـوائب الضَّرر»[13].

ولمَّـا كان بـدن الإنسـان آلةَ كسـبِ الحسـناتِ والتَّـزوُّد للمعاد منَعَ الشَّـرعُ من إتلافه بالانتحـارِ، وحرَّمَ الجنَّةَ على المُنتَحِـر، بل لقـد نهى عن مُجـرَّد تَمنِّي الموت بسـبب ضـرٍّ أو بلاءٍ أو شدَّة، ففي «الصَّـحيحين»[14] عن أنسٍ رضي الله عنه قال: قال رسـولُ الله ﷺ: «لا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ المَوْتَ لِضُـرٍّ نَزَلَ بِه» بل ونهانا الشَّرعُ عن تمنِّـي لقاء العدوِّ للجهاد في سـبيل الله، عن سـالم أبـي النَّضْـرِ مولى عمـرَ بنِ عبيد الله ـ وكان كاتبًا ـ له قال: كتب إليه عبدُ الله بنُ أبي أوفى رضي الله عنهما فقرأته: «إنَّ رسـولَ الله ﷺ في بعض أيَّامه الَّتي لقي فيها انتظر حتَّى مالت الشَّمسُ ثمَّ قام في النَّاس خطيبًا قال: «أيُّهَا النَّاسُ لا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ العَدُوِّ وَسَلُوا اللهَ العَافِيَةَ»[15]، ونهانا عـن دخول أرضٍ حلَّ بها وباءٌ أو طاعونٌ، ونهـى من كان فيها أن يَخرُجَ منها، حتَّى لا يَنقُلَ العَـدْوَى[16]، وبالجملة نُهينَا عن كلِّ ما يُظَنُّ فيه الضَّررُ على بدنِ المسلم؛ كالخمـور والمُخـدِّرَات والتَّدخـين وأكلِ المَيتَةِ وسـائرِ النَّجاساتِ وكمزاولة بعض الأعمالِ الدُّنيويَّةِ الخطرةِ الَّتي قد تُسَبِّبُ عاهـاتٍ أو تُؤدِّي إلى الهلاك، ويدخل في هذا قيادةُ السَّـياراتِ بتهوُّرٍ وإفراطٍ في السُّرعة.

ومن صـيانة الإسلام لبدن الإنسان ألـزم مَن تصـدَّى لتطبيـب النَّاسِ ولم يكن أهلاً لذلك؛ بالضَّـمان، فعن عمرو ابنِ شـعيب عن أبيه عن جدِّه قال: قال رسـولُ الله ﷺ: «مَنْ تَطَبَّـبَ وَلَمْ يُعْلَمْ مِنْهُ طِبٌّ فَهُوَ ضَـامِنٌ»[17]، وهذا شـاملٌ لأصـحاب الشَّـهادات الطِّبِّيَّـةِ المُـزوَّرة ومـن اتَّخـذَ الغشَّ وسـيلةً في نجاحه، ومـن امتهـن مهنـةَ الطِّـبِّ البديلِ عن طريـق الأعشـاب والحجامـة ولم يكن مُؤهَّلاً لذلك وهلُمَّ جرًّا.

وتأكيـدًا مـن الإسـلام علـى حرمةِ

(12) «المسند» (17186)، «الصحيحة» (2265).
(13) «مجالس التَّذكير من حديث البشير النَّذير» (ص142).
(14) البخاري (6351)، مسلم (2680).
(15) البخاري (2966)، مسلم (1742).
(16) البخاري (3473)، مسلم (2218).
(17) «الصحيحة» (635).



الأبـدان أوجـب في إتـلاف الأعضـاء الدِّيـات، وهـي ما يُدفَـعُ للمجْنـيِّ عليه مقابلَ ما أُتلفَ أو تَضَرَّرَ من بدنه.

هـذا؛ وقـد شُـرِعَ لنـا في الإسـلام رياضـةُ الأبدان وتقويتُها، ما لم تُؤدِّ إلى مفسـدة دينيَّـة أو شـرعيَّة، كأن يكـون فيهـا قمارٌ أو سـبٌّ وتفحُّشٌ أو مشـاحنةٌ أو كشـفٌ للعـورات أو أخطـارٌ؛ أمَّـا إذا خَلَت الرِّياضةُ من المفاسد فإنَّها مطلوبةٌ شـرعًا بالغرضِ الشَّـرعي، فقـد ندب الشَّـرعُ إلى الرِّماية والسِّـباحة والجري وركـوبِ الخيل وأمثالِها ممَّا يُسْـتعَانُ به على طاعة الله وعلى الجهاد.

ولـو أخذنـا نتتبَّـعُ مـا شَـرَعَ اللهُ في شـأن حفـظ الأبـدان لطال الأمـرُ جدًّا، ولكنْ حَسـبُنَا مـا ذكَرنا، وأن نعلَـمَ أنَّنا مُطالَبُون شرعًا بحفظ هذه النِّعمة وعدم تعريضِـها للتَّلف، كما قـال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ٢٩﴾ [النساء].

هذا؛ وليس شـيءٌ أنفعَ لبدن المسـلم من القيـام بالعبوديَّة والعملِ الصَّـالح، ولا أضَرَّ عليه من المعصية وترك التَّعبُّد، قال عبـدُ اللَّه بـن عبَّاس: «إنَّ للحسـنة ضـياءً في الوجه ونُـورًا في القلب وسـعةً في الرِّزقِ وقوَّةً في البدن ومحبَّةً في قلوبِ الخلق، وإنَّ للسَّـيِّئة سـوادًا في الوجـه وظُلْمةً في القلبِ ووهنًا في البدن ونقصًـا في الـرِّزقِ وبغضـةً في قلـوب الخلق»[18]، وقـال الحافظُ ابـنُ رجب: «ومَـنْ حَفظَ اللهَ في صِباه وقوَّتـه حفظه اللهُ في حال كِبَره وضعف قوَّته، ومَتَّعَه بسمعه وبصره وحولِـه وقوَّته وعقلِـه، كان بعضُ العلماء قـد جاوز المائةَ سـنة وهـو مُمتَّـعٌ بقوَّته وعقلـه، فوثَبَ يومًا وثبةً شـديدةً فعُوتِبَ في ذلـك فقال: هـذه جـوارحُ حفظناها عَـنِ المعاصـي في الصِّـغر فحفظها اللهُ علينـا في الكِبر»[19]، كمـا أنَّ من جملة أسـباب حفـظ البـدن رعايـةَ الأدعيـةِ والأذكار، فعن عثمـان بن عفَّان رضي الله عنه قال: «قال رسـولُ الله ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَقُولُ فِي صَبَاحِ كُلِّ يَوْمٍ وَمَسَـاءِ كُلِّ لَيْلَةٍ: بِسْمِ اللهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ، ثَلَاثَ مَـرَّاتٍ، لَمْ يَضُـرَّهُ شَـيْءٌ»[20]، وفي الحديـث: عـن خَوْلة بنـت حكيم رضي الله عنها قالـت: «سـمعتُ رسـولَ الله ﷺ يقول: «مَـنْ نَزَلَ مَنْزِلاً ثُـمَّ قَالَ: أَعُـوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَـرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُـرَّهُ شَـيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِـهِ ذَلِكَ»[21]، ومـن الأذكار: «اللَّهُـمَّ عَافِنـي فِي بَـدَنِي اللَّهُـمَّ عَافِني فِي سَـمْعِي اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي بَصَـرِي، لا إِلَـهَ إِلاَّ أَنْتَ اللَّهُـمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِـكَ مِنَ الكُفْـرِ وَالفَقْرِ، اللَّهُـمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ»[22].

إنَّ الإسـلامَ العظيمَ لم يَشرَعْ رعايةَ الأبـدان وحفـظَ قُوَّتهـا لبنـاءِ الجسـم المتكامـل أو العضـلات المفتولـة، وإنَّمـا لتُؤهِّـلَ المسـلمَ للعبـادة وللقيـام بأعباء الدَّعوةِ والجهاد، قال سـبحانه في شـأن طالـوت: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰهُ عَلَيۡكُمۡ وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِۖ﴾ [البقرة: 247]، وقـال مُمتَنًّـا على عاد قوم هـود: ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ قَوۡمِ نُوحٖ وَزَادَكُمۡ فِي ٱلۡخَلۡقِ بَصۜۡطَةٗۖ فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٦٩﴾ [الأعراف]. فصحَّةُ البدن تُرادُ لمُهمَّاتِ الدُّنيا والدِّين، كغيرها من نِعَم الله على العبد، فهي آلةُ تحصـيل الخـيرِ في أمر المعاش والمعاد.

ولم يقتصر الإسلامُ على رعاية بدن المؤمن حالَ حياته، بل قد راعى سلامتَه في كلِّ أطواره، فقد اهتمَّ بسـلامة البدنِ مـن قبل أن يكونَ العبدُ نُطفةً في الرَّحم، ففي «الصَّـحيحين» عن ابن عبَّاس، قال ﷺ: «لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ أَهْلَهُ قَالَ باسْـمِ اللهِ اللَّهُـمَّ جَنِّبْنَا الشَّـيْطَانَ وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا؛ فَإِنَّهُ إِنْ يُقَدَّرْ بَيْنَهُمَـا وَلَدٌ فِي ذَلِكَ لَمْ يَضُـرَّهُ شَـيْطَانٌ أَبَـدًا»[23] وكـذا اهتـمَّ بالبـدن بعد موت صـاحبه؛ فإنَّ هذا الجسدَ المسـلمَ لربِّه الَّذي قام بعبادة مولاه إذا مات صـاحبُه فإنَّه يُكرَمُ في الإسلام أيَّ إكرام، فيُغسَّلُ ويُطَيَّـبُ ويُسـتَرَ بالأكفـان ويوضَـعُ في قـبر طاهـر مُحتـرَم؛ لا يوطـأُ بالأقدام ولا يُجلَس عليـه، بخـلاف الكافر الَّذي عطَّل بدنَه عن العبادة فإنَّه لا يُغسَل ولا يُكفَّن ولا يُصَلَّى عليه ولا يُدفَن في مقابر المسلمين.

فالحمـدُ لله الَّذي مـنَّ علينا بهذا الدِّيـن الكامل الشَّـامل لمصـالح ديننا ودنيانـا، اللَّهُـمَّ عافنـا واعْـفُ عنَّـا، واغفـرْ لنـا وارْحمْنَـا وتُبْ علينـا إنَّكَ أنـتَ التَّـوَّابُ الرَّحيـم، وصـلِّ اللَّهُـمَّ وسـلِّمْ على عبدك ونبيِّـكَ مُحمَّدٍ وعلى آلِه وصحبه أجمعين.

(18) «الدَّاء والدَّواء» (ص64).

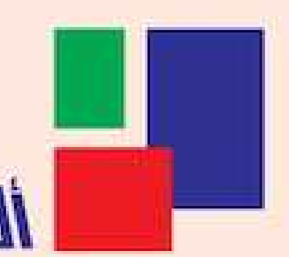
(19) «جامع العلوم والحكم» (ص194).

(20) «صحيح الجامع» (6426).

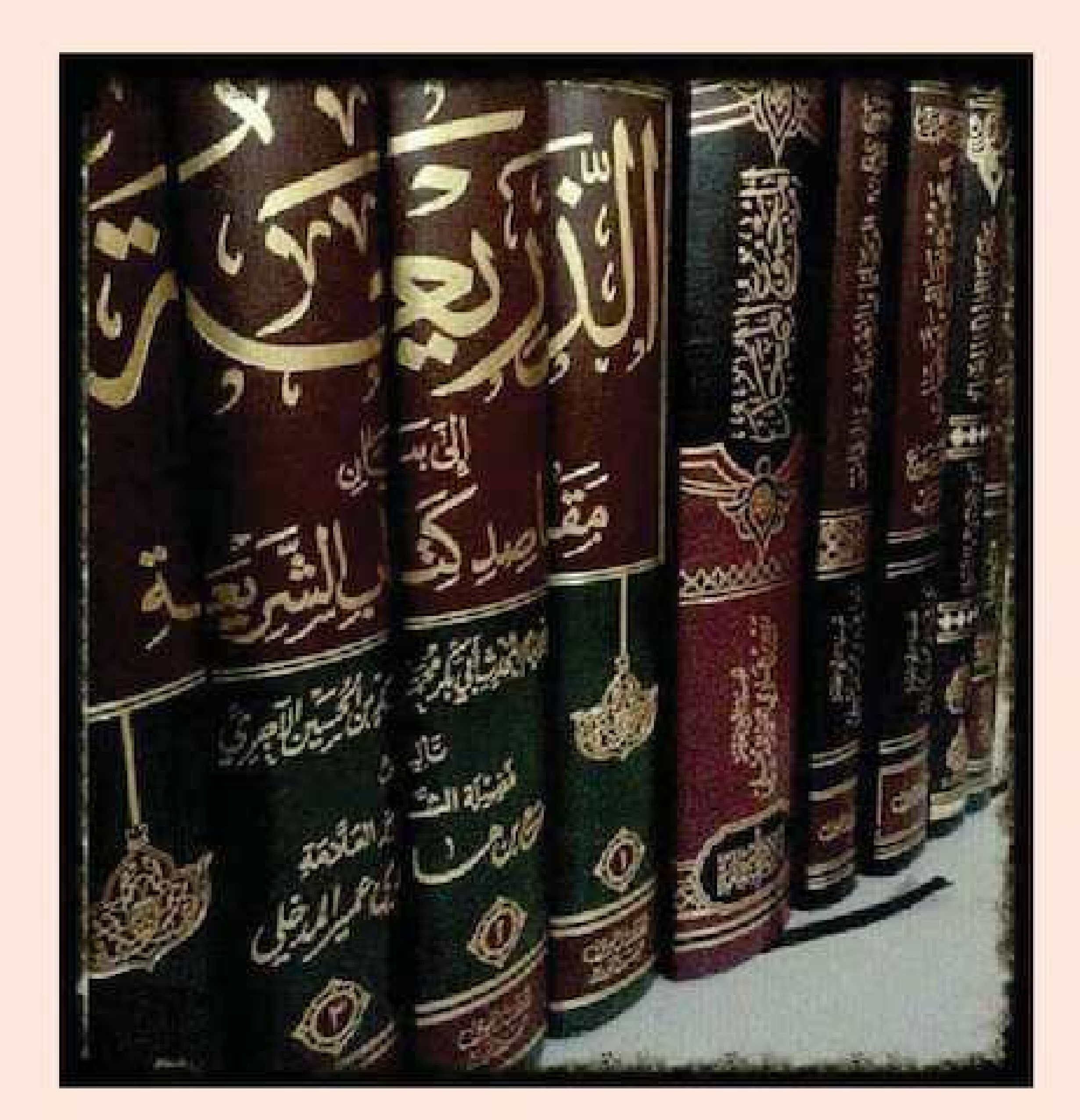
(21) مسلم (2708).

(22) «صحيح سنن أبي داود» (5090).

(23) البخاري (3283)، مسلم (1434).








# مصطلح السَّلفيَّة

نجيب جلواح

**مُقدِّمة:**

لعلَّه لم يُظلم مُصطلح مُعيَّن -في عصرنا هذا- مثلما وقع الجَوْر والحَيْف على مُصطلح «السَّلفيَّة»، **وهذا الظُّلم صادرٌ مِن جهات مختلفة ومتنوِّعة:**

□ مِن جهة أعدائها -مِن العلمانيِّين اليساريِّين ومَن سار على طريقتهم- الَّذين جهلوا معناها، ولم يُدركوا حقيقتها ومرماها، فراحوا يَسبُّونها، وينعتونها بـ «التَّيَّار السَّلفي»، ويكيلون للمُنتسبين إليها كلَّ ألفاظ الشَّتائم وعبارات التَّنقُّص، حتَّى تخصَّص بعضهم في نقدها، واتَّهمها بأنها سبب تخلُّف المسلمين وتدهورهم، وهي المحرِّك -في نظرهم- للعُنف والإرهاب، وهؤلاء إنَّما أُتوا مِن جهلهم، ليس بالسَّلفيَّة فقط بل بدين الإسلام وأحكامه، ولقد أحسن مَن قال: «مَن جهل شيئًا عاداه».

□ ومِن جهة المنتسبين إليها بغير حقٍّ، مِن أصحابِ المناهج المنحرفة، والدَّعوات الضَّالة، الَّذين لم يأخذوا مِن السَّلفيَّة إلاَّ اسمها، ولم يعرفوا إلاَّ رسمها، وهؤلاء أصناف شتَّى وطرائق قِددا:

فمِنهم مَن أراد تحويل السَّلفيَّة إلى حزبيَّة ضيِّقة، تتنافس مع غيرها من الأحزاب الدِّينيَّة -زعموا- واللاَّئكيَّة، وتُشارك في التَّنظيمات -الظَّاهرة والخفيَّة، العَلنيَّة والسِّرِّية- وتُدلي بدلوها في الصِّراعات السِّياسيَّة، وتُسهم في اللُّعبة الانتخابيَّة! للفوز بالمقاعد البلديَّة والبرلمانيَّة!

ومنهم المدَّعُون لها كذبا وزُورًا، ممَّن حملوا السِّلاح ضدَّ المسلمين، وكفَّروا حُكَّامهم، وخرجوا عليهم باللِّسان والسِّنان، فأفسدوا البلاد والعباد، وهم الَّذين يتسمَّون بـ «الجماعات السَّلفيَّة للقتال»، والسَّلفيَّة بريئة منهم، كما أنَّهم بُرآء مِن السَّلفيَّة.

□ ومِن جهة مَن زعم أنَّ السَّلفيَّة لا تعدو أنْ تكون فترةً زمنيَّة فائتة، وبُرهة مِن الوقت ماضية، قد انقضت وولَّت إلى غير رجعة!

وإزاء هذا التَّحريف والتَّلبيس، والتَّشويه والتَّدليس، نجد أنفسنا مُضطرِّين لبيان الحقِّ بنقد هذا المفهوم المعكوس، الَّذي في أذهان كثير مِن النَّاس وتصوُّراتهم الخاطئة، وذلك بتعريف مُصطلح «السَّلفيَّة» الحقَّة، وبيان معناها الصَّحيح، رَدًّا على الَّذين أرادوا أنْ يُجرِّدوا مَبنى هذا المصطلح من معناه، فنقف عند مُصطلح «السَّلفيَّة» كما ورد في نُصوص الوحيَيْن، مِن الكتاب والسُّنَّة، وهذا بعد بيان معاني هذه العبارة في اللُّغة العربيَّة، ونختم هذه الكلمة بذِكر مفهوم «السَّلفيَّة» عند العلماء الرَّبانيِّين.

❁❁❁

**مفهوم «السَّلفيَّة» في اللُّغة:**

إنَّ لفظ «السَّلف» في لغة العرب له مَعانٍ كثيرة، تختلف باختلاف الاشتقاق والسِّياق، ويَصبُّ أكثرها في معنٍ واحد، وترجع إلى معنى: المُضَيِّ والتَّقدُّم والسَّبق، يُقال: سَلَفَ يَسْلُفُ سَلَفًا وسُلُوفًا: أي مَضى وتَقدَّم.

وهـذه بعض المعـاني اللُّغويَّـة لكلمة «السَّلَف» باشتقاقاتها المختلفة[1]:

1. السَّـلَفُ: كُلُّ شيءٍ قَدَّمه العبد مِن عَمَل صالح، أو ولَد فَرَطٍ تَقدَّمه.

2. السَّـلَفُ: القَرْض، تقول: أسـلفتُه مالاً: أي أقرضتُه.

3. السَّـلَفُ: مَن سَبَق مِن القوم - حين النَّفير - وتَقَدَّم.

4. السَّـلَفُ: كُلُّ مـالٍ قدَّمْتـه في ثمنِ سِلْعة مضمونة اشتريتَها بصفَة إلى أجلٍ معلوم، وهو السَّـلَم: نوعٌ مِن البُيوع يُعجَّل فيه الثَّمن.

5. السَّـلَفُ: ما تقدَّم مِن آباء الرَّجُل وذَوي قَرابَتـه الَّذين هم فوقَه في السِّـنِّ والفَضْـل، واحدهـم: سـالِف، والجمع: سُلَّاف، وقيل: أَسْلاف وسُلوف.

قـال ابـن الأثـير رَحِمَهُ اللَّهُ في «النِّهايـة في غريب الحديـث» (390/2): «وقيل: سَـلَفُ الإنسـانِ: مَن تقدَّمـه بالموت مِن آبائه وذوي قرابته، ولهذا سُـمِّي الصَّدر الأوَّل من التَّابعين: السَّلف الصَّالح».

6. السُّلْفَةُ: الطَّعامُ يُتَعَلَّلُ به قبل الغداء.

7. السُّـلْفة: التَّابع، يُقال: جَاءَ القومُ سُلْفة سُلْفة: إذا جَاءَ بعضُهم في إثْرِ بعض.

8. السُّـلْفَةُ: مَا تدَّخِـره المَرْأة لتُتحف به مَن زارها.

9. سُـلَّاف القـوم: مُتقدِّموهـم في حرب أو سفر.

10. سُـلافة الخمـر: أوَّل مَـا يخرج مِن عصيرها، وهو أخلصـها وأفضلها. وقيل: السُّـلافة: أوَّل كُلِّ شـيء عُصـر. وقيل: هو ما سال مِن غير عصر.

11. سالفة الفرس: ما تقدَّمَ مِن عُنُقه.

12. الأُمَم السَّـالفة: الماضـية أمـام الغابرة، وتُجمع على: سوالف.

13. السُّـلوف: النَّاقة تكـون في أوائل الإبل إذا وردت الماء، والسُّـلوف: السَّريع مِن الخيل - أيضًا -.

14. التَّسْليف: التَّقديم.

❁❁❁



## مُصطلح «السَّلفيَّة» في نُصوص الوحيَيْن:

### أ. لفظ «السَّلف» في القرآن الكريم:

وردت كلمـة «السَّـلف» - بمشـتقَّاتها المختلفـة - في القرآن الكـريم ثمان (8) مرَّات، وهي كما يلي:

1. سَلَـفَ: ومعنـاه: مضـى وتقـدَّم، وتكـرَّر خمـس (5) مـرَّات في المواضـع التَّالية:

الأوَّل: قـال تعالى: ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ﴾ [البَقَرَة: 275].

أي: فمَـن بلغه نَهْيُ الله عن الرِّبا فانتهى حـال وُصـول الشَّـرع إليه، فله ما سـبق وتقدَّم مِن المعامـلات، وله ما أخذ وأكل فمضى قبل مجيء تحريم الرِّبا[2].

الثَّاني: قال تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَۚ﴾ [النِّسَاء: 22]. أي: لا تتزوَّجـوا نسـاء آبائكـم إلاَّ مـا قد تقدَّم ومضـى في الجاهليَّـة، فلا جنـاح عليكم فيه ولا مُؤاخذة[3].

الثَّالث: قال تعالى: ﴿وَأَن تَجۡمَعُواْ بَيۡنَ ٱلۡأُخۡتَيۡنِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَۗ﴾ [النِّسَاء: 23]. أي: وحـرَّم عليكـم الجمع بـين الأختين معًـا في التَّزويـج، وكذا في ملـك اليمين، لكن ما كان تقدَّم مِن ذلك ومضى قبل نُزول التَّحريم فهو عَفْو؛ لأنَّه على البراءة الأصليَّة[4].

الرَّابـع: قـال تعـالى: ﴿أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمۡرِهِۦۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ﴾ [المَائدة: 95]. أي: تجـاوز الله عمَّـن تقدَّم منه قتل الصَّـيد حـال إحرامه في جاهليّتـه، فـلا تلزمه كفَّـارة في مالٍ ولا نفس[5].

الخامـس: قال تعـالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ﴾ [الأنفَال: 38]. أي: إنِ انتهـى الكُفَّـار عمَّا هم فيه مِن الكُفر والمشـاقَّة والعِنـاد ودخلـوا في الإسـلام والطَّاعـة والإنابة، يغفر الله لهم ما قد خلا ومضى مِن كُفرهم وذُنوبهم وخطاياهم[6].

2. سَلَفًا: ورد مـرَّة واحـدة: قـال تعـالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ

---

(1) انظر: «كتاب العين» للفراهيدي (258/7)، «جمهرة اللُّغة» للأزدي (847/2)، «تهذيب اللُّغة» للهروي (299/12)، «الصِّحاح» للفرابي (1377/4)، «مقاييس اللُّغـة» لابن فارس (95/3)، «تـاج العروس» للزَّبيـدي (453/23)، «لسـان العرب» لابن منظور (158/9).

(2) انظر: «تفسير الطَّبري» (14/6)، «تفسـير ابن كثـير» (709/1)، «أضـواء البيـان» للشَّـنقيطي (159/1)، «تفسير السَّعدي» (ص: 116).

(3) انظر: «تفسـير الطَّبري» (132/8)، «زاد المسـير» لابـن الجـوزي (387/1)، «أضـواء البيـان» للشَّنقيطي (160/1).

(4) انظر: «تفسـير الطَّبري» (150/8)، «تفسير ابن كثير» (253/2)، «أضـواء البيان» للشَّـنقيطي (498/7).

(5) انظر: «تفسـير الطَّبري» (47/10)، «تفسـير ابن كثير» (195/3)، «زاد المسـير» لابـن الجـوزي (587/1).

(6) انظر: «تفسـير الطَّبري» (536/13)، «تفسير ابن كثير» (54/4).

﴿فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٥٥ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ ۝٥٦﴾ [الزخرف: 56]. أي: لمَّا أغضب قومُ فرعون ربَّهم وأسخطوه انتقم منهم بعاجل العذاب فأغرقهم جميعا في البحر، فجعلهم سابقين مُتقدِّمين ماضين؛ ليتَّعظ بهم المتأخِّرون من الأمم، وليكونوا مثلاً يَعتبر بهم الخَلف، فينتهوا عن الكفر بالله. وقيل: جعلهم مُقدِّمة، يَتقدَّمون كُفَّارَ قُريش إلى النَّار، وكُفَّار قُريش لهم بالأثر[7].

3. أَسْلَف: ومعناه: قدَّم، وتكرَّر مرَّتين في موضعين:

الأوَّل: قال تعالى: ﴿هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ﴾ [يونس: 30]، أي: في موقف الحساب ـ يوم القيامة ـ تُختبر كُلُّ نفس، وتعلم ما قدَّمت من عملها ـ من خير وشرٍّ ـ. وقيل: أي: تَتفقَّد أعمالها وكسبها، وتتَّبعه بالجزاء، وتُجازى بحسبه، إنْ خيرًا فخير، وإنْ شرًّا فشرٌّ[8].

الآخر: قال تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ۝٢٤﴾ [الحاقة: 24]، يُقال لأهل الجنَّة ـ تفضُّلاً عليهم وامتنانًا وإنعامًا وإحسانًا ـ: تمتَّعوا بطعام الجنَّة وشرابها، جزاءً من الله لكم وثوابًا بما قدَّمتم من الأعمال الصَّالحة في الحياة الدُّنيا التي خلت فمضت[9].

**ب. لفظ «السَّلف» في السُّنَّة النبويَّة المطهَّرة:**

وردت كلمة «السَّلف» في بعض أحاديث النَّبيِّ ﷺ بالمعنى اللُّغوي السَّابق، وبالمعنى الَّذي جاءت به الآيات القُرآنيَّة السَّالفة الذِّكر: وهو التَّقدُّم والمُضي والسَّبق، ونذكر من هذه الأحاديث أربعًا:

**الأوَّل:** أخرج البخاري (6285) ومسلم (2450) عن عائشة أمِّ المؤمنين رضي الله عنها في قصة فاطمة رضي الله عنها ودخولها عليه وإشارته لها بموته وجزعها من الفراق وفيه: «فَإِنِّي نِعْمَ السَّلَفُ أَنَا لَكِ».

فقوله ﷺ: «فَإِنِّي نِعْمَ السَّلَفُ أَنَا لَكِ»: جملة مُستأنفة كالتَّعليل لما قبلها، أي: فإنَّ ما يترتَّب على ذلك من شرف السَّلف لك يعدل ما قد يبدو من جزع الفراق، والسَّلف ـ هنا ـ: المتقدِّم والماضي، والمعنى: نعم ما تقدَّم لك منِّي، فهو ﷺ مُتقدِّم قُدَّام ابنته رضي الله عنها، فتَرِد عليه، كما أنَّه ﷺ سَلَفٌ لكلِّ مُؤمن وفرَط لهم[10].

**الثَّاني:** وأخرج البخاري (557) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنَّه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّمَا بَقَاؤُكُمْ فِيمَا سَلَفَ قَبْلَكُمْ مِنَ الأُمَمِ كَمَا بَيْنَ صَلَاةِ العَصْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ...».

فقوله ﷺ: «بَقَاؤُكُمْ فِيمَا سَلَفَ قَبْلَكُمْ مِنَ الأُمَمِ» معناه: بقاؤكم في جُملة ما تقدَّم وسبق ومضى من الأمم قبلكم كنسبة وقت العصر إلى تمام النَّهار، أو أنَّ نسبة مُدَّة هذه الأمَّة إلى مُدَّة من تقدَّم من الأمم كنسبة ما بعد العصر إلى غروب الشَّمس[11].

**الثَّالث:** وأخرج مسلم (2288) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ قال: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا أَرَادَ رَحْمَةَ أُمَّةٍ مِنْ عِبَادِهِ، قَبَضَ نَبِيَّهَا قَبْلَهَا، فَجَعَلَهُ لَهَا فَرَطًا وَسَلَفًا بَيْنَ يَدَيْهَا، وَإِذَا أَرَادَ هَلَكَةَ أُمَّةٍ، عَذَّبَهَا وَنَبِيُّهَا حَيٌّ، فَأَهْلَكَهَا وَهُوَ يَنْظُرُ، فَأَقَرَّ عَيْنَهُ بِهَلَكَتِهَا حِينَ كَذَّبُوهُ وَعَصَوْا أَمْرَهُ».

فقوله ﷺ: «فَجَعَلَهُ لَهَا فَرَطًا وَسَلَفًا بَيْنَ يَدَيْهَا» أي: سابقًا ومُقدَّمًا وشفيعًا بين يدَيْ أُمَّته وقُدَّامها حين مات راضيًا عنها، وقيل: هو من عطف المرادف أو أعمٌّ، وفائدة التَّقديم: الأُنس والاطمئنان، وقلَّة كُربة الغُربة[12].

**الرَّابع:** وأخرج البخاري (1436) عن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: قلتُ: يا رسول الله! أرأيتَ أشياء كنتُ أتحنَّثُ[13] بها في الجاهليَّة من صدقة أو عَتاقة، وصلة رحم، فهل فيها من أجر؟ فقال النَّبيُّ ﷺ: «أَسْلَمْتَ عَلَى مَا سَلَفَ مِنْ خَيْرٍ».

فقوله ﷺ: «أَسْلَمْتَ عَلَى مَا سَلَفَ مِنْ خَيْرٍ»: أي: أسلمتَ على قبول ما تقدَّم لك من خير في جاهليتك[14]، وهو بمعنى الحديث الذي رواه النَّسائي (4998) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا أَسْلَمَ العَبْدُ فَحَسُنَ إِسْلَامُهُ، كَتَبَ اللهُ لَهُ كُلَّ حَسَنَةٍ كَانَ أَزْلَفَهَا، وَمُحِيَتْ عَنْهُ كُلُّ سَيِّئَةٍ كَانَ أَزْلَفَهَا» أي: أَسْلَفَهَا وقدَّمها وأمضاها.

**تنبيه:** قد رُويت أحاديث أخرى ورد فيها لفظ «السَّلف»، غير أنَّ في أسانيدها

(7) انظر: «تفسير الطَّبري» (622/21)، «زاد المسير» لابن الجوزي (81/4)، «روح المعاني» للألوسي (380/8)، «تفسير القرطبي» (102/16).
(8) انظر: «تفسير الطَّبري» (80/15)، «تفسير ابن كثير» (265/4)، «أضواء البيان» للشنقيطي (154/2)، «تفسير السَّعدي» (ص: 362).
(9) انظر: «تفسير الطَّبري» (586/23)، «تفسير ابن كثير» (215/8)، «تفسير السَّعدي» (ص: 883).
(10) انظر: «شرح مسلم» للنَّووي (7/16)، «دليل الفالحين» للصِّدِّيقي الشَّافعي (156/5)، «مصباح الظَّلام» لعبد اللَّطيف آل الشَّيخ (3/ 429)، «جامع الأصول» لابن الأثير (129/9).
(11) انظر: «عُمدة القاري» للعَيني (146/25)، «شرح كتاب التَّوحيد من صحيح البخاري» للغنيمان (262/2).
(12) انظر: «مرقاة المفاتيح» لعليّ القاري (3861/9)، «فيض القدير» للمُناوي (206/2).
(13) أي: أتعبَّد وأتقرَّب وأقصد البرَّ.
(14) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (302/3)، «إرشاد السَّاري» للقسطلاني (34/3).

مقالاً، نذكر منها حديثين:

**الأوَّل:** أخرج أحمد (2127) عن عبد الله بن عبَّاس رضي الله عنهما قال: لمَّا مات عُثمان بن مَظعون قالت امرأة: هَنيئًا لك الجنَّة عُثمانَ بنَ مظعون، فنظر إليها رسول الله ﷺ نظرَ غضبانَ فقال: «وَمَا يُدْرِيكِ؟» قالت: يا رسول الله! فارسُك وصاحبُك، فقال رسول الله ﷺ: «وَاللهِ، إِنِّي رَسُولُ اللهِ، وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي» فأشفق النَّاس على عُثمان، فلمَّا ماتت زينب ابنة رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ: «الْحَقِي بِسَلَفِنَا الْخَيْرِ عُثْمَانَ ابْنِ مَظْعُونٍ» فبكت النِّساء، فجعل عمر يضربهنَّ بسوطه، فأخذ رسول الله ﷺ بيده، وقال: «مَهْلاً يَا عُمَرُ» ثمَّ قال: «ابْكِينَ، وَإِيَّاكُنَّ وَنَعِيقَ الشَّيْطَانِ» ثمَّ قال: «إِنَّهُ مَهْمَا كَانَ مِنَ الْعَيْنِ وَالْقَلْبِ، فَمِنَ اللهِ، وَمِنَ الرَّحْمَةِ، وَمَا كَانَ مِنَ الْيَدِ وَاللِّسَانِ، فَمِنَ الشَّيْطَانِ» والحديث ضعيف الإسناد[15].

**الآخر:** وأخرج ابن أبي شيبة في «مُصنَّفه» (31661) عن أُمِّ سَلَمة رضي الله عنها قالت: سمعتُ رسولَ الله ﷺ على هذا المنبر يقول: «إِنِّي لَكُمْ سَلَفٌ عَلَى الْكَوْثَرِ». ولم يصحَّ بهذا اللفظ، وإنَّما صحَّ بغيره[16].

(15) ضعَّفه الألباني رحمه الله في: «سلسلة الأحاديث الضَّعيفة» (1715) و(3361)، وكذا مُحقِّقو «مُسند أحمد» (31/4).

(16) قال الألباني رحمه الله في: «سلسلة الأحاديث الصَّحيحة» (1087/6): «ورجاله ثقات، إلاَّ أنَّ ابن إسحاق مُدلِّس وقد عنعنه، ومع هذا فقد خالفه القاسم بن عبَّاس الهاشمي عن عبد الله بن رافع به، فقال: «فَرَطٌ» مكان: «سَلَفٌ» أخرجه مسلم (67/7)».

## مُصطلح «السَّلفيَّة» عند العلماء:

«السَّلفيَّة» ليست انتسابًا إلى فرقة أو تنظيم أو هيئة أو حزب، «السَّلفيَّة» تعني ـ عند العلماء ـ: الانتساب إلى السَّلف الصَّالح، الَّذين أثنى الله عليهم، وأمَر باتِّباع سبيلهم، والسَّير على نهجهم، هم خير النَّاس وأفضل القُرون، شهد لهم رسول الله ﷺ بالخيريَّة، وهم ورثة علم النَّبيِّ ﷺ من المهاجرين والأنصار والتَّابعين لهم بإحسان.

السَّلفيَّة نِسبة شريفة إلى نبيٍّ معصوم، وجيل مرحوم، وهو مذهب أثريٌّ سديد، وليس ابتداع حزب جديد.

قال السَّفاريني رحمه الله في «لوامع الأنوار» (20/1): «المراد بمذهب السَّلف: ما كان عليه الصَّحابة الكرام ـ رضوان الله عليهم ـ وأعيان التَّابعين لهم بإحسان وأتباعهم، وأئمَّة الدِّين ممَّن شُهد له بالإمامة، وعُرف عظم شأنه في الدِّين، وتلقَّى النَّاس كلامهم خَلَف عن سَلَف، دون مَن رُمي ببدعة، أو شُهر بلقب غير مرضي مثل الخوارج والرَّوافض والقدريَّة والمرجئة والجَبريَّة والجهميَّة والمعتزلة والكرَّاميَّة، ونحو هؤلاء».

إنَّ التَّسمِّي بـ «السَّلفيَّة»: هو انتساب إلى هذه الكلمة الشَّرعيَّة الأثريَّة، من قول خير البريَّة ﷺ لابنته فاطمة رضي الله عنها: «فَإِنِّي نِعْمَ السَّلَفُ أَنَا لَكِ». فهو ﷺ سَلَفٌ لكلِّ مسلم ومُؤمن.

قال السَّمعاني رحمه الله في «الأنساب» (168/7): «السَّلَفي ـ بفتح السِّين واللاَّم وفي آخرها الفاء ـ: هذه النِّسبة إلى السَّلف، وانتحال مَذهبهم على ما سمعت».

وقال الذَّهبي رحمه الله في «سير أعلام النُّبلاء» (6/21): «السَّلفي ـ بفتحتين ـ: وهو مَن كان على مَذهب السَّلف».

**ومُصطلح «السَّلف» كثيرُ الاستعمال عند عُلمائنا الأجلاَّء، وهذا أكثر من أنْ يُعدَّ ويُحصى، وحسبنا هذه النُّقول الطَّيِّبة عنهم:**

□ قال البخاري رحمه الله في «صحيحه» (76/7): «بَابُ مَا كَانَ السَّلَفُ يَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِهِمْ وَأَسْفَارِهِمْ مِنَ الطَّعَامِ وَاللَّحْمِ وَغَيْرِهِ».

□ وقال في (56/1): «وقال الزُّهري ـ في عظام الموتى، نحو الفيل وغيره ـ: أَدْرَكْتُ نَاسًا مِنْ سَلَفِ الْعُلَمَاءِ، يَمْتَشِطُونَ بِهَا، وَيَدَّهِنُونَ فِيهَا، لاَ يَرَوْنَ بِهِ بَأْسًا».

□ وقال في (30/4): «وقال راشد بن سعد: كَانَ السَّلَفُ يَسْتَحِبُّونَ الْفُحُولَةَ؛ لأَنَّهَا أَجْرَى وَأَجْسَرُ».

□ وقال ابن حجر رحمه الله في «فتح الباري» (66/6) ـ مُفسِّرًا مُصطلح السَّلف، الوارد في كلام راشد بن سعد السَّابق ـ: «قوله: «كَانَ السَّلَفُ» أي: من الصَّحابة فمَن بعدهم».

□ وقال الأوزاعي رحمه الله ـ كما في كتاب «الشَّريعة» للآجرِّي (673/2) ـ: «فاصبر نفسك على السُّنَّة، وقف حيث وقف القوم، وقل فيما قالوا، وكُفَّ عمَّا كَفُّوا عنه، واسلك سبيل سلفك الصَّالح،

فإنَّه يسعك ما وسِعهم».

□ وقال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رحمه الله في «درء تعارض العقل والنَّقل» (356/5): «فكلُّ مَن أعرض عن الطَّريقة السَّلفيَّة الشَّرعيَّة الإلهيَّة، فإنَّه لا بدَّ أنْ يضلَّ ويتناقض، ويبقى في الجهل المركَّب أو البسيط».

□ وقال في (28/5) «واعلم أنَّه ليس في العقل الصَّريح ولا في شيء مِن النَّقل الصَّحيح ما يُوجب مُخالفة الطَّريق السَّلفيَّة أصلاً».

□ وقال ابن كثير رحمه الله في «البداية والنِّهاية» (373/18) ـ في ترجمة فتح الدِّين بن سيِّد النَّاس ـ: «وله العقيدة السَّلفيَّة الموضوعة على الآي والأخبار والآثار والاقتفاء بالآثار النَّبويَّة».

□ وقال السَّفاريني رحمه الله في «لوامع الأنوار» (25/1): «مَذهب السَّلف هو المذهب المنصور، والحقُّ الثَّابت المأثور، وأهله هم الفرقة النَّاجية، والطَّائفة المرحومة الَّتي هي بكلِّ خير فائزة، ولكلِّ مَكرُمة راجية، مِن الشَّفاعة والوُرود على الحوض، ورُؤية الحقِّ، وغير ذلك مِن سلامة الصَّدر والإيمان بالقدر، والتَّسليم لما جاءت به النُّصوص، فمِن المحال أنْ يكون الخالفون أعلم مِن السَّالفين».

□ □ □

وصرَّح علماؤنا بمشروعيَّة الانتساب إلى «السَّلف» ولا عيب ـ في ذلك ـ عندهم، بل كانوا ينسبون مَن زكا عندهم إلى السَّلف:

□ قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رحمه الله في «مجموع الفتاوى» (149/4): «لا عيبَ على مَن أظهر مَذهب السَّلف وانتسب إليه واعتزى إليه، بل يجب قَبول ذلك منه بالاتِّفاق، فإنَّ مذهب السَّلف لا يكون إلاَّ حقًّا».

□ وقال الذَّهبي رحمه الله في «سير أعلام النُّبلاء» (418/12) ـ عن الدَّارقطني ـ: «لم يدخل الرَّجل أبدًا في علم الكلام ولا الجدال، ولا خاض في ذلك، بل كان سلفيًّا».

□ وقال في «تذكرة الحفَّاظ» (149/4) ـ في ترجمة الحافظ ابن الصَّلاح ـ: «وكان سلفيًّا حسن الاعتقاد، كافًّا عن تأويل المتكلِّمين، مؤمنًا بما ثبت مِن النُّصوص».

□ □ □

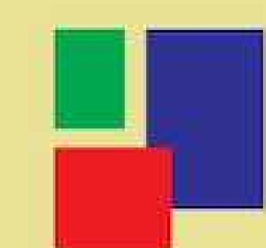
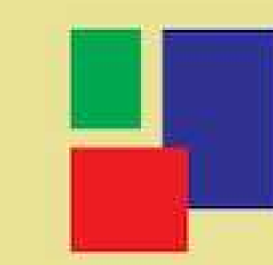
ولقد عدَّ العلماء مِن سِمات أهل البدع وعلاماتهم الظَّاهرة: كراهةَ الانتساب إلى مذهب «السَّلف»:

قال شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (155/4):

«إنَّ شِعار أهل البدع: هو ترك انتحال اتِّباع السَّلف، ولهذا قال الإمام أحمد في رسالة عبدوس بن مالك: أصول السُّنَّة عندنا التَّمسُّك بما كان عليه أصحاب النَّبيِّ ﷺ».

هذا، واللهَ نسأل أنْ يُحيينا مُسلمين، ويميتنا مُؤمنين، ويحشرنا في زمرة الصَّالحين، غير مُبدِّلين ولا مغيِّرين، ولا خزايا ولا نادمين، وآخر دعوانا أنِ الحمد لله ربِّ العالمين.

□ □ □





# المسابقة الثانية لمجلة «الإصلاح»

## شروط المسابقة :

1. المشاركة مفتوحة لجميع القراء.ذكورا وإناثا.داخل الوطن وخارجه.
2. الإجابة تكون على جميع الأسئلة المطروحة.
3. وضع علامة (✓) على الجواب الصحيح في القسيمة.
4. إرسال قسيمة المسابقة المرفقة في المجلة فقط، أو صورة عنها أو مستخرجة من موقع راية الإصلاح.
5. إرسال أجوبة المسابقة يكون للعنوان المبرز أدناه فقط.
6. كل إجابة ترسل إلى غير العنوان المذكور تعد ملغاة.
7. آخر أجل لتسليم الأجوبة يكون بعد شهرين من تاريخ إصدار العدد.

## تنبيهات مهمة :

- الأجوبة متضمنة في الأعداد من (19) إلى (43).
- تصرف جوائز معتبرة للفائزين العشر الأوائل بعد عملية القرعة.

## العنوان المرسل إليه :

ص.ب
رقم 50 الإخوة سي بشير
16067 الجزائر

---

الاسم واللقب: ................ / العنوان : ................ / الهاتف : ................

| الجواب | | | | الجواب | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| الجواب الأول: | أ.☐ | ب.☐ | جـ.☐ | الجواب الحادي عشر: | أ.☐ | ب.☐ | جـ.☐ |
| الجواب الثاني: | أ.☐ | ب.☐ | جـ.☐ | الجواب الثاني عشر: | أ.☐ | ب.☐ | جـ.☐ |
| الجواب الثالث: | أ.☐ | ب.☐ | جـ.☐ | الجواب الثالث عشر: | أ.☐ | ب.☐ | جـ.☐ |
| الجواب الرابع: | أ.☐ | ب.☐ | جـ.☐ | الجواب الرابع عشر: | أ.☐ | ب.☐ | جـ.☐ |
| الجواب الخامس: | أ.☐ | ب.☐ | جـ.☐ | الجواب الخامس عشر: | أ.☐ | ب.☐ | جـ.☐ |
| الجواب السادس: | أ.☐ | ب.☐ | جـ.☐ | الجواب السادس عشر: | أ.☐ | ب.☐ | جـ.☐ |
| الجواب السابع: | أ.☐ | ب.☐ | جـ.☐ | الجواب السابع عشر: | أ.☐ | ب.☐ | جـ.☐ |
| الجواب الثامن: | أ.☐ | ب.☐ | جـ.☐ | الجواب الثامن عشر: | أ.☐ | ب.☐ | جـ.☐ |
| الجواب التاسع: | أ.☐ | ب.☐ | جـ.☐ | الجواب التاسع عشر: | أ.☐ | ب.☐ | جـ.☐ |
| الجواب العاشر: | أ.☐ | ب.☐ | جـ.☐ | الجواب العشرون: | أ.☐ | ب.☐ | جـ.☐ |

**السؤال الأول:**

من هو أول من أدخل مصنف ابن أبي شيبة إلى الأندلس؟

أ. بقي من مخلد

ب. قاسم بن أصبغ

جـ. محمد بن وضاح

**السؤال الثاني:**

من أشراط الساعة ظهور القلم، والمقصود به:

أ. كثرة العلم

ب. فشو الجهل

جـ. كثرة الكتب والكتاب

**السؤال الثالث:**

اختار البخاري في روايته عن مالك:

أ. عبد الله بن مسلمة القعنبي

ب. عبد الله بن يوسف التنيسي

جـ. عبد العزيز بن عبد الله الأويسي

**السؤال الرابع:**

يستحب لمتبع الجنازة ألا يجلس:

أ. حتى توضع في القبر

ب. حتى توضع عن مناكب الرجال

جـ. حتى يفرغ من دفنها

**السؤال الخامس:**

من صاحب هذه المقولة: «إذا سكتَّ أنت، وسكتُّ أنا، فمتى يعرف الجاهل الصحيح من السقيم؟!»؟

أ. الأوزاعي

ب. حماد بن زيد

جـ. أحمد بن حنبل

**السؤال السادس:**

ما سبب قرن التوراة بالقرآن في كتاب الله؟

أ. لأنهما اختصا بتفصيل الأحكام وذكر الحلال والحرام

ب. لأنهما اتفقا على ذكر نبوة محمد ﷺ

جـ. لأن القرآن أنزل بعد التوراة

**السؤال السابع:**

هل كان جليبيب:

أ. مهاجرا غنيا

ب. أنصاريا فقيرا

جـ. تابعيا فقيها

**السؤال الثامن:**

ملح التفسير هي:

أ. إشارات القرآن المتعلقة بالتوحيد

ب. مقاصد القرآن العظمى ومعانيه الكبرى

جـ. ما يذكر عند تفسير الآية من النكت والدقائق والفوائد

**السؤال التاسع:**

يقول الشيعة الإمامية عن صيام يوم عاشوراء:

أ. يستحب صيامه من الفجر إلى العصر، ثم تناول شيء من التربة

ب. يجب صيامه من الصبح إلى المغرب

جـ. يستحبُّ صيامه من الصُّبح إلى المغرب

**السؤال العاشر:**

سبب ظهور التصوف:

أ. الرغبة في الآخرة

ب. التأثر بالعقائد الوثنية

جـ. الغلو في التعبد

**السؤال الحادي عشر:**

ما هو أول ما خلق الله تعالى؟

أ. الماء ب. العرش جـ. القلم

**السؤال الثاني عشر:**

كلمة «التنزيه» عند أهل البدع:

أ. اسم قبيح ب. لفظ حسن

جـ. لفظ مجمل

**السؤال الثالث عشر:**

أعلى الناس رتبة في الخير وأحقهم بالاتصاف به:

أ. من كان خير الناس لأهله

ب. من كان عابدا لربه معترفا بذنبه

جـ. من كان محسنا لأصحاب الحاجات

**السؤال الرابع عشر:**

من هو الرجل؟

أ. الذي ليس له رأي وهو يستشير

ب. الذي له رأي وهو يستشير

جـ. الذي ليس له رأي ولا يستشير

**السؤال الخامس عشر:**

من صاحب هذه المقولة: «وأكثر الأبناء إنما جاء فسادهم من قبل الآباء وإهمالهم لهم»؟

أ. ابن تيمية ب. ابن القيم

جـ. ابن رجب

**السؤال السادس عشر:**

ما هو أحسن ما يقرؤه طالب العلم في اللغة؟

أ. المعلقات ب. الحيوان

جـ. الكامل في الأدب

**السؤال السابع عشر:**

ما هو حكم تجويد القرآن؟

أ. يستحب استحبابا مؤكدا

ب. يجب وجوبا عينيا

جـ. يجب وجوبا كفائيا

**السؤال الثامن عشر:**

من القائل: «المؤمن للمؤمن كاليدين تغسل إحداهما الأخرى»

أ. ابن كثير ب. ابن تيمية

جـ. الحسن البصري

**السؤال التاسع عشر:**

سجود التلاوة في حق السامع:

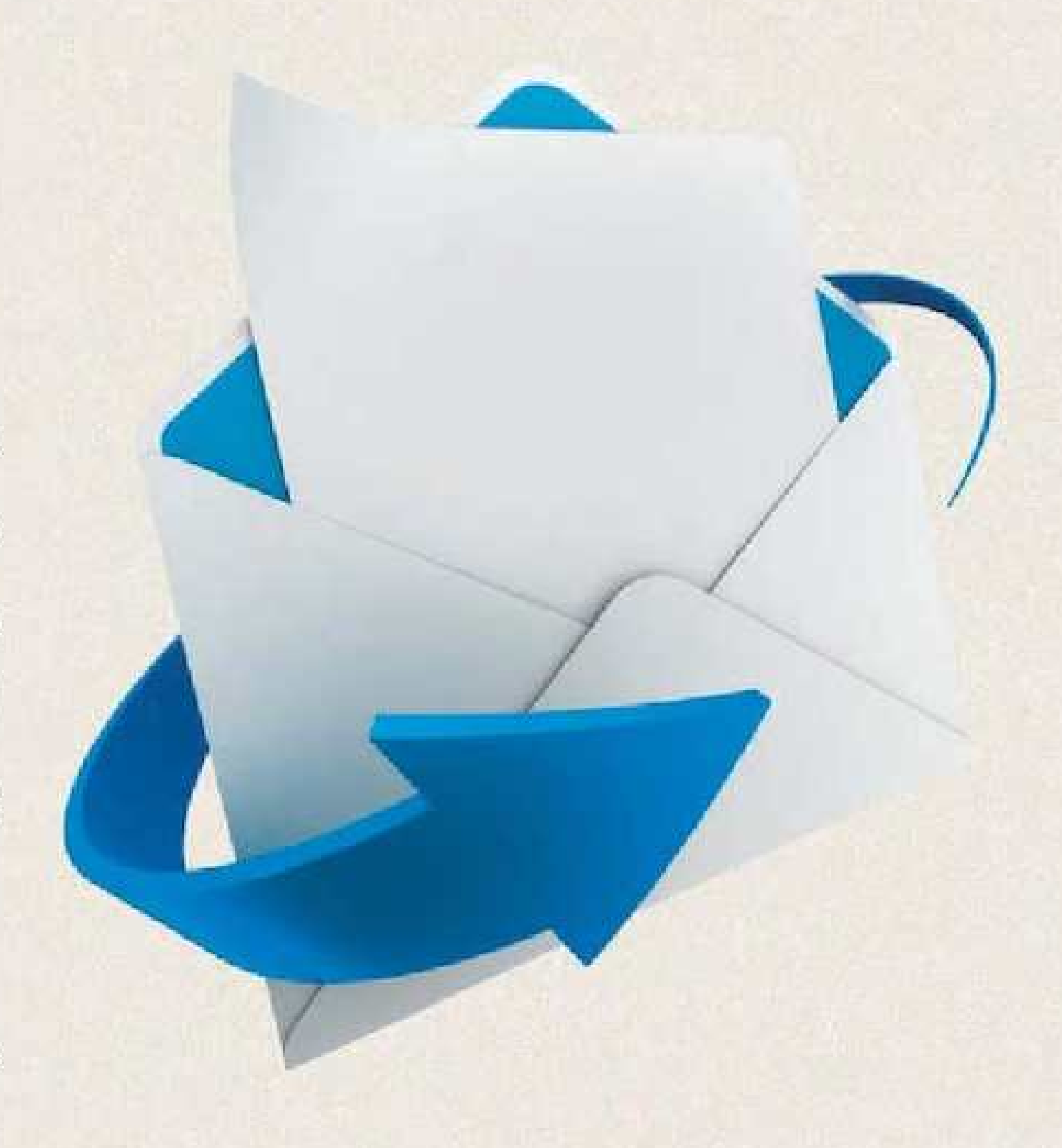
أ. واجب ب. سنة جـ. غير مشروع

**السؤال العشرون**

ما هو أصح الأقوال في شأن ذي القرنين؟

أ. ملك عادل ب. نبي

جـ. ملك من الملائكة



# بريد القراء

❁ نشكر الأخ الفاضل غلُّوج الحاج على محاولته الشِّعريَّة، حيث أرسل إلينا قصيدةً موضوعها «العلم وطُلاَّبه»، مطلعُها:

من رام مجدًا سار سبيل العُلا

إنَّ المعالي لا تُنَـالُ بـلا عـمـل

فجزاه الله خيرًا، وزاده توفيقًا وسدادًا.

❁❁❁

❁ أمَّا الأخ عبد الواحد بلعبَّاس من ولاية عين تموشنت، فله منَّا جزيل الشُّكر ودوام الدُّعاء على حسن ظنِّه بإخوانه القائمين على المجلَّة؛ فقد قال فيهم:

إلى الأفاضل حازوا خيـرَ منـقـبـة

إلى الألى بهم الدِّين الحنيف حُمِي

❁❁❁

❁ وصلنا خطاب من المفضال أبي عبد الرَّحمن مصعب شهيب، أفعمه بالشُّكر والتَّقدير لإخوانه المشايخ؛ لما يُقدِّمونه من مجهودات لتبليغ دين الله ـ عزَّ وجلَّ ـ، ونشرِ التَّوحيد والسُّنَّة ومقاومةِ الشِّركِ والبدعة، ونسألُ اللهَ العليَّ الأعلى أن يَجعلَهم خيرًا ممَّا يَظنُّون وأن يجعلَهم مُباركين أينَمَا كانوا.

أمَّا فيما يَخُصُّ طلبَه، فقد أحيل على الإدارة.

أسأل الله تعالى أن يُيَسِّرَ أمرَه ويُصلِح شأنَه؛ إنَّ رَبِّي لسميع الدُّعاء.

❁❁❁

❁ والشُّكر موصولٌ للأخ المبارك مصطفى، حيث أرسل إلينا موضوعًا طويلاً عن التَّقوى، وآثارِها الحميدة، وثمارها الجليلة في الدُّنيا والآخرة.

نسأل الله أن يجعلنا من عباده المُتَّقين.

❁❁❁

❁ ولا ننسى أخانا الكريم عبد الكريم شهباري الكيفاني على منظومته في ذكر أسماء الطُّلاَّب الَّذين دَرَّسَهم في مدرسة ابن أبي زيد القيرواني بالرويبة، جمعهم في هذه المنظومة مُذكِّرًا بأيَّامِ القرآن ونِعمَةِ السُّنَّة وفضلِ الأُخوَّة.

جاء فيها:

هذا وقد دعـا بعضُ الطُّلاَّب

لرجز يهدي إلى الـصـواب

يُضَـمِّنُ الأسمـاءَ للـطُّـلاَّب

وربَّما حوى بـعض الألـقاب

فـجـئـتـه بـرجـز مـفـيـد

مُـنـقَّـح مُـهـذَّب سـديـد

نسأل اللهَ أن يُوفِّقَ مُؤلِّفَها والمذكورين فيها، وأن يزيدنا وإيَّاهم من فضله.

❁❁❁